THE WITCHER

ANDRZEJ SAPKOWSKI

BLOOD OF ELViS

دماء القدماء

Ai Translator

الجزء 3

ترجمة غير رسمية



حول هذه الترجمة:

هذا الكتاب هو عملٌ خيالي، إن الأسماء والشخصيات والأماكن والأحداث هي من وحي خيال الكاتب أو تم استخدامها بشكلٍ خيالي، وأي تشابه مع أحداث أو أماكن أو أشخاص حقيقيين، سواء كانوا أحياء أو أمواتًا، هو من قبيل الصدفة.

تم نشر هذا الكتاب في الأصل باللغة البولندية تحت عنوان **Sezon Burz**.

تمت الترجمة العربية بواسطة أدوات الذكاء الإصطناعي لذلك فالترجمة غير مطابقة للنص الأصلي.

تنويه وإخلاء مسؤولية:

هذه الترجمة غير رسمية وغير دقيقة ولاتطابق الرواية أو محتواها. وهي بغرض المراجعة والاطلاع فقط.

لذلك لاتغني عن امتلاك النسخة الأصلية أو ترجمتها الرسمية عند توفرها بالمكتبات العربية علماً أنه لاتوجد ترجمة عربية رسمية حتى الآن.

إن القيام باستخدام شبه الترجمة هذه بخلاف أغراض المراجعة والاطلاع قبل الشراء هي أمانة تقع على عاتق وتحت مسؤولية أصحابها فقط.

نأمل المبادرة بشراء النسخة الأصلية أو ترجمتها الرسمية عند توفرها دعماً للمؤلف وأصحاب الحقوق.

Ai Translator

لأكثر من مئة عام، عاش البشر والأقزام والإلف معًا في سلام نسبي، ولكن الزمن قد تغيّر، وانتهى السلام غير المستقر وعادت الأجناس مرة أخرى للقتال ضد بعضها البعض وضد أنفسها، الأقزام يقتلون أقاربهم، والإلف يقتلون البشر وكذلك الإلفيين من بني جنسهم...

في هذا الزمن المضطرب وُلدت طفلة كان السحرة ينتظرونها، سيري، حفيدة الملكة كالانثي، لبوة سينترا، والتي تمتلك قوىً غريبة ومصير أغرب، إذ تسميها النبوءة بـ"اللهب"، هي وحدها من تمتلك القوة لتغيير العالم .. إما للخير أو للشر.

أقول لكم حقًا، إن عصر السيف والفأس قريب، عصر عاصفة الذئب.

وقت البرد الأبيض والنور الأبيض قريب، وقت الجنون ووقت الإزدراء "تيد ديريدا"، وقت النهاية، سيموت العالم وسط الصقيع وسيولد من جديد مع الشمس الجديدة.

سيولد من دماء القدماء، من هين إيكر، من البذرة التي زُرعت، بذرة لن تنبت بل ستشتعل كاللهب .

"استّواث إيسي!" هكذا سيكون! انتبهوا للإشارات!

ما هي هذه الإشارات، أقول لكم..

أولاً ستفيض الأرض بدماء آين سيدهي، دماء الإلفيين القدماء ...

- نبوءة إيثلين إيغلي إيب إيفينيين

الفصل الأول

كانت المدينة مشتعلة .

الأزقة الضيقة المؤدية إلى الخندق والشرفة الأولى تنفث الدخان والجمر، اللهب يلتهم البيوت المسقوفة المتراصة ويلعق جدران القلعة.

من الغرب، من بوابة الميناء، تزداد صرخات وصخب المعركة الوحشية وضربات الكبش الصدئة التي تضرب الجدران بصوت أعلى وأعلى .

لقد حاصرهم المهاجمون بشكل غير متوقع، كسروا المتاريس التي كان يحميها عدد قليل من الجنود، وقلة من سكان البلدة الذين يحملون الحراب وبعض النبال من النقابة.

خيولهم المزينة بالكابات السوداء الطويلة قفزت فوق المتاريس كالأشباح، وركابها الذين تلمع سيوفهم اللامعة يزرعون الموت بين المدافعين الفارين .

شعرت سيري بالفارس الذي يحملها أمامه على السرج يشجع حصانه فجأة.

سمعت صرخته. "تمسكي"، صاح: "تمسكي "!

فرسان آخرون يرتدون ألوان سينترا تجاوزه، يتبارزون، حتى في رحلتهم الكاملة، مع النيلفجارديين.

رأت سيري لمحة من المناوشة من زاوية عينها - الدوامة المجنونة من العباءات الزرقاء-الذهبية والسوداء وسط صدام الفولاذ، صخب السيوف ضد الدروع، صهيل الخيول — صرخات. لا، ليست صرخات.

صرخات مذعورة" .تمسكي "!خوف. مع كل اهتزاز، كل حركة، كل قفزة للحصان، ألم يتدفق عبر يديها وهي تتشبث باللجام.

ساقيها تقلصت بشكل مؤلم، غير قادرة على العثور على دعم، عيناها تدمعان من الدخان. الذراع حولها تخنقها، تخنقها، القوة تضغط على أضلاعها.

من حولها كانت الصرخات التي لم تسمع مثلها من قبل تزداد قوة.

ماذا يجب أن يفعل بالإنسان ليجعله يصرخ هكذا؟

خوف.. خوف ساحق .. مشل .. خانق ..

مرة أخرى، صراع الحديد، شهيق وخرير الخيول.

البيوت تدور حولها وفجأة ترى نوافذ تنفث النار حيث كان هناك قبل لحظة شارع موحل صغير مغطى بالجثث ومليء بممتلكات السكان الفارين.

فجأةً تعرض الفارس الذي خلفها لسعال غريب وأصيب بجرح دامي.

دماء تنفجر على الأيدي التي تمسك باللجام.

المزيد من الصرخات. الأسهم تزمجر حولها

.سقوط، صدمة، كدمات مؤلمة ضد الدرع.

حوافر تدق بالقرب منها، بطن حصان وحزام ممزق يمر فوق رأسها، ثم بطن حصان آخر وكساء أسود متدفق.

أصوات الجهد، كأنها صوت حطاب يقطع الخشب.

لكن هذا ليس خشبًا؛ إنه حديد يفتُ في الحديد.

صرخة، مكتومة وهادئة، وشيء ضخم أسود ينهار في الوحل بجانبها وتخرج منه نافورةٌ تنفث الدماء.

قدم مسلحة ترتجف، وتطعن الأرض بمسمار ضخم .

إرتجاج. قوة ما تلتقطها، تسحبها إلى سرج آخر.

- تمسكي!

مرة أخرى السرعة المهتزة، والجري المجنون.

أذرع وأرجل تبحث يائسة عن الدعم. الحصان يرتفع.

- تمسكي! ... لا يوجد دعم. لا يوجد ... لا يوجد ...

هناك دم. الحصان يسقط. من المستحيل القفز جانبًا، لا يمكنها تحرير نفسها، أو الهروب من الأذرع المدرعة للفارس خلفها.

لا يوجد طريقة لتجنب الدم الذي يتدفق على رأسها وكتفيها .

صدمة، صوت الوحل، تصادم عنيف مع الأرض، هدوء رهيب بعد الركوب الغاضب.

أصوات التنفس الصعبة والصرخات الحادة للحصان وهو يحاول الوقوف على قدميه مرة أخرى.

صوت حوافر الخيول، أرساغ وحوافر تلمع بالقرب منها. كساء أسود وعباءات.

صراخ .الشارع مشتعل، جدار أحمر هائج من اللهب.

فارس يطل فوق الأسطح المشتعلة، ضخم.

حصانه المزخرف بالسواد يرتفع، يهتز رأسه، يصهل.

الفارس ينظر إليها.

سيري ترى عينيه اللامعتين من خلال شق في خوذته الضخمة، محاطة بأجنحة طائر جارِح.

ترى النار منعكسة في النصل العريض للسيف الذي يحمله في يده المنخفضة .

الفارس ينظر إليها.

سيري غير قادرة على التحرك.

أذرع الرجل الميتة التي تحيط بخصرها تمنعها من الحركة.

إنها محبوسة.
مكبلة بشيء ثقيل ومبلل بالدم، شيء يستلقي على فخذها، يثبتها على الأرض.

إنها متجمدة من الخوف: خوف رهيب يقلب أحشاءها، يصمها عن صرخات الحصان الجريح، هدير اللهب، صرخات الناس المحتضرين وقرع الطبول.

الشيء الوحيد الذي يوجد، الذي يحسب، الذي لا يزال له أي معنى، هو الخوف.

الخوف متجسد في صورة فارس أسود يرتدي خوذة مزينة بالريش متجمدًا أمام جدار من اللهب الأحمر الهائج.

الفارس يحث حصانه على المضي والإسراع، والأجنحة على خوذته ترفرف كالطائر الجارح الذي ينطلق لمهاجمة ضحيته العاجزة، المشلولة بالخوف.

الطائر – أو ربما الفارس – يصرخ بشكل مرعب، قاسي، منتصر.

حصان أسود، درع أسود، عباءة سوداء متدفقة، وخلف هذا اللهب بحر من اللهب.

خوف. الطائر يصرخ. الأجنحة ترفرف، الريش يصفع وجهها. خوف!

أحتاج مساعدة! لماذا لا يساعدني أحد؟ وحدي، ضعيفة، عاجزة لا أستطيع التحرك، لا أستطيع إخراج صوت من حلقي الضيق.

لماذا لا يأتي أحد لمساعدتي؟ أنا مرعوبة!

عينا الفارس تلمعان من خلال شق في الخوذة الضخمة المجنحة.

العباءة السوداء تغطي كل شيء

— "سيري!

استيقظت، مخدرة ومبللة بالعرق، مع صرختها – الصرخة التي أيقظتها – لا تزال معلقة في الهواء، لا تزال تهتز في مكان ما داخلها، تحت عظم صدرها وتحرق حلقها الجاف.

يديها تؤلمانها، ممسكة بالبطانية؛ ظهرها يؤلمها...

-"سيري. اهدئي."

الليل كان مظلماً وعاصفاً، وتيجان أوراق أشجار الصنوبر المحيطة تهتز بثبات وتناغم، أطرافها وجذوعها تصدر أصواتاً متموجة.

كانت الريح تهب، لم يكن هناك نار ضارة، ولا صرخات، فقط هذه التهويدة اللطيفة.

بجانبها كان نار المخيم تتألق بالضوء والدفء، تتوهج ألسنة اللهب على أبازيم الأحزمة، وتتألق باللون الأحمر في مقبض السيف الملفوف بالجلد والمشبع بالحديد المائل ضد السرج على الأرض.

لم يكن هناك نار أخرى ولا سيوف.

اليد التي على خدها كانت تفوح برائحة الجلد والرماد، ليست رائحة الدم.

- "جيرالت: " "كان مجرد حلم، حلم سيء".

ارتجفت سيري بعنف، مشدودة ذراعيها وساقيها بإحكام. حلم. إنه مجرد حلم.

كانت نار المخيم قد بدأت تهدأ بالفعل؛ وجذوع البتولا كانت حمراء ومضيئة، وأحيانًا تصدر تشققات، وتطلق شعاعات صغيرة من اللهب الأزرق التي تضئ الشعر الأبيض والمظهر الحاد للرجل الذي يلف بطانية وجلد الغنم حولها.

- جيرالت: "أنا هنا. نامي يا سيري. يجب عليك أن ترتاحي .. ما زال أمامنا طريق طويل".

سمعت موسيقى، فكرت فجأة. وسط اهتزاز الأشجار... هناك موسيقى.

موسيقى العود. وأصوات تهمس في أذنيها:

أميرة سينترا... طفلة القدر... طفلة الدم القديم، دم الإلفيين.

جيرالت من ريفيا، الذئب الأبيض، وقدرها. لا، لا، هذه أسطورة. اختراع شاعر. الأميرة ماتت. قتلت في شوارعِ البلدة أثناء محاولتها الهروب...

تمسكي...! تمسكي...

-"جيرالت؟"

-"ما الأمر يا سيري؟"

-"ماذا فعلوا بي؟ ماذا حدث؟ ماذا... فعل بي؟"

-"من؟"

-الفارس... الفارس الأسود ذو الريش على خوذته... لا أستطيع تذكر أي شيء. لقد صرخ... ونظر إلي. لا أستطيع تذكر ما حدث. فقط أنني كنت خائفة... كنت خائفة جدًا..."

انحنى الرجل فوقها، تتألق نار المخيم في عينيه. كانت عيناه غريبتين. غريبتين جدًا. كانت سيري تخاف منهما، لم تحب مواجهة نظرته.

لكن كان ذلك منذ زمن بعيد. زمن بعيد جدًا.

-"لا أستطيع تذكر أي شيء،" همست، باحثة عن يده، الخشنة والقاسية كالخشب.

— "الفارس الأسود!" " كان حلمًا. نامي بسلام. لن يعود."

كانت سيري قد سمعت مثل هذه الطمأنينة في الماضي. لقد تم تكرارها لها بلا نهاية؛ مرات عديدة قُدمت لها كلمات مريحة عندما كانت صرخاتها توقظها أثناء الليل. لكن هذه المرة كانت مختلفة. الآن كانت تصدق ذلك.

لأن جيرالت من ريفيا، الذئب الأبيض، الساحر، هو الذي قالها.

الرجل الذي كان قدرها. الشخص الذي كانت مقدرة له.

جيرالت الساحر، الذي وجدها محاطة بالحرب والموت واليأس، الذي أخذها معه ووعد بأنهما لن يفترقا أبدًا.

نامت وهي تمسك يده بقوة.

انتهى الشاعر من الأغنية.

مال رأسه قليلاً، وكرر لازمة القصيدة على عوده، بدقة وهدوء، بنغمة واحدة أعلى من التلميذ الذي يرافقه.

لم يقل أحد كلمة واحدة.

لا شيء سوى الموسيقى المتراجعة وأوراق الشجر الهامسة والأغصان المزعجة للبلوط الضخم يمكن سماعها.

ثم، فجأة، ثغى ماعز مربوط بأحد العربات التي تحيط بالشجرة القديمة طويلاً. في تلك اللحظة، كأنها إشارة، وقف أحد الرجال الجالسين في الجمهور الواسع نصف الدائري. وألقى عباءته الزرقاء الكوبالتية المزينة بخيوط ذهبية فوق كتفه، وانحنى بانحناءة شديدة وجليلة. "شكرًا لك، سيد دانديليون،"

لم يكن صوته الرنان عاليًا.

- "اسمح لي، رادكليف من أوكسنفورت، يا سيد الأسرار، أن أعبر عما أعتقد أنه رأي الجميع هنا وأوجه كلمات الشكر والتقدير لفنك ومهارتك الرائعة."

ألقى الساحر نظرة على الحاضرين - جمهور يزيد عن مئة شخص - جالسين على الأرض، وعلى العربات، أو واقفين في نصف دائرة ضيقة تواجه جذع الشجرة. هزوا رؤوسهم وهمسوا فيما بينهم. بدأ بعض الناس في التصفيق بينما رحب آخرون بالمغني برفع أيديهم.

النساء المتأثرات بالموسيقى ينحن ويمسحن أعينهن بأي شيء وصل إلى أيديهن، والذي اختلف كان وضعهن الاجتماعي ومهنتهن وثروتهن: استخدمن النساء الفلاحات أذرعهن أو ظهور أيديهن، بينما كانت زوجات التجار يمسحن أعينهن بمناشف كتانية في حين استخدمن النساء النبيلات مناديل من أفضل أنواع القطن المحبوك بإحكام، أما بنات البارون فيليبرت الثلاث، اللائي توقفن مع حاشيتهن عن صيد الصقور لحضور أداء الشاعر الشهير، فقد نفخن أنوفهن بصوت عالٍ ورنان في وشاح الكشمير الأخضر العفن الأنيق.

تابع الساحر "لن يكون من المبالغة القول أنك أثرت فينا بعمق ياسيد دانديليون، لقد دفعتنا إلى التأمل والتفكير؛ لقد أثرت في قلوبنا. اسمح لي أن أعبر عن امتناننا واحترامنا."

وقف الشاعر وانحنى، محركاً ريشة البلشون المثبتة على قبعته العصرية عبر ركبتيه.

توقف تلميذه عن العزف، وابتسم وانحنى أيضًا، حتى نظر إليه دانديليون بحدة وهمس بشيء تحت أنفاسه. خفض الصبي رأسه وعاد إلى العزف برفق على أوتار العود.

بدأ الجمهور يتحرك. همس التجار المسافرون في القافلة فيما بينهم ثم دحرجوا برميلًا كبيرًا من البيرة إلى جذع الشجرة.

وجد الساحر رادكليف نفسه في محادثة هادئة مع البارون فيليبرت.

بعد أن مسحن أنوفهم وأعينهم تأثراً، أخذن بنات البارون بالنظر خلسة إلى دانديليون في إعجاب – رغم أنه لم يلحظ ذلك تمامًا – إذ كان مشغولًا في الابتسام والغمز، ووميض أسنانه يلمع بابتسامة لمجموعة من الإلفيين المتجولين المتكبرين والصامتين، وخاصةً واحدة منهن: جمال داكن الشعر وعيون كبيرة ترتدي قبعة صغيرة من فرو الأرميني.

كان لدانديليون منافسين على انتباه تلك الإلفية ذات العينين الكبيرتين والقبعة الجميلة، جذبت انتباه الجمهور أيضًا، وكان عدد من الفرسان، والطلاب، والشعراء يقدمون لها الاهتمام بأعينهم. كانت مستمتعة بذلك الاهتمام، تلتقط أطراف أكمام قميصها المخرمة وترفرف بأهدابها، لكن مجموعة الجان المحيطة بها أحاطتها من جميع الجهات، دون أن يكترثوا بإخفاء كراهيتهم لمعجبيها.

المستنقع تحت بليوبيريس (شجرة البلوط العظيمة) كان مكانًا للتجمعات المتكررة، وموضع راحة مشهور للمسافرين وملتقى للرحالة، وكان مكاناً مشهورًا بالتسامح والانفتاح.

أطلق الكهنة الذين يحمون هذه الشجرة القديمة على هذا المكان اسم "مقعد الصداقة" ورحبوا بجميع الوافدين برحابة صدر.

ولكن حتى خلال حدث استثنائي كالأداء الذي قدمه الشاعر الشهير عالميًا، إكتفى المسافرون بأنفسهم، وظلوا في مجموعات محددة. بقي الإلفيين مع بعضهم. وتجمع الحرفيون الأقزام مع أقاربهم الذين كانوا غالبًا ما يستأجرون لحماية قوافل التجار.

كانت مجموعاتهم تتسامح بأفضل الأحوال مع عمال المناجم الأقزام والمزارعين من نصف الأقزام الذين يخيمون بجانبهم.

في ذات الوقت كان تلك الأنواع من غير البشر بعيدين عن البشر. مما اضطر معه البشر للمعاملة بالمثل، ولكن لم يُر أنهم يختلطون فيما بينهم أيضًا.

النبلاء ينظرون بازدراء للتجار وبائعي المتجولين، بينما كان الجنود والمرتزقة ينأون بأنفسهم عن الرعاة ورائحة جلود أغنامهم الكريهة.

بضعة سحرة مع تلاميذهم أبقوا أنفسهم بعيدين تمامًا عن الآخرين، وأبدوا غرورهم للجميع بالتساوي.

مجموعة من الفلاحين متماسكون صامتون يتربصون في الخلفية. كانوا يشبهون الغابة بمذاريهم، مذاريهم وفؤوسهم التي تبرز فوق رؤوسهم، وقد تم تجاهلهم من قبل الجميع.

الاستثناء -كما هو الحال دائمًا -كان الأطفال. وما أن تحرروا من قيود الصمت التي فرضت عليهم خلال أداء الشاعر، ما أن انطلقوا إلى الغابة بأصوات صاخبة، وغمروا أنفسهم بحماس في لعبة كانت قواعدها غير مفهومة لجميع أولئك الذين ودعوا سنوات الطفولة السعيدة.

أطفال الإلف، الأقزام، نصف الأقزام، الأقزام، نصف الإلف، ربع الإلف والأطفال الصغار من أصل غامض كانوا لا يعرفون أو يعترفون بالتقسيمات العرقية أو الاجتماعية. على الأقل، ليس بعد.

-"بالفعل!" صرخ أحد الفرسان الحاضرين في المستنقع، وكان نحيفًا كقضيب الفاصوليا ويرتدي سترة حمراء وسوداء مزينة بثلاثة أسود ماشية. "الساحر يقول الحقيقة! .. كانت الأناشيد جميلة.. سيد داندليون المحترم .. إذا مررت بالقرب من بالدهورن - قلعة سيدي - توقف دون تردد لحظة وسيتم الترحيب بك كأمير .. ماذا أقول؟ مرحبًا بك مثل الملك فيزيمير نفسه! أقسم بسيفي، لقد سمعت الكثير من الشعراء لكن لم يقترب أحد قط من أن يكون نظيرًا لك .. اقبل احترامنا وتحياتنا .. نحن الفرسان المولودين، والفرسان المعينين، لمهاراتك!"

شعر داندليون بأنه التوقيت المثالي فغمز لتلميذه، لذا أسرع الصبي بوضع عوده جانبًا وأخذ صندوقًا صغيرًا كان يستخدم لجمع تبرعات الجمهور.

تردد الصبي لبرهة وجال بنظره على الحشد، ثم أعاد الصندوق الصغير وأخذ دلوًا كبيرًا كان موضوعاً بجانبه. منح السيد داندليون ابتسامة تقدير للشاب على حكمته تلك.

- "سيد داندليون!" صرخت امرأة كبيرة تجلس على عربة جوانبها مصبوغة بعلامة "فيرا لووينهوبت وأبناؤها"، كانت العربة مليئة بالسلال وقد اختفى أبناؤها لانشغالهم بتبديد ثروة أمهم التي كسبتها بشق الأنفس.

"سيد داندليون، ما هذا؟ هل ستتركنا في حالة ترقب؟ لا يمكن أن تكون هذه نهاية قصيدتك؟ غن لنا ما حدث بعد ذلك"!

إنحنى دالديون قائلاً: "الأغاني والقصائد" "لا تنتهي أبدًا، سيدتي العزيزة، لأن الشعر أبدي وخالد، لا يعرف بداية، ولا يعرف نهاية."

- "لكن ماذا حدث بعد ذلك؟" لم تستسلم التاجرة، وقامت برمي العملات المعدنية بسخاء في الدلو الذي كان يحمله تلميذ دانديليون. "على الأقل أخبرنا بما حدث، حتى إذا لم تكن ترغب في الغناء عنه. أغانيك لا تذكر أسماء، لكننا نعلم أن الساحر الذي تغني عنه هو جيرالت الشهير من ريفيا، والساحرة التي يحترق بالحب لها هي الشهيرة أيضًا ينيفر. وطفل المفاجأة، المقدر للساحر والمُقَسَّم له منذ الولادة، هو سيريلا، الأميرة المسكينة لسينترا، المدينة التي دمرها الغزاة. أأنا محقة؟"

ابتسم دانديليون في غموض وتعالي قائلاً: "أنا أغني عن أمور عالمية، سيدتي العزيزة والسخية، عن مشاعر يمكن لأي شخص تجربتها. وليس عن أشخاص محددين".

"هيا!" صرخ صوت من الجمهور. "الجميع يعرف أن هذه الأغاني تتحدث عن جيرالت الساحر"!

"نعم، نعم!" صرخن بنات البارون فيليبرت معًا، مجففات أوشحتهم المبللة. "غنٍ، سيد دانديليون! ماذا حدث بعد ذلك؟ هل وجد الساحر وينيفر الساحرة بعضهما في النهاية؟ وهل أحبا بعضهما؟ هل كانا سعيدين؟ نريد أن نعرف"!

- "كفى!" صاح قائد الأقزام بزمجرة في حلقه، وهو يهز لحيته الحمراء الطويلة حتى الخصر. "هذا هراء – كل هذه الأميرات، الساحرات، القدر، الحب وحكايات النساء الخيالية. إذا سمحت لي بالتعبير، أيها الشاعر العظيم، فكلها أكاذيب، مجرد اختراع شعري لجعل القصة أكثر جمالًا وتأثيرًا. ولكن عن أفعال الحرب – مذبحة ونهب

سينترا، معارك مارنادال وسودين – لقد غنَّيت عن ذلك بقوة، دانديليون! لا ندم على خسارة الفضة من أجل أغنيةٍ كهذه، إنها مبهجة لقلب المحارب! وأنا، شيلدون سكاگز ، أُعلن أنه لا توجد ذرة من الأكاذيب في ما تقوله – ويمكنني تمييز الأكاذيب من الحقيقة لأنني كنت هناك في سودين. وقفت ضد الغزاة النيلفجارديين بسيف في يدي..."

صرخ فارس نحيف ذو ثلاثة أسود موشاة على سترته : "أنا، دونيمير من طروادة، كنت في معركتي سودين! لكن لم أرَك هناك، أيها القزم! لا شك أنك كنت تعتني بقافلة الإمدادات! بينما كنت أنا في الخط الأمامي حيث كانت الأمور تزداد سخونة!"

رد شيلدون سكاگز: "انتبه لكلامك، يا ملتحٍ!"

قال دونيمير من طروادة وقد احمر وجهه، وهو يشد حزام سيفه. "ولمن تتحدث! انتبه لنفسك!"

ضرب القزم راحته على الفأس المثبت في حزامه، والتفت إلى رفاقه وابتسم.

"هل رأيتموه هناك؟ فارس مهووس! ترى شاراته؟ ها! ثلاثة أسود على درع؟ اثنان يتغوطان والثالث يهدر!"

- "السلام، السلام!" قام كاهن رمادي الشعر برداء أبيض بتفادي المشاكل بصوت حاد وسلطوي. "هذا لا يليق، أيها السادة! ليس هنا، تحت تاج بليوبيريس، البلوط الأقدم من نزاعات وخلافات العالم! وليس في حضور الشاعر دانديليون، الذي ينبغي أن نتعلم من قصائده عن الحب، وليس النزاع."

- "صحيح!" قال كاهن قصير وسمين بوجه يلمع بالعرق مؤيدًا الكاهن.

- "أنتم تنظرون لكن بلا عيون، وتسمعون لكن بلا آذان. لأن الحب الإلهي ليس فيكم، أنتم كالبراميل الفارغة

- " بالحديث عن البراميل"، صرخ قزم ذو أنف طويل من عربته، المطلية بلافتة "أدوات حديدية، تصنيع وبيع"، "دحرجوا برميلًا آخر، أيها الحرفيون! من المؤكد أن حلق الشاعر دانديليون جاف - وحلقنا نحن أيضًا، من كل هذه المشاعر!"

- إستطرد الكاهن: "بالفعل، مثل البراميل الفارغة، أقول لكم!" ، كان مصمماً على عدم التوقف مغطياً صوت القزم العامل بالأدوات الحديدية. "لم تفهموا شيئًا من قصيدة السيد دانديليون، لم تتعلموا شيئًا! ألم تروا أن هذه القصائد تتحدث عن مصير الإنسان، وأننا لسنا سوى دمى في أيدي الآلهة، وأراضينا ليست سوى ملعب لهم. القصائد عن القدر تجسد مصائرنا جميعًا، وأسطورة جيرالت الساحر والأميرة سيريلا - على الرغم من أنها مستندة إلى خلفية حقيقية لتلك الحرب – هي في النهاية مجرد استعارة، إبداع وخيال شاعر مصمم على مساعدتنا

— " "أنت تتحدث بالهراء، يا رجل الدين!" صرخت فيرا لووينهوبت من ارتفاع عربتها. "ما الأسطورة؟ ما الإبداع التخييلي؟ ربما لا تعرفه، لكنني أعرف جيرالت من ريفيا. رأيته بعيني في فيزيما، عندما كسر التعويذة الملقاة على ابنة الملك فولتيست. وقابلته مرة أخرى لاحقًا في طريق التجار، حيث - بناءً على طلب جيلديا - قتل جريفن شرس كان يتربص بالقوافل وأنقذ أرواح العديد من الناس الطيبين. لا. هذه ليست أسطورة أو خرافة. إنها الحقيقة، الحقيقة الصادقة، التي غناها لنا السيد دانديليون."

- "أؤيد ذلك" .. قالتها تلك المحاربة النحيلة وقد انسدل شعرها الأسود مجدولاً في ضفائر سميكة. "أنا ريلا من ليريا، أعرف أيضًا جيرالت الذئب الأبيض، القاتل الشهير

للوحوش. وقد قابلت الساحرة، السيدة ينيفر، في عدة مناسبات - كنت أزور أيديرن وبلدتها فنجربيرغ. لكنني لا أعرف أي شيء عن حبهما، رغم ذلك."

- "لكن يجب أن تكون حقيقة،" قالت الجنية الجميلة ذات القبعة المنمقة وبصوت موسيقي. "لا يمكن لقصيدة حب جميلة كهذه إلا أن تكون حقيقة." "لا يمكن!" دعمنها ها بنات البارون فيليبرت، وقد مسحن عيونهن بأوشحتهن تأثراً .. "لا بأي حال!"

-"الساحر المحترم!" توجهت فيرا لووينهوبت إلى رادكليف. "هل كانا في يحبان بعضهما أم لا؟ لاشك أنك تعرف ما حدث حقًا بينهما، ينيفر والويتشر. إكشف لنا السر! إذا قالت الأغنية إنهما كانا في حب".

- " رد الساحر، " هذا ما حدث، وسيظل حبهما على مدى العصور. هذه هي قوة الشعر.

- "يقال ... - قاطع البارون فيليبرت فجأة - أن ينيفر من فنجربيرغ قد قتلت في تل سودين، لقد قتلت عدة ساحرات هناك.. "

- "هذا غير صحيح،" قال دونيمير من طروادة. "اسمها ليس على النصب التذكاري. أنا من تلك المناطق وصعدت تلة سودين عدة مرات وقرأت الأسماء المحفورة على النصب التذكاري. ثلاث ساحرات متن هناك: تريس مريجولد، ليتا نيد، المعروفة باسم كورال... هممم... واسم الثالثة انزلق من ذهني..."

نظر الفارس إلى الساحر رادكليف، الذي ابتسم دون كلام. "وهذا الساحر،" نادى شيلدون سكاگز فجأة، "جيرالت هذا الذي أحب ينيفر، قد لقي حتفه أيضًا، على ما

يبدو. سمعت أنه قتل في مكان ما في ترانزريفر. قتل وقتل الوحوش حتى وجد ندًا له. هذا هو الحال: من يقاتل بالسيف يموت بالسيف. كل شخص يواجه في النهاية من هو أفضل منه، ويُجبر على تذوق الحديد البارد الصلب."

- "لا أصدق ذلك." لوت المحاربة النحيلة شفتيها الشاحبتين، وبصقت بقوة على الأرض ووضعت ذراعيها المغطاة بالدرع متقاطعتين بصوت طقطقة. "لا أعتقد أن هناك أي شخص يمكنه تجاوز جيرالت من ريفيا. لقد رأيت هذا الساحر يتعامل مع السيف. سرعته ببساطة غير إنسانية—"

- "حسنًا قيل،" أضاف الساحر رادكليف. "لا إنسانية الويتشر المتحولون، لذا فإن ردود أفعالهم ... " قاطعته المحاربة .. "لا أفهمك أيها الساحر." وقد لوّت شفتيها بشكل أكبر من ذي قبل. "كلماتك متعالية جدًا. أعرف شيئًا واحدًا: لا يوجد مبارز رأيته يمكنه مجاراة جيرالت من ريفيا، الذئب الأبيض. لذا لن أصدق أنه هزم في معركة كما يدعي القزم."

- قال شيلدون سكاگز بلهجة حكيمة "كل مبارز يصبح أحمقاً عندما يكون العدو غير كفؤ.. كما يقول الإلفيون."

- "الإليفيون" قال ممثل طويل القامة، أشقر الشعر من العرق القديم ببرودة، من مكانه بجانب الجنية ذات القبعة الجميلة، "ليسوا معتادين على استخدام مثل هذه اللغة السوقية."

- "لا! لا!" صرخن بنات البارون فيليبرت من وراء أوشحتهن الخضراء. "جيرالت الويتشر لم يقتل! الويتشر وجد سيري، الطفلة المقدرة له، ثم وجد الساحرة ينيفر، وعاش الثلاثة بسعادة دائمة! أليس كذلك، سيد دانديليون؟"

- قال القزم الذي يعمل بتصنيع الأدوات الحديدية بفم جاف: "كانت مجرد قصيدة ياسيداتي النبيلات لماذا تبحثن عن الحقيقة في قصيدة؟! فالحقيقة شيء والشعر شيء آخر. دعونا نأخذ – ما اسمها؟ – سيري؟ طفلة المفاجأة الشهيرة، السيد دانديليون ربما قد اخترع ذلك بالتأكيد، لقد ذهبت إلى سينترا مرات عديدة وكان الملك والملكة يعيشان في قصرهما دون أطفال، بلا ابنة ولا ابن

- صرخ رجل ذو شعر أحمر يرتدي سترة من جلد الفقمة، ووشاح مربعات مربوط حول جبهته: " كذاب! الملكة كالينثي، لبؤة سينترا، كان لديها ابنة تدعى بافيتا وقد ماتت مع زوجها في عاصفة ضربت البحر، وابتلعتهما الأعماق، لذا ترون بأنفسكم أنني لا أختلق هذا!"

- نادى القزم العامل في الأدوات الحديدية الجميع ليكونوا شهوده قائلاً: "الأميرة سينترا كان اسمها بافيتا، وليس سيريلا، المعروفة باسم سيري، كانت ابنة هذه الغارقة بافيتا".

شرح الرجل ذو الشعر الأحمر: "حفيدة كالينثي لم تكن الأميرة نفسها، بل ابنة أميرة سينترا، كانت الطفل المفاجأة المقدرة للويتشر، الرجل الذي – حتى قبل ولادتها – قد أقسمت الملكة بتسليم حفيدتها له، تمامًا كما غنى السيد دانديليون. لكن الويتشر لم يتمكن من العثور عليها ولا الإلتقاء بها. وهنا أخطأ شاعرنا في الحقيقة."

تدخل شاب نحيل البنية، يظهر من ملابسه أنه حرفي يجول قبل أن يصنع تحفته الفنية ويجتاز امتحاناته: "أوه نعم، لقد فاته الحقيقة بالفعل، تجاوز القدر الويتشر: لقد قُتلت سيريللا أثناء حصار سينترا. قبل أن ترمي نفسها من البرج، قتلت الملكة كالينثي ابنة الأميرة بيدها، لمنعها من الوقوع في مخالب النيلفجارديين وهي على قيد الحياة."

- اعترض الرجل ذو الشعر الأحمر قائلاً: "لم يكن الأمر كذلك. ليس هكذا على الإطلاق! قُتلت ابنة الأميرة أثناء المذبحة بينما كانت تحاول الهروب من البلدة." –

- صرخ عامل الأدوات الحديدية: "بطريقة أو بأخرى، لم يجد الويتشر سيريللا! لقد كذب الشاعر! لكنه كذب بشكل جميل"،

- قالت الإلفية ذات القبعة المنمقة، متكئة على الإلف الطويل الأشقر:"المسألة ليست مسألة شعر بل مسألة حقائق!"

صرخ الحرفي:"أقول لكم، قُتلت ابنة الأميرة على يد جدتها، يمكن لأي شخص زار سينترا أن يؤكد ذلك!"

- أعلن الرجل ذو الشعر الأحمر: "وأنا أقول إنها قُتلت في الشوارع أثناء محاولتها الهروب، أعرف ذلك لأنه على الرغم من أنني لست من سينترا، لقد خدمت في قوات إيرل سكيليج التي دعمت سينترا خلال الحرب. كما يعلم الجميع، إيست تيرساش، ملك سينترا، يأتي من جزر سكيليج. كان عمه الإيرل. قاتلت في قوات الإيرل في مارنادال وسينترا وبعد ذلك، بعد الهزيمة، في سودين".

- تذمر شيلدون سكاكَز للأقزام المتجمعين حوله: "محارب آخر! جميعهم أبطال ومحاربون. هيا ياقوم! أهناك أحد منكم لم يقاتل في مارنادال أو سودين؟"

- وبخه الإلف الطويل: "هذا الانتقاد في غير محله ياسكاگز"، وأضاف: - واضعًا ذراعه حول الإلف الجميلة ذات القبعة المنمقة بطريقة تهدف إلى تبديد أي شكوك باقية بين معجبيها- "لا تتخيل أنك الوحيد الذي قاتل في سودين. لقد شاركت في المعركة أيضًا."

- قال البارون فيليبرت لرادكليف بصوت مسموع للغاية والذي تجاهله الإلف تمامًا: "من أي جانب، أتساءل- كما يعلم الجميع- تابع دون أن يمنح البارون أو الساحر حتى نظرة واحدة، "أكثر من مئة ألف محارب وقفوا على الميدان خلال المعركة الثانية لتل سودين، وقُتل أو تشوه ما لا يقل عن ثلاثين ألفًا من المحاربين. يجب شكر السيد دانديليون لتخليده لهذه المعركة الشهيرة الرهيبة في إحدى قصائده. في كلمات الأغنية ولحنها سمعت تحذيرًا وليس تمجيدًا. لذلك أكرر: أشيدوا وامتنوا إلى الأبد لهذا الشاعر على قصيدته، التي قد تمنع مأساة مروعة كهذه الحرب القاسية وغير الضرورية من الحدوث في المستقبل."

- "بالفعل"، قال البارون فيليبرت، متحديًا الإلف بنظراته. "لقد قرأت بعض الأشياء المثيرة للاهتمام في هذه القصيدة، يا سيدي المحترم. حرب غير ضرورية، تقول؟ تود تجنب مثل هذه المأساة في المستقبل، أليس كذلك؟ هل نفهم أنك تنصحنا بالاستسلام إذا هاجمنا النيلفجارديون مرة أخرى ؟ وقبول ظلم النيلفجارديين بتواضع؟"

- رد الإلف ببرود: "الحياة هدية لا تقدر بثمن ويجب حمايتها، لا شيء يبرر القتل الجماعي والتضحية بالحياة، وهذا ما كانت عليه المعارك في سودين – كلا المعركتين، الخاسر والمنتصر فيها. كلاهما كلف البشر آلاف الأرواح. ومعهم، فقدتم إمكانيات لا يمكن تصورها".

- زأر شيلدون سكاكز : " "هذا هراء! كلام فارغ بلا قيمة! كان الثمن الذي يجب دفعه للسماح للآخرين بالعيش بكرامة، بسلام، بدلاً من أن يكونوا مقيدين، معصوبي الأعين، مضروبين بالسياط ومجبرين على العمل في مناجم الملح والكبريت. وأولئك الذين ماتوا موتًا بطوليًا، وحتى الذين يعيشون الآن منهم، بفضل دانديليون، سيخلدون إلى الأبد في ذاكرتنا، لقد علمونا الدفاع عن بيوتنا. غنِ أغانيك يا سيد دانديليون، غنِها للجميع فدرسك لن يضيع هباءً، وسيكون مفيدًا، سترى! لأن - انتبهوا إلى كلماتي- سيهاجمنا النيلفجارديون مرة أخرى. إذا لم يكن اليوم، فغدًا! إنهم يلعقون جراحهم الآن، يتعافون، ولكن اليوم الذي سنرى فيه عباءاتهم السوداء وخوذاتهم المزينة بالريش يقترب أكثر فأكثر!".

- صرخت فيرا لووينهوبت: "ماذا يريدون منا؟ لماذا يتعمدون اضطهادنا؟ لماذا لا يتركوننا بسلام، يتركوننا لحياتنا وعملنا؟ ماذا يريد النيلفجارديون منا؟"

- رد البارون فيليبرت بصوت أشبه بالعواء: "إنهم يريدون دمائنا! وأرضنا!"

- صرخ شخص ما من حشد الفلاحين: "ونسائنا!"

بدأ بعض الناس يضحكون – بصوت خافت وسرية قدر الإمكان على الرغم من أن فكرة أن أي شخص آخر غير قزم سيرغب في إحدى النساء الأقزام غير الجذابات للغاية كانت مضحكة للغاية، إلا أنها لم تكن موضوعًا آمنًا للسخرية أو المزاح – خاصةً في وجود الأفراد القصيرين، الممتلئين، الملتحين الذين كانوا دائمًا ما يسحبون محاورهم وسيوفهم القصيرة من أحزمتهم إلى أيديهم بسرعة لا تُصدق. ولسبب غير معروف، كان الأقزام مقتنعين تمامًا بأن بقية العالم ينتظر بفارغ الصبر زوجاتهم وبناتهم، وكانوا شديدي الحساسية حيال ذلك.

- أضاف شيلدون سكاكز بغضب شديد: "كان لا بد أن يحدث هذا في وقت ما".

أعلن الكاهن الرمادي الشعر فجأة: "كان لا بد أن يحدث هذا. نسينا أننا لسنا الوحيدين في هذا العالم، أن الكون بأسره لا يدور حولنا. مثل الأسماك الكسولة السمينة في بركة زلقة اخترنا عدم قبول وجود الحوت. سمحنا لعالمنا أن يتحول لبركة، أن يصبح زلقًا، مغمورًا وبطيئًا. انظروا حولكم – الجريمة والخطيئة في كل مكان، الجشع، السعي لتحقيق الربح، النزاعات والخلافات واسعة الانتشار. تقاليدنا تتلاشى، والاحترام لقيمنا يتلاشى. بدلاً من العيش وفقًا للطبيعة بدأنا ندمرها. وماذا حصلنا مقابل ذلك؟ الهواء ملوث برائحة أفران الصهر، الأنهار والجداول ملوثة بمذابح الجلود والمدابغ، الغابات تُقطع دون تفكير... ها، انظروا فقط! – حتى على لحاء بليوبيريس المقدس الحي، هناك فوق رأس الشاعر، توجد عبارة قذرة محفورة بسكين – وأيضًا بها خطأ إملائي – من قبل مخرب غبي وغير متعلم. لماذا تتفاجأ؟ كان لا بد أن ينتهي الأمر بشكل سيء".

- إنضم الكاهن السمين مؤيداً: "نعم، نعم! تعالوا إلى رشدكم، أيها الخاطئون، بينما لا يزال هناك وقت، لأن غضب وانتقام الآلهة يتدلّى فوقكم! تذكروا نبوءة إيثيلين، الكلمات النبوية التي تصف عقوبة الآلهة المحفوظة لقبيلة ملوثة بالجريمة! 'سيأتي وقت الاحتقار، عندما تفقد الشجرة أوراقها، وتذبل البراعم، ويعفن الثمر، ويصبح البذر مريراً وتتدفق الوديان بالجليد بدلاً من الماء. سيأتي البرد الأبيض، وبعده النور الأبيض، وسيفنى العالم تحت العواصف الثلجية.' هكذا تحدثت النبية إيثيلين! وقبل أن يحدث هذا، ستكون هناك علامات واضحة، أوبئة ستجتاح الأرض – تذكروا! – إن

النيلفجارديين هم عقابنا من الآلهة! إنهم السوط الذي سيجلدنا به الخالدون، حتى تتمكنوا من..."

- زأر شيلدون سكاگز، وهو يدوس بحذائه الثقيل مقاطعاً: "صمت أيها الرجل العجوز المتقدس! خزعبلاتك الخرافية تصيبني بالمرض! إن أحشائي تتقلب ..."

- قاطعه الإلف الطويل بابتسامة: "احذر، شيلدون، لا تسخر من ديانة الآخرين. إنه ليس لطيفًا، ولا مؤدبًا أو... آمنًا".

"- أكمل القزم محتجاً: "أنا لا أسخر من أي شيء، لا أشك في وجود الآلهة، لكنني أستاء عندما يجرنا أحدهم إلى أمور دنيوية ثم يحاول أن يخدعني باستخدام نبوءات الإلف الجنونية، النيلفجارديون أهم أداة الآلهة؟! هراء! ابحث في ذاكرتك إلى الماضي، إلى أيام دزموند، راداويد وسامبوك، إلى أيام أبراد، البلوط القديم! قد لا تتذكرها، لأن حياتكم قصيرة جدًا – فأنتم مثل الحشرات الطائرة في مايو – لكنني أتذكر، وسأخبركم بما كان عليه الحال في هذه الأراضي بعد أن صعدتم من قواربكم في مصب ياروغا ودلتا بونتار إلى الشاطئ. نشأت ثلاث ممالك من السفن الأربع التي رست على تلك الشواطئ؛ المجموعات الأقوى استوعبت الأضعف وبالتالي نمت، وقوت مواقفها. غزوا أراضي الآخرين، واستولوا عليها، وتوسعت ممالكهم، وأصبحت أكبر وأقوى. والآن يفعل النيلفجارديون الشيء ذاته، لأنهم بلد قوي وموحد ومنضبط ومترابط بإحكام. وإذا لم تغلقوا الصفوف بنفس الطريقة، سيبتلعكم النيلفجارديون كما يبتلع الحوت السمك الصغير، كما قال هذا الكاهن الحكيم"!

- "دعهم يحاولوا فقط!" انتفخ دونيمير من طروادة صدره الموشى بالأسود وهز سيفه في غمده. مكملاً: "لقد هزمناهم في تل سودين، ويمكننا فعل ذلك مرة أخرى"!

- "أنت واثق جدًا من نفسك،" تذمر شيلدون سكاگز. "من الواضح أنك نسيت، أيها الفارس، أنه قبل معركة تل سودين، تقدم النيلفجارديون عبر أراضيكم مثل بكرة حديدية، ونثروا الأرض بين مارنادال وترانزريفر بجثث العديد من الرفاق الشجعان مثلك. ولم يكن الأذكياء كثيروا الكلام ممن هم مثلك هم من أوقفوا النيلفجارديين، بل القوة المتحدة لتميريا، ريدانيا، أيديرن وكيدوين. التوافق والوحدة، هذا ما أوقفهم!"

- "ليس فقط هذا،" قال رادكليف بصوت بارد ورنان. "ليس فقط هذا، سيد سكاگز."

- تجشأ القزم بصوت عال، ونفث أنفه، وتحرك على قدميه ثم انحنى قليلاً للساحر قائلاً: "لا أحد ينكر مساهمة جماعتكم، عيب على من لا يعترف ببطولة جماعة السحرة في تل سودين. لقد أثبتوا شجاعتهم، ونزفوا الدماء من أجل القضية المشتركة، وساهموا بشكل كبير في انتصارنا. لم ينسَ دانديليون ذكرهم في قصيدته، ولن ننسَ نحن أيضاً. لكن لاحظ أن هؤلاء السحرة كانوا متحدين ومخلصين على التل، وقبلوا قيادة فيلجفورتز من روغفين تمامًا كما اعترفنا نحن محاربو الممالك الأربع بقيادة فيزيمير من ريدانيا. إنه مجرد عار أن هذه الوحدة والاتفاق استمرت فقط خلال الحرب، لأن، مع السلام، هنا نحن منقسمون مرة أخرى. فيزيمير وفولتست يخنقان بعضهما بالضرائب الجمركية وقوانين التجارة، ديمويند من أيديرن يتشاجر مع هينسلت حول المناطق الشمالية بينما رابطة هينگفورس وثيسينيدز من كوفير لا يهتمون. وسمعت أن البحث عن الاتفاق القديم بين السحرة عديم الفائدة أيضًا. نحن لسنا متماسكين، ليس لدينا انضباط ولا وحدة. ولكن النيلفجارديون لديهم ذلك!".

- صرخ البارون فيليبرت: "النيلفجارديون يحكمهم الإمبراطور إمهير فار إمريس، طاغية ومستبد يفرض الطاعة بالسوط والمشنقة والفأس! فماذا تقترح، يا سيد الأقزام؟ كيف من

المفترض أن نوحد صفوفنا؟ أبنفس الطريقة الاستبدادية؟ وبأي ملك وأي مملكة في رأيك يجب أن تخضع للآخرين؟ في يدي من تود أن ترى الصولجان والسوط؟"

- رد سكاگز وهو يهز كتفيه: "لا يهمني! فهذه مسألة بشرية، من تختارونه ملكًا لن يكون قزمًا على أية حال أو حتى إلفياً، أو نصف جن،"

- أضاف ممثل طويل للعرق القديم - وذراعه لا يزال ملتفًا حول الإلفية الجميلة ذات القبعة المنمقة: "تعتبرون حتى ربع الجان أقل! هذا ما يؤلم،"

- ضحك فيليبرت: "أنت تنفخ في نفس البوق مثل النيلفجارديون، لأن النيلفجارديون أيضًا يصيحون عن عدم المساواة، ويعدونك بالعودة إلى النظام القديم بمجرد أن يتم غزونا ويتم جزّنا من هذه الأراضي. هذا هو نوع الوحدة، نوع المساواة التي تحلم بها، نوع الوحدة التي تتحدث عنها وتطبل لها! النيلفجارديون يدفعون لك الذهب للقيام بذلك! وليس من المستغرب أنك تحبهم كثيرًا، كون النيلفجارديون جنسًا إلفياً".

- "هراء"، قال الإلفي ببرودة. "أنت تتحدث بالتفاهات أيها الفارس. من الواضح أنك أعمى بسبب العنصرية. النيلفجارديون بشر، مثلك تمامًا."

- "هذا كذب صريح! إنهم من نسل سود سيدهي والجميع يعرف ذلك! دم الإلفيون يجري في عروقهم! دم الجان!" "وماذا يجري في عروقك؟"

- ابتسم الجني بازدراء. "لقد جمعنا دمائنا لأجيال، لقرون، عرقك وعرقي، وفعلنا ذلك بنجاح – لحسن الحظ أو لسوء الحظ، لا أدري. بدأتم اضطهاد العلاقات المختلطة قبل أقل من ربع قرن، وبالمناسبة، لم تكن ناجحة جدًا. لذلك أرني بشريًا الآن لا يحمل قطرة دم من سيدهي إيشير، دم العرق القديم."

أصبح وجه فيليبرت أحمر بشكل واضح. كذلك احمرت فيرا لووينهوبت. انحنى الساحر رادكليف برأسه وسعل. والأكثر إثارة للاهتمام، أن الإلفية الجميلة ذات القبعة المنمقة احمرت أيضًا.

- "كلنا أبناء الأرض الأم." تردد صوت الكاهن رمادي الشعر قاطعاً الصمت. "نحن أبناء الطبيعة الأم. وعلى الرغم من أننا لا نحترم أمنا، على الرغم من أننا كثيرًا ما نقلقها ونتسبب في ألمها، على الرغم من أننا نحطم قلبها، إلا أنها تحبنا. تحبنا جميعًا. دعونا نتذكر ذلك، نحن المجتمعون هنا في هذا المقعد للصداقة. ودعونا لا نتشاجر حول من كان هنا أولاً: كان الجوز الأول الذي قذفه الموج ومن الجوز نشأ بليوبيريس العظيم، أقدم البلوطات. واقفين تحت تاجها، بين جذورها البدائية، دعونا لا ننسى جذورنا الأخوية، الأرض التي تنمو منها هذه الجذور. دعونا نتذكر كلمات قصيدة الشاعر دانديليون"

- "تمامًا!" صرخت فيرا لووينهوبت. "وأين هو؟"

- "لقد هرب"، أكد شيلدون سكاگز وهو ينظر إلى المكان الفارغ تحت البلوط.

- صرخ صانع الأدوات الحديدية: "أخذ المال وهرب دون أن يقول وداعًا. تصرف كالأقزام! تصرف كالبشر!"

- أكد الإلفي الطويل - والجنية الجميلة ذات القبعة المنمقة لازالت مستندة برأسها على كتفه: "تصرف كالبشر!"

* * *

دخلت الأم لانتيري دون أن تطرق الباب قائلة: "يا منشد".. كانت روائح الزنابق والعرق والبيرة ولحم الخنزير المدخن تنبعث منها، ""لديك زائر. ادخل، أيها النبيل المحترم."

سوى دانديليون شعره وجلس في الكرسي الكبير المنحوت بينما بوغتت الفتاتان الجالستان على حجره فقفزتا بسرعة تغطيان جمالهما وتضبطان ملابسهما الفوضوية.

"كان تواضع العاهرات"، فكر الشاعر "إن هذه الجملة ليست عنوانًا سيئًا لقصيدة".

وقف، وضبط حزامه وارتدى سترته المزدوجة، وهو ينظر إلى الرجل النبيل الواقف عند العتبة.

- "بالفعل .. تعرف كيف تجدني في أي مكان، رغم أنك نادرًا ما تختار اللحظة المناسبة. أنت محظوظ لأنني لم أقرر بعد أي من هاتين الجميلتين أفضل". وبأسعارك أيتها الأم لانتيري، لا يمكنني تحمل تكاليفهما معًا."

ابتسمت الأم لانتيري بتعاطف ثم صفقت بيديها للفتاتان لتغادرا بسرعة - فتاة بيضاء البشرة مليئة بالنمش من الجزر، والأخرى فتاة نصف إلفية ذات شعر أسود.

دخل الرجل الواقف عند الباب الغرفة بسرعة. وخلع عباءته وسلمها للانتيري مع كيس صغير ولكن مليء بالنقود.

- "اعذرني، سيدي"، قال وهو يقترب من الطاولة ثم يجلس مرتاحًا: "أعلم أن هذا ليس وقتًا جيدًا لإزعاجك. ولكنك اختفيت من تحت شجرة البلوط بسرعة كبيرة... ولم أتمكن من اللحاق بك على الطريق السريع كما كنت أنوي، كما لم أجد أثرك فورًا في هذه البلدة الصغيرة. لن آخذ الكثير من وقتك، صدقني"

- قاطعة دانديلون " يقولون دائمًا ذلك، ودائمًا ما يكون كذبة، اتركينا وحدنا.. لانتيري، وتأكدي من لا أحد سيزعجنا" والتفت لضيفه: " أنا أستمع، سيدي."، تفحص دانديليون الرجل، كان لديه عيون داكنة، رطبة، تكاد تكون دامعة، وأنف مدبب وشفاه ضيقة وقبيحة.

- "سأصل إلى النقطة دون إضاعة وقتك"، إنتظر إلى أن يُغلق الباب وأكمل: "أغانيك تهمني، سيدي. وبشكل أكثر تحديداً تهمني بعض الشخصيات التي غنيت عنها. يهمني معرفة المصير الحقيقي لأبطال أغانيك، أنا أقصد... سيريللا الصغيرة من سينترا. حفيدة الملكة كالينثي."

نظر دانديليون إلى السقف، وأخذ يطرق بأصابعه الطاولة. ثم قال ببرود، "أنت مهتم بأمور غريبة وتطرح أسئلة غريبة. شيء ما يخبرني أنك لست الشخص الذي ظننتك".

- قال الرجل: "ومن ظننتني، إذا جاز لي أن أسأل؟"

- أجاب دانديليون: "لست متأكدًا إن كان يجوز لك ذلك، إنما يعتمد على ما إذا كنت ستنقل لي تحيات من أي من أصدقاءنا المشتركين. كان يجب عليك القيام بذلك في البداية، لكنك بطريقة ما نسيت."

- "لم أنسَ على الإطلاق." وأخرج من جيب صدر سترته المخملية كيس نقود أكبر قليلاً من ذلك الذي أعطاه للمشرفة ولكنه مليء جيدًا، والذي رن عندما ملامسته للطاولة. وأكمل: "ليس لدينا أصدقاء مشتركين، دانديليون. ولكن هل قد يكون هذا الكيس كافيًا لتخفيف النقص؟" "وماذا تنوي أن تشتري بهذا الكيس الزهيد؟"

- تجهم الشاعر وقال: "بيت دعارة الأم لانتيري بأكمله وكل الأرض المحيطة به؟" "دعنا نقول إنني أنوي دعم الفنون. ودعم الفنانين. من أجل التحدث مع الفنان عن عمله." "أتحب الفن كثيرًا، أليس كذلك، أيها العزيز؟ أهو حيوي للغاية بالنسبة لك أن تتحدث مع فنان لدرجة أنك تضغط عليه بالنقود قبل أن تقدم نفسك، وتكسر بذلك أبسط قواعد الأدب في بداية محادثتنا!".

ضاقت عيون الرجل الغريبة بشكل غير ملحوظ – "لم تكن تزعجك مجهوليتي." "لكنها الآن أصبحت بدأت تزعجني."

- «أنا لست خجلاً من اسمي،» قال الرجل ذلك بينما ظهرت ابتسامة خافتة على شفاهه الضيقة. وأكمل: «أُدعى رينس. أنت لا تعرفني، سيد دانديليون، وهذا ليس مفاجئًا. أنت مشهورٌ جدًا ومعروفٌ لدرجة أنه لا يمكنك معرفة جميع مُعجبيك. لكن كل من يعجب بموهبتك يشعر أنه يعرفك، يعرفك جيدًا لدرجة أن قدرًا من الألفة مسموح به معك. وهذا ينطبق عليّ أيضًا. أعلم أن هذا وهم، فاغفر لي بلطف.»

- دانديليون: «أنا أغفر لك بلطف.»

- رينس: «إذن يمكنني أن أعتمد على موافقتك للإجابة على بعض الأسئلة... »

- دانديليون: «لا! لا يمكنك ذلك،» قطع الشاعر الكلام مُتكلفًا. «الآن، إذا كنت ستغفر لي بلطف، فأنا لست مستعدًا لمناقشة موضوعات عملي أو إلهامه أو شخصياته، سواءً كانت خيالية أو غير ذلك. فعل ذلك سيسلّ الشعر من طلائه الشعري ويؤدي إلى التفاهة.»

- رينس: «حقًا؟»

داندليليون: «بالتأكيد. على سبيل المثال، إذا غنيتُ أغنية عن زوجة الطحان المرحة، ثم أعلنتُ أنها في الحقيقة عن زفيركا، زوجة الطحان لوتش، وأضفتُ إعلانًا أن زفيركا يمكن إغواؤها بسهولة كل يوم خميس لأن الطحان يذهب إلى السوق يوم الخميس، فلن تكون هذه شعرًا بعد الآن. ستكون إما أبياتًا منمقة، أو افتراءً قذرًا.»

- «أفهم، أفهم،» قال رينس ذلك بسرعة. «لكن ربما هذا مثال سيئ. أنا لست مهتمًا، في النهاية، بزلات أو خطايا أي أحد. لن تشوه سمعة أحد بإجاباتك. كل ما أحتاجه هو معلومة صغيرة واحدة: ما الذي حدث حقًا لسيريلا، حفيدة ملكة سينترا؟ كثيرون يدّعون أنها قُتلت خلال حصار المدينة؛ حتى أن هناك شهود عيان يؤكدون ذلك. لكن من خلال أغنيتك، يبدو أن الطفلة نجت. أنا مهتم حقًا بمعرفة: هل هذا من نسج خيالك، أم هو الحقيقة؟ حقيقة أم خيال؟»

- «سعيدٌ جدًا لاهتمامك،» ابتسم داندليليون بتوسع. «يمكنك أن تضحك، سيد... أيًا كان اسمك، لكن هذا بالضبط ما أردتُه حينما كتبت الأغنية. أردتُ أن أثير حماس المستمعين وأستفزّ فضولهم.»

«حقيقة أم خيال؟» كرر رينس ببرودة.

«إذا كشفتُ ذلك، سأدمر تأثير عملي. وداعًا يا صديقي. لقد استنفدت كل الوقت الذي يمكنني منحك إياه. وهناك اثنان من ملهميني الكثر ينتظران في الخارج، يتساءلان أيّهما سأختار.» - يقصد الفتاتان.

بقي رينس صامتًا لفترة طويلة، دون أي حركة للمغادرة. حدّق في الشاعر بعينيه الباردتين الرطبتين، بينما بدأ داندليليون يشعر بقلق متزايد.

وصلت ضجة مرحة من الغرفة الرئيسية في بيت الدعارة، تتخللها ضحكات نسائية حادة بين الحين والآخر. حوّل دانديليون رأسه جانبًا، متظاهرًا بالتكبر الساخر، لكنه في حقيقة الأمر كان يقيس المسافة إلى زاوية الغرفة وإلى المطرزة التي تصور حورية تُرشّ صدرها بالماء من إبريق.

- «دانديليون،» تحدث رينس أخيرًا، وهو يُدخل يده مجددًا في جيب سُترته البنية، «أجب على أسئلتي. أرجوك. يجب أن أعرف الإجابة. إنها مهمة جدًا لي. ولك أيضًا، صدقني، لأنك إذا أجبت بمحض إرادتك، فإن ... »

- قاطعه دانديليون: «فماذا؟»

زحفت تعبيرات مشوهة على شفاه رينس الضيقة، وقال بحدة: «عندها لن أضطر إلى إجبارك على الكلام.»

- «اسمع الآن، أيها الوغد.» نهض دانديليون متظاهرًا بوجهٍ مُهدد. «أكره العنف والإجبار، لكنني سأنادي لانتيري بعد قليل، وهي ستنادي غروزيلا الذي يؤدي الدور المُشرف كحارس في هذا الملهى. إنه فنان حقيقي في مجاله. سيركل مؤخرتك بقوة حتى تحلّق فوق أسطح المدينة ببهاءٍ يجعل المارّة في هذا الوقت يظنونك بيغاسوس.»

أومأ رينس بحركة مفاجئة، ولَمَع شيء في يده قائلاً: «هل أنت متأكد أنك ستحظى بوقتٍ لتناديها؟»

لم يكن لدى دانديليون وقتاً للتفكير في قدرته على التصرف. ولا أن ينتظر لحظة. قبل أن ينغرس خنجر رينس في صدره، فقفز قفزة طويلة إلى زاوية الغرفة، وانحنى تحت

مطرزة الحورية، وركل بابًا سريًا مفتوحًا، وهرول مسرعًا نزولًا على السلالم الملتوية، ممسكًا بحواجز الدرج البالية ببراعة.

انطلق رينس خلفه، لكن الشاعر كان واثقًا فهو يعرف الممر السري كما يعرف كف يده، بعد أن استخدمه مرارًا للهروب من الدائنين والأزواج الغيورين والمنافسين الغاضبين الذين سرق منهم القوافي والألحان بين الحين والآخر. كان يعلم أنه بعد المنعطف الثالث سيتمكن من تحسس باب دوّار، خلفه سُلّم يؤدي إلى القبو. وكان متأكدًا أن مطارده لن يتمكن من التوقف في الوقت المناسب، وسيواصل الركض ويدوس على باب فخ سيُسقطه في زريبة الخنازير. وكان على يقينٍ أيضًا أن مطارده — بعد أن يُكدم ويُغطى بالروث ويُهاجم من الخنازير — سيتخلى عن المطاردة.

لكن دانديليون أخطأ، كما هو الحال دائمًا عندما يفرط في الثقة. لمع شيء أزرق خلفه فجأة، وشعر الشاعر بأطرافه تخدر وتتيبس بلا حياة. لم يستطع إبطاء سرعته نحو الباب الدوّار، فساقاه لم تطيعاه. صاح وتدحرج على السلالم، يصطدم بجدران الممر الضيق. انفتح باب الفخ تحتيه بفرقعة جافة، وسقط المغني في الظلام والنتن. قبل أن يرتطم رأسه بالأرض الترابية ويفقد الوعي، تذكر أن ماما لانتيري ذكرت شيئًا عن إصلاح زريبة الخنازير.

أعاده الألم في معصميه المقيّدين وكتفيه الملتويين بوحشية إلى وعيه. أراد الصراخ لكنه لم يستطع؛ شعر كما لو أن فمه مُلئ بالطين. كان راكعًا على الأرض الترابية، بحبل يصرخ بينما يُسحبه للأعلى من معصميه. حاول الوقوف لتخفيف الضغط على كتفيه، لكن ساقيه كانتا مقيدتين أيضًا. اختنق وكافح بطريقة ما للوقوف، مساعدًا بشكل كبير الحبل الذي جذبه بلا رحمة.

كان رينس واقفًا أمامه، وعيناه الشريرتان تلمعان في ضوء فانوس يحمله رجلٌ أشعث يزيد طوله عن ستة أقدام. وراءه وقف رجل آخر لا يقل طولًا. سمع دانديليون أنفاسه، واستنشق رائحة عَرقٍ عفن. كان هذا الرجل النتن هو من شد الحبل المعلّق على عارضة السقف والمربوط بمعصمي الشاعر.

ارتفعت قدما دانديليون عن الأرض الترابية، بينما أصدر الشاعر صوت صفيرٍ من أنفه عاجزًا عن فعل أي شيء.

«كَفى!» أمر رينس بحدّة – كان قد تحدث بسرعة، لكن الوقت بدا لدانديليون كالأبد. لامست قدماه الأرض، لكنه – رغم رغبته اليائسة – لم يستطع الركوع مجددًا؛ فالحبل المشدود كان لا يزال يرفعه كوتر قوسٍ مُمتَطٍ.

اقترب رينس أكثر. لم يظهر على وجهه أي أثرٍ للعاطفة، وعيناه الرطبتان لم تتغيرا. حتى صوته بقي هادئًا، مُملًا تقريبًا:

«يا أيها الشاعر الحقير. يا وضيع. يا حثالة. يا متعجرفٌ لا قيمة لك. حاولتَ الهرب مني؟ لم يهرب أحدٌ مني بعد. لم ننتهِ من حديثنا، أيها المهرج، يا رأس الخروف. لقد سألتُك سؤالًا في ظروفٍ أجمل من هذه. والآن ستجيب على كل أسئلتي في ظروفٍ أقل جمالًا. ألستَ مصيبًا؟»

أومأ دانديليون بحماس. هنا فقط ابتسم رينس وأعطى إشارة. صرخ الشاعر عاجزًا وهو يحسّ بالحبل يشتدّ وذراعيه الملتويتين للخلف تصدران طقطقةً في المفاصل.

«لا يمكنك الكلام،» أكد رينس بينما لا تزال ابتسامته البشعة تعلو وجهه، «والألم مُبرح، أليس كذلك؟ إعلمْ أنني علقتُك هكذا لمتعتي الشخصية – فقط لأنني أستمتع بمشاهدة المعاناة. استمرّوا، ارفعوه أكثر قليلًا.»

كان دانديليون يلهث بقوةٍ تكاد تُخنقه.

«كَفى!» أمر رينس أخيرًا، ثم اقترب من الشاعر وأمسك بجيبه الممزق. «اسمعني جيدًا أيها الديك الصغير. سأرفع التعويذة لتستطيع الكلام. لكن إذا حاولت رفع صوتك الجميل أعلى من اللازم، فستندم.»

أشار بيده، لامس خاتمه خدّ الشاعر، فأحسّ دانديليون بالحياة تعود إلى فكّه ولسانه وحلقه.

«الآن،» تابع رينس بهدوء، «سأطرح عليك بعض الأسئلة، وعليك الإجابة بسرعة ووضوحٍ دون تردد. وإن تلعثمت أو توقفت للحظة، أو أعطيتني سببًا للشك في صدق كلماتك، ف... انظر إلى الأسفل.»

أطاع دانديليون. اكتشف بذعرٍ أن حبلًا قصيرًا مُربطًا بعقدة كاحليه، وفي طرفه الآخر دلو مملوء بالجير.

ابتسم رينس بوحشية «إذا أمرتُ برفعك أكثر ورُفع هذا الدلو معك، فربما لن تستعيد الإحساس بيديك أبدًا. بعدها، أشكُّ أنك ستستطيع العزف على العود. أشكُّ حقًا. لذا أظنك سَتتحدث. ألستَ مصيبًا؟»

لم يُجِب دانديليون، إذ كان عاجزًا عن تحريك رأسه أو النطق من شدة الرعب. لكن رينس لم يبدُ بحاجةٍ لتأكيد.

قال بصلابة مكملاً: «إعلم أنني سأعرف فورًا إن كنتَ تكذب. لن تنطلي عليّ أي حيل شعرية أو كلام مُبهَم. هذا أمرٌ بسيطٌ بالنسبة لي، تمامًا كشلّ حركتك على السلالم. لذا أنصحك بوزن كل كلمة، أيها الحثالة. لنبدأ ولا نضيع وقتًا. كما تعلم، أنا مهتم ببطلة إحدى أغنياتك، الأميرة سيريلا حفيدة ملكة سينترا، المُلقبة بـ "سيري". شهود العيان يقولون إنها ماتت خلال حصار المدينة قبل عامين، لكن أغنيتك تصف لقاءها بوحشٍ غامضٍ شبه أسطوري... الويتشر جيرالت. بعيدًا عن الهذيان الشعري عن القدر، يبدو من الأغنية أن الطفلة نجت. هل هذا صحيح؟»

- داندليون: «لا أعلم... بحق كل الآلهة، أنا مجرد شاعر! سمعتُ بعض الإشاعات والباقي...»

- دينس: «والباقي؟»

دانديليون: «اختلقته! لا أعرف شيئًا!» عوى الشاعر بينما أشار رينس للرجل النتن فشُد الحبل. «لا أكذب!»

- «صحيح،» أومأ رينس. «لكنك تحاول المراوغة. لم تختلق الأغنية من فراغ. أنت تعرف الويتشر، شوهدت معه مرارًا. تكلّم، إن كنتَ تُقدّر مفاصلك. قل كل ما تعرفه.»

دانيليون: - «هذه سيري،» لهث الشاعر، «كانت مُقدَّرة للويتشر. إنها "مفاجأة القدر"... القصة معروفة. أقسم والداها بتسليمها له ... »

- دينيس: «تسليم طفلة لمُتحوّل مجنون؟ قاتلٍ مأجور؟ هذه خرافات تُخبر بها النساء!»

- دانيليون: «هذا ما حدث، أقسم بروح أمي!» ناح دانديليون. «سمعتُ من مصدر موثوق... أن الصياد كان ...»

- دينيس: «تحدث عن الفتاة. لا أهتم بالويتشر الآن.»

- دانيليون: «لا أعرف عنها شيئًا! كل ما أعرفه أنه ذهب لاستعادتها من سينترا عند اندلاع الحرب. قابلته حينها. أخبرته عن المذبحة، عن موت كالانثي... سألني عن الطفلة... لكن الجميع قُتلوا، لم ينجُ أحد ..»

- دينيس: «استمر. قلل من الاستعارات، وقل المزيد من الحقائق!»

- دانيليون: «عندما علم الويتشر بسقوط سينترا، عدل أمره عن الرحيل. وهربنا شمالًا. ولكننا افترقنا في هنغفورز ولم أره منذ ذلك الحين... لكن لأنه تحدث عن سيري والقدر... ألفتُ الأغنية. لا أعرف أكثر، أقسم لك بذلك!»

التفت رينس إليه بغضب.

- دينيس: «وأين هذا الويتشر الآن؟» قالها هازئاً. «هذا الوحش القاتل المُستأجر، الذي يُحبّ مناقشة القدر؟»

- دانيليون: «أخبرتُك أنني رأيته آخر مرة .. »

- دينيس: «أعرف ما قلته،» قاطع رينس. «استمعتُ جيدًا. والآن أنت من سيستمع. أجب بدقة: إذا لم يرَ أحد الويتشر جيرالت منذ عام، فأين يمكن أن يختبئ؟ ما اسم المكان؟»

- دانيليون: «لا أعرف أين هو!» تكلم المغني بسرعة. «لا أكذب ..»

- دينيس: «سريعٌ جدًا، داندليون!» ابتسم رينس بشؤم. «أنت ماكر لكن غير حذر. تقول إنك لا تعرف أين هو، لكنك تعرف ما هو!»

صكّ دانديليون أسنانه غضبًا ويأسًا.

«حسنًا؟» أشار رينس للرجل النتن. «ما اسم مكان اختبائه؟»

صمت الشاعر. شُد الحبل فالتوت يداه بألم، وارتفعت قدماه عن الأرض. زأر دانديليون، لكن الخاتم السحري لرينس خنق صوته.

«ارفعوه أكثر،» أمر رينس. «أستطيع اختراق عقلك بالسحر، لكنني أستمتع برؤية العيون تخرج من محاجرها! ستتحدث في النهاية.»

أدرك دانديليون أنه سيفعل. دلو الجير يرتطم بالأرض.

«سيدي،» قال الرجل الأول فجأةً وهو يغطي الفانوس بمعطفه، «أحدٌ قادم... امرأة!»

«افعلوا ما تعرفونه!» همهم رينس.

أفلتَ الرجل النتن الحبل، فسقط المغني أرضًا. رأى من موقعه الرجلَ عند الباب، والرجل النتن يكمُن بسكينه.

انفتح الباب بصرير، لتُظهر ظلًا قصيرًا ملفوفًا بمعطف وقبعة مستديرة. ترددت المرأة لحظةً ثم دخلت. انقضَّ الرجل النتن عليها بسكينه، لكن السكين مرَّ خلال عنقها كأنه يقطع دخانًا. كانت الظلُّ سحابةَ دخانٍ آخذةٍ في التلاشي.

قبل أن تختفي تمامًا، اقتحم الظلمةَ شخصٌ آخر، داكنٌ ورشيقٌ كابن عرس. رأى دانديليون الرجلَ يلقي بمعطفه على حامل الفانوس، يقفز فوق الرجل النتن، ثم لمع شيء في يده. سمع لهاث الرجل النتن وهو يختنق.

تحرر حامل الفانوس من المعطف، وهجم بسكينه. وانطلق برقٌ ناريٌّ من يد الشخص الغامض، ليلتصق بوجه الرجل وصدره كزيت مشتعل. صاح الرجل مُدويًا، وامتلأ المكان برائحة اللحم المحترق.

هاجم رينس. أطلقت تعويذته وميضًا أزرقَ كشفَ للملحظة امرأةً نحيلةً بملابس رجالية تلوح بيديها. اختفى الوميض بفرقعةٍ عمياء. ارتدّ رينس يزمجر، محطمًا جدار الزريبة.

فقفزت المرأة خلفه، وخنجرها يلمع، بينما ظهر شكل بيضاوي ذهبيٌّ في الهواء، فقفز رينس داخله واختفى. ركضت المرأة نحوه وهي تصرخ، مدَّت يدها فغلى الشكل البيضاوي بلهبٍ هادر. سمع دانديليون صرخةً مكتومةً جاءت من بعيد.

انطفأ الشكل البيضاوي، وعاد الظلام. شعر الشاعر بأن القيود السحرية قد زالت.

أخذ داندليون يصرخ: «النجدة! .. النجدة!»

«كف عن الصراخ، دانديليون،» قالت المرأة وهي تجثو بجانبه وتقطع الحبال بخنجر رينس.

- «ينيفير؟ أهذه أنتِ؟»

- «ألا تتذكر ملامحي؟ وصوتي حتمًا مألوفٌ لأذنك الموسيقية. هل تستطيع النهوض؟ لم يكسروا عظامك؟ أليس كذلك؟»

نهض الشاعر بصعوبة، وأنَّ مرخياً كتفيه الموجوعين.

- «ماذا عنهم؟» أشار إلى الجثث على الأرض.

- «سنفحصهم،» قالت الساحرة وهي تطوي الخنجر. «أحدهم قد يكون حيًا. لدي أسئلة له.»

وقف المغني فوق الرجل النتن مشيراً: «هذا ربما لا يزال يتنفس.»

«أشك،» قالت ينيفير بلامبالاة. «قطعتُ حنجرته وشريانه. ربما ما زال فيه نبض خفيف، لكن ليس لوقت طويل.»

ارتعد دانديليون: «أشققتِ حلقه؟»

«لو لم أرسل وهمًا أولًا بحذر، لكنتُ أنا الممددة هناك الآن. لنرَ الآخر... اللعنة! رغم ضخامته لم يتحمل. مُحزن.»

- «مات أيضًا؟»

- «لم يتحمل الصدمة. همم... شويته أكثر من اللازم. انظر، حتى أسنانه اسودت— مالك يا دانديليون؟ هل ستتقيأ؟»

- «نعم،» أجاب بصوت مكتومٍ وهو ينحني ويستند بجبهته على حائط الزريبة.

* * *

وضعت الساحرة كأسها ومدت يدها إلى دجاجة مشوية.

- «هل هذا كل شيء؟» «ألم تكذب أو تنسَ شيئًا؟»

- «لا شيء. باستثناء "شكرًا". شكرًا لكِ، ينيفير.»

نظرت في عينيه وأومأت برأسها بخفة، فتمايلت تجاعيدها السوداء اللامعة على كتفيها. مررت الدجاجة إلى طبق وبدأت تقطعها بمهارة بسكين وشوكة. دانديليون لم يعرف سوى شخص واحد حتى الآن يستطيع أكل الدجاجة بهذا الإتقان. الآن عرف من تعلّم جيرالت هذه المهارة. حسنًا، لا عجب. فقد عاش معها عامًا في فينغيربيرغ، وقبل أن يفترقا، غرست فيه عادات غريبة. انتزع دانديليون الدجاجة الأخرى من السيخ، ومزق فخذًا بأسنانه دون تردد.

سألها دانديليون: «كيف عرفتي؟ كيف أتيتِ في الوقت المناسب؟»

- «كنتُ تحت بلوبيريس خلال أدائك.»

- «لم أركِ هناك»

«لم أرد ذلك. ثم تتبعتك إلى البلدة. انتظرتُ هنا في الحانة— لم يكن لائقًا أن أدخل ذلك الملاذ المشبوه حيث تنتظرك الأمراض. لكن صبري نفد، فتجولت في الفناء حين سمعتُ أصواتًا من الزريبة. شحذتُ سمعي، فاكتشفتُ أنك أنت وليس بعض المنحرفين .. يا صاحب الحانة! المزيد من النبيذ!»

«حاضرًا، سيدتي الكريمة!»

«نفس النوع، لكن دون ماء هذه المرة. أتحمل الماء في الحمام فقط، أما في النبيذ فأجدها مقززة.»

«حاضرًا!»

دفعت ينيفير طبقها جانبًا. لاحظ دانديليون أن ما تبقى من الدجاجة يكفي لإفطار الصاحب وعائلته. السكين والشوكة أنيقتان، لكنهما غير فعالتين.

كرر دانديليون: «شكرًا لإنقاذك حياتي. ذلك الملعون رينس لم يكن ليرحمني. كان سيسحب كل معلوماتي ثم يذبحني كخروف.»

«أعتقد ذلك.» سكبت لنفسها وله نبيذًا ورفعت كأسها. «لنشرب لإنقاذك وصحتك، دانديليون.»

رد دانديليون التحية: «ولصحتكِ، ينيفير، لصحةٍ سأدعو لها في كل فرصة. أنا مدين لكِ، سيدتي الجميلة، وسأوفي الدين عبر أغنياتي. سأمحق الأسطورة التي تقول أن السحرة لا يتأثرون بآلام الآخرين، نادرًا ما يساعدون البشر التعساء.»

ابتسمت ينيفر وهي تغمض عينيها البنفسجيتين قليلًا: «ماذا أفعل، الأسطورة لها أساس؛ لم تأتِ من العدم. لكنك لست غريبًا، دانديليون. أنا أعرفك وأحبك.»

ابتسم الشاعر: «حقًا؟ كنتِ ماهرة في إخفاء ذلك. حتى سمعت إشاعة أنكِ لا تطيقينني، كالكارثة".»

أصبحت جادة فجأة: «كان هذا ذات مرة، لكن رأيي تغير. أصبحت ممتنة لك.»

«لماذا، إن سمحتِ؟»

قالت وهي تلعب بالكأس الفارغة: «لا يهم، لنعد لأسئلة أهم. تلك التي سُئلتَ عنها في الزريبة بينما كانت ذراعاك تُلتويان. ما الذي حدث حقًا؟ أحقًا لم ترَ جيرالت منذ

هربكما من ضفاف ياروجا؟ لم تعلم أنه عاد جنوبًا بعد الحرب؟ وأنه جُرح بخطورة لدرجة أشاعت شائعات عن موته؟ ألم تكُ تعرف شيئًا؟»

«لا. بقيت في بلاط إستراد ثيسن في بونت فانيس، ثم عند نيدامير في هنغفورس.. »

«لم تعرف!» أومأت الساحرة وفكّت زر سُترتها لتظهر قلادة سوداء من مخمل مع نجم من حجر السج المرصع بالماس. «ألم تعلم أنه بعد شفاء جروحه ذهب إلى ترانسريفر؟ ألا تستطيع تخمين من كان يبحث عنه؟»

«أستطيع. لكن لا أعرف إذا وجدها.»

«لا تعرف،» كررت. «أنت الذي عادةً يعرف كل شيء، ثم يغني عن كل شيء. حتى الأمور الحميمة كمشاعر الآخرين. سمعتُ أغنياتك تحت بلوبيريس. خصصت أبياتًا كثيرة لي.»

تمتم محدقًا في الدجاجة: «الشعر له حقوقه. لا ينبغي لأحد أن يتضايق ... »

«"شعرٌ كجناح الغراب، كعاصفة الليل... وفي العينين البنفسجيتين بروق نائمة..." أهكذا كانت؟»

«هكذا تذكرتكِ،» ابتسم الشاعر بخجل. «فليكن أول من يعترض على الوصف حجرًا.»

ضغطت شفتيها بحنق: «لكني لا أعرف من أعطاك إذنًا لوصف أعضائي الداخلية. كيف كانت؟ "قلبها جوهرة تزين عنقها. صلب كالماس، بلا شعور، أقوى من السج..." هل اختلقتَ هذا؟ أم أنك...؟»

ارتجفت شفتاها «...أم أنك سمعت اعترافات وشكاوى أحدهم؟»

«همم...» سعل الشاعر محاولًا تجنب الموضوع. «أخبريني، ينيفير، متى آخر مرة رأيتِ جيرالت؟»

«منذ زمن.»

«بعد الحرب؟»

تغير صوتها قليلًا «بعد الحرب...» «لا، لم أره بعد الحرب. لفترة طويلة... لم أرَ أحدًا. لكن دعنا نعود للنقطة، أيها الشاعر. أنا مندهشة أنك لا تعرف شيئًا، ولم تسمع شيئًا، ومع ذلك اختارك أحدهم لتعليقك على عارضة. ألا يقلقك هذا؟»

- «إنه يُقلقني.»

- «استمع إليّ،» قالت بحدةٍ وهي تضرب كأسها على الطاولة. «استمع جيدًا. احذف تلك الأغنية من ذخيرتك. لا تُغنها مجددًا.»

- «هل تعنين ...»

- «تعرف تمامًا ما أعنيه. غنِ عن الحرب ضد نيلفغارد. غنِ عن جيرالت وعني، فلن تُضر أو تنفع أحدًا، لن تُغيّر شيئًا. لكن لا تُغنِّ عن لبوة سينترا.»

نظرت حولها لتتأكد من عدم تنصت الزبائن القلائل، وانتظرت حتى عادت الخادمة إلى المطبخ.

وهمست: «وتجنب اللقاءات الفردية مع غرباء، أو أشخاصٌ "ينسون" تقديم أنفسهم بتحيات من معارف مشتركة. أفهمت؟»

نظر إليها مذهولًا.

ابتسمت ينيفير، «تحيات من دايكسترا، دانديليون.»

التفت الشاعر بخوف. دهشته كانت واضحة، وتعابيره أثارت سخرية الساحرة.

انحنت فوق الطاولة «وبالحديث عن هذا، دايكسترا يطلب تقريرًا. أنت عائد من فيردن، وهو مهتم بما يُقال في بلاط الملك إرفيل. أصرَّ أن يكون التقرير مباشرًا، مفصّلًا، وبأي حالٍ ليس شعرًا. نثرٌ يا دانديليون. نثر.»

ابتلع الشاعر ريقه وأومأ. ظل صامتًا يفكر.

لكن الساحرة سبقته: «أوقات صعبة قادمة،» همست. «خطيرة وحاسمة. زمن التغيير يقترب. سيكون من المؤسف أن تشيخ وأنت تعلم أنك لم تفعل شيئًا لجعل هذا التغيير للأفضل. ألا توافق؟»

أومأ موافقًا وسعل. «ينيفير؟»

«أسمعك، أيها الشاعر.»

«هؤلاء الرجال في الزريبة... أريد أن أعرف من كانوا، وماذا أرادوا، ومن أرسلهم. قتلتهما، لكن الشائعات تقول أنكِ تستخرجين المعلومات حتى من الأموات.»

«ألا تقول الشائعات أيضًا أن استحضار الأرواح محظور بقرار الفصل؟ د ع الأمر. هذان البلطجيان ربما لم يعرفا الكثير. أما الهارب... همم... فهو قصة أخرى.»

«رينس. كان ساحرًا، أليس كذلك؟»

«نعم. لكن ليس بارعًا.»

«مع ذلك هرب منكِ. رأيته ينقل نفسه عبر بوابة – أليس هذا دليلًا؟»

«بالفعل. دليل على أن أحدًا ساعده. رينس لم يكن لديه الوقت أو القوة لفتح بوابة بيضاوية معلقة. فتح مثل هذه البوابة ليست أمراً سهلاً. من الواضح أن شخصًا آخر فتحها نيابةً عنه. شخص أقوى بكثير. لهذا لم أطارده، لا أعرف أين سأنتهي. لكنني أرسلت وراءه شيئًا ساخنًا. سيحتاج إلى تعويذات كثيرة وجرعات حروق، وسيظل مُعلَمًا لوقتٍ طويل.»

«ربما تودين معرفة أنه كان نيلفقارديًا.»

- «أتظن ذلك؟» جلست ينيفير بسرعة، وسحبت الخنجر من جيبها. «الكثيرون يحملون خناجر نيلفقاردية الآن. مريحة ويمكن إخفاؤها حتى في صدريات ...»

- «ليس الخنجر. عندما استجوبني، استخدم مصطلحات مثل "معركة سينترا" أو "غزو المدينة". لم أسمع أحدًا يصف الأحداث هكذا. بالنسبة لنا، كانت مجزرة. مجزرة سينترا. لا يُشار إليها بغير ذلك.»

رفعت الساحرة يدها، تتفحص أظافرها. «ذكيٌ أنت، دانديليون. لديك أذن حساسة.»

- «هذا من مخاطر المهنة.»

- «أتساءل أي مهنة تقصد؟» ابتسمت بتكلف. «لكن شكرًا للمعلومة. كانت قيّمة.»

- «لتكن مساهمتي في جعل التغيير للأفضل،» رد مبتسمًا. «أخبريني، ينيفير، لماذا تهتم نيلفغارد بجيرالت وفتاة سينترا؟»

- «لا تتدخل في هذا،» تحولت فجأةً لجادة. «قلتُ أن تنسى اسم حفيدة كالانيثي.»

- «نعم، لكنني لا أبحث عن موضوعٍ لأغنية.»

- «فماذا تبحث إذن؟ عن المشاكل؟»

قال بهدوء، مستندًا بذقنه على يديه : «لنفترض، أن جيرالت وجد الطفلة وأنقذها. آمن أخيرًا بالقدر، وأخذها معه. إلى أين؟ حاول رينس انتزاع الجواب مني. لكنكِ تعرفين أين يختبئ.»

- «نعم ..أعرف.»

«وتعرفين كيف تصلين إليه.»

- «أعرف ذلك أيضًا.»

- «ألا تعتقدين أنه يجب تحذيره؟ أن مثل رينس يبحثون عنه وعن الطفلة؟ كنت سأذهب، لكنني حقًا لا أعرف المكان... ذلك المكان الذي لا أفضّل ذكر اسمه...»

- «اختصِر الكلام، دانديليون.»

- «إن كنتِ تعرفين مكانه، اذهبي إليه وحذرّيه. أنتِ مدينة له بذلك. كان هناك شيء جميل بينكما.»

«نعم،» اعترفت ببرودة. «كان هناك شيء. لذلك أعرفه قليلًا. هو لا يحب المساعدة المُفروضة. لو احتاجها، لطلبها ممن يثق بهم. مر عام منذ تلك الأحداث، وأنا... لم أتلقَ أي خبر منه. أما دَيننا، فأنا مدينة له بقدر ما هو مدين لي. لا أكثر ولا أقل.»

- «إذن سأذهب أنا،» رفع رأسه. «أخبريني—»

- قاطعته: «لن أفعل، هويتك مكشوفة، قد يلاحقونك مجددًا. كلما قلّ علمك، كان أفضل. اختفِ من هنا. اذهب إلى ريدانيا، إلى دايكسترا وفيليبا إيلهارت، الزم بلاط فيزيمير. وأحذّرك مجددًا: انسَ لبوة سينترا. انسَ سيري. تظاهر أنك لم تسمع الاسم. افعل كما أطلب منك. لا أريد أن يصيبك مكروه. أنا أُحبك كثيرًا، وأدين لك ..»

- «قلتِ هذا من قبل. بمَ تدينين لي، ينيفير؟»

أدارت الساحرة وجهها، صامتة لبرهة.

- «كنت تسافر معه،» قالت أخيرًا. «بفضلك لم يكن وحيدًا. كنت صديقًا له. كنت معه.»

خفض الشاعر عينيه.

- «لم ينل الكثير من صداقتي،» تمتم. «لم يجنِ سوى المتاعب بسببي. كان عليه دائمًا إنقاذي من مأزق... مساعدتي...»

انحنت فوق الطاولة، وضعت يدها على يده وضغطتها بقوة دون كلام. في عينيها نظرة ندَم.

- «اذهب إلى ريدانيا،» كررت بعد لحظة. «إلى تريتوجور. ابقَ تحت حماية دايكسترا وفيليبا. لا تلعب دور البطل. لقد تورطت في أمر خطير، دانديليون.»

- تشنج وفرك كتفه الموجع: «لاحظتُ ذلك. ولهذا بالضبط أعتقد أنه يجب تحذير جيرالت. أنتِ الوحيدة التي تعرفين مكانه. تعرفين الطريق. أظن أنكِ كنتِ... ضيفة هناك... ذات مرة؟»

أدارت ينيفير وجهها. رأى دانديليون شفتيها تضغطان، وعضلة خدها ترتعش.

- «نعم، في الماضي،» قالت بصوتٍ يحمل شيئًا غامضًا. «كنتُ أزور المكان أحيانًا. لكنني لم أذهب أبدًا دون دعوة.»

* * *

عصفت الريح بعنف بما يشبه صوت العواء، مموجةً عبر الأعشاب التي تغطي الأنقاض، صارخة في شجيرات الزعرور والقراص الطويل. انطلقت السحب عبر قمرٍ مكتمل، مضيئةً للحظة تلك القلعة العظيمة، غاسلة الخندق وما تبقى من الجدران بوهج شاحب تتمايل فيه الظلال، كاشفةً عن تلال من الجماجم تُظهر أسنانها المكسورة وتحدق في العدم عبر حفر عيونها السوداء. صرخت سيري بحدة وخبأت وجهها في عباءة الويتشر.

دفعت الفرس، التي نقرها كعبا جيرالت، بحذر فوق كومة من الطوب وعبرت القنطرة المحطمة. صوت حوافرها يرن ضد الحجارة، أيقظ أصداء غريبة بين الجدران، مخنوقةً بعواء العاصفة. ارتعدت سيري، مغرزةً يديها في لِبدة الفرس.

همست: «أنا خائفة،»

- «لا شيء يُخيف هنا،» أجاب الويتشر، واضعًا يده على كتفها. «هذا أأمن مكان في العالم. قلعة كار موهن، حصن الويتشرز. كان هنا قلعة جميلة ذات يوم. منذ زمن بعيد.»

لم تُجب، خفضت رأسها بينما شرعت الفرس، المُسماة "روتش"، في الشهيق بهدوء وكأنها تريد طمأنة الفتاة.

انغمسوا في هاوية مظلمة، نفق طويل لا نهاية له مرقط بالأعمدة والقناطر. سارت روتش بثقة، متجاهلة الظلام الحالك، ورنات حوافرها تضيء الأرض.

في نهاية النفق أمامهم اشتعل خط عمودي أحمر فجأة. اتسع ليصبح بابًا يتخلله وهج خافت، لمعانٌ متذبذب لمشاعل عالقة في حوامل حديدية على الجدران. وقفت هيئة سوداء في إطار الباب، مشوشةً بالسطوع.

- «من هناك؟» سمعت سيري صوتًا معدنيًا مخيفًا يشبه نباح كلب. «جيرالت؟»

- «أجل، إسكيل. أنا هو.»

- «ادخل.»

نزل جيرالت من الفرس، حمل سيري من السرج، ووضعها على الأرض ودفع حزمةً صغيرة في يديها الصغيرتين التي أمسكتها بقوة، متمنية لو كانت كبيرة كفاية لتختبئ خلفها تمامًا.

- «انتظري هنا مع إسكيل، سآخذ روتش إلى الإسطبلات.»

- «تعالي إلى النور، يا صغيرة،» زمجر الرجل المدعو إسكيل. «لا تتلكئي في الظلام.»

رفعت سيري نظرها إلى وجهه وكادت تصرخ من الرعب. لم يكن إنسانًا. رغم وقوفه على قدمين، ورغم رائحة العرقِ والدخان التي تفوح منه، ورغم ملابسه البشرية العادية... لم يكن إنسانًا. لا يمكن لإنسان أن يملك وجهًا كهذا، فكرت.

- «ماذا تنتظرين؟» كرر إسكيل.

في الظلام، سمعت رنات حوافر روتش تبتعد. شيء ناعم وصار ركض فوق قدمها. قفزت.

«لا تتلكئي في الظلام، وإلا ستأكل الفئران حذاءك.»

ما زالت سيري متمسكة بحزمتها، تقدمت بسرعة نحو النور. هربت الفئران من تحت قدميها بصرخات. انحنى إسكيل، أخذ الحزمة منها وجذب غطاء رأسها للخلف.

- «اللعنة،» تمتم. «فتاة. هذا كل ما نحتاجه.»

نظرت إليه مرتاعة. كان إسكيل يبتسم. أدركت أخيرًا أنه إنسان، له وجهٌ بشريٌ طبيعي، مشوّه بندبة طويلة وقبيحة نصف دائرية تمتد من زاوية فمه عبر خده حتى الأذن.

- «بما أنكِ هنا، مرحبًا بكِ في كار موهن،» قال. «ما اسمكِ؟»

«سيري،» أجاب جيرالت نيابةً عنها، يظهر فجأةً من الظلام. التفت إسكيل. فجأة، وبسرعة، وبلا كلام، احتضن الويتشران بعضهما بقوة. لوهلة قصيرة.

- «ذئب، أنت حي.»

- «أجل.»

- «حسنًا.»

أخذ إسكيل شعلة من الحامل.

«تعال. سأغلق البوابات الداخلية لئلا يهرب الدفء.»

ساروا عبر الممر. كانت الفئران هنا أيضًا تهرول تحت الجدران، تصرخ من الهوة المظلمة، من الممرات المتفرعة، وتنزلق أمام دائرة الضوء المتمايلة من الشعلة. سارت سيري بسرعة تحاول اللحاق بالرجال.

- «من هنا هذا الشتاء، إسكيل؟ غير فيزيمير؟»

- «لامبرت وكوين.»

نزلوا درجًا حادًا وزلقًا. كان وهجٌ مرئيًا أسفلهم. سمعت سيري أصواتًا، وشمت رائحة دخان.

كانت القاعة ضخمةً، غارقةً في نور موقد هائل يزمجر بلهبٍ يُسحب إلى قلب المدخنة. في وسط القاعة طاولة ضخمة ثقيلة. يمكن لعشرة أشخاص الجلوس حولها. كان هناك ثلاثة. ثلاثة بشر. ثلاثة من الويتشرز، صححت سيري نفسها. لم ترَ سوى ظلالهم ضد نار الموقد.

- «تحياتي، ذئب. كنا ننتظرك.»

- «تحياتي، فيزيمير. تحياتي، يا رفاق. يشرفني العودة للبيت.»

- «من أحضرت معك؟»

سكت جيرالت للحظة، ثم وضع يده على كتف سيري ودفعها للأمام بخفة. سارت بتردد، منكمشة، رأسها منخفض. أنا خائفة، فكرت. خائفة جدًا. حين وجدني جيرالت، وأخذني معه، ظننت أن الخوف لن يعود. ظننت أنه انتهى... والآن، بدلًا من أن أكون في المنزل، أنا في هذه القلعة القديمة المرعبة المليئة بالفئران والأصداء المخيفة... أقف مجددًا أمام جدار ناري أحمر. أرى هيئات سوداء مخيفة، عيونًا تلمع بتهديدٍ تُحدق بي ..

- «من هذه الطفلة، ذئب؟ من هذه الفتاة؟»

«إنها...» تلعثم جيرالت فجأة. شعرت بيديه القويتين على كتفيها. وفجأة، اختفى الخوف دون أثر. النار الحمراء الهائجة تبعث دفئًا. دفئًا فقط. الظلال السوداء كانت ظلال أصدقاء. مَن يعتنون بها. عيونهم اللامعة تعبر عن فضول. اهتمام... وقلق...

- «إنها قدَرنا.»

"حقًا، لا شيء أكثر قبحًا من تلك الوحوش المخالفة للطبيعة، المسماة بالويتشرز، فهي ثمرة سحر شيطاني دنس. إنهم أشرار بلا فضيلة أو ضمير أو رادع، مخلوقات شيطانية بحق، لا تصلح إلا للقتل. لا مكان لهم بين البشر الشرفاء.

وكارموهن، ذلك الوكر الذي يتكاثر فيه هؤلاء المخلوقات الدنيئة، حيث يمارسون طقوسهم الدنيئة، يجب أن تُمسح من على وجه الأرض، وتُذر أطلالها بالملح والبارود."

- كتاب وصف الوحوش باب وحش الويتشر - لمؤلف مجهول

"التعصب والخرافة كانا دائمًا حقلًا للحمقى بين العامة، وأعتقد أنهما لن يُستأصلا أبدًا، لأنهما خالدان كالغباء ذاته. حيث تنتصب الجبال اليوم، ستصبح بحارًا غدًا؛ وحيث تموج البحار الآن، ستتحول إلى صحارى. لكن الغباء سيظل غباءً."

- عن كتاب: تأملات في الحياة والسعادة والرفاهية لـ نيكوديموس دي بوت

الفصل الثاني

نفخت تريس ميريجولد في يديها المتجمّدتين، حرّكت أصابعها وهمست تعويذة سحرية. استجاب حصانها المُخصي على الفور، شمّ الهواءِ وأدار رأسه محدقًا بالساحرة بعيون دامعة من شدة البرد والرياح.

"لديك خياران، يا عتيق،" قالت تريس وهي تلبس قفازاتها. "إما أن تعتاد على السحر، أو أبيعك للفلاحين لجرّ المحراث."

نصت الفرس بأذنيها، ونفثت بخارًا من منخريها وبدأت تنزل باطمئنان عبر المنحدر الجبلي المشجر. انحنت الساحرة في السرج متجنبةً ضربات الأغصان المثلجة.

العملية السحرية أتت أكلها سريعًا؛ توقفت عن الشعور بوخز البرد في مرفقيها وعنقها، واختفى ذلك الإحاسيس المزعج الذي جعلها تنحني وتخفي رأسها. التعويذة الدافئة كتمت أيضًا الجوع الذي كان ينخرها لساعات. تحسّنت معنويات تريس، رتّبت نفسها في السرج وبدأت تتأمّل محيطها بانتباه أكبر.

منذ أن تركت الطريق المعبّد، كانت تسترشد بالجدار الجبلي الرمادي المكلل بالثلوج الذي يتلألأ ذهبيًا حين تخترق الشمس السحب نادرًا – عادةً في الصباح أو قبل الغروب. الآن وقد اقتربت من السلسلة الجبلية، كان عليها توخي الحذر. منطقة كارموهن مشهورة بوحشيتها وصعوبة الوصول إليها، والفجوة في الجدار الجرانيتي التي تشكل معلمًا حيويًا ليست سهلة الرصد للعين غير الخبيرة. يكفي أن تنحرف إلى أحد الأودية الكثيرة لتضيعها. حتى هي، التي تعرف المنطقة والطريق وتعرف مكان الممر، لم تستطع تحمّل تشتت الانتباه لحظة.

انتهت الغابة مظهرةً أمام الساحرة وادٍ واسع مرصّع بالصخور الكبيرة الممتدّة حتى المنحدر الشاهق للجبل المقابل. نهر جوينليتش – نهر الأحجار البيضاء – يتدفق في قلب الوادي، والرغوة تثور بين الصخور وجذوع الأشجار التي يجرفها التيار. هنا، في مجراه العلوي، لم يكن النهر سوى جدول عريض ضحل. يمكن عبوره هنا بسهولة. أما في مجراه الأوسط، في كايدوين، يصبح النهر عقبةً لا تُذلل، يزمجر وينقض على قيعان هوّاته السحيقة.

أسرع الحصان المُخصي خطاه عند دخوله الماء، راغبًا في الوصول للضفة المقابلة بأسرع ما يمكن. لكن تريس كبحته برفق – فالتيار ضحل لا يتجاوز ارتفاع الخُف، لكن الحصى الزلقة وسرعة الماء جعلتا التقدم صعبًا. ارتفعت الرغوة حول سيقان الحصان.

رفعت الساحرة نظرها نحو السماء. البرودة المتزايدة والرياح العنيفة هنا في الجبال تنذران بعاصفة ثلجية، ولم تكن فكرة قضاء ليلة أخرى في كهف أو زاوية صخرية تُغريها. إذ يمكنها – لو اضطرت – مواصلة الرحلة حتى خلال العاصفة؛ كما يمكنها تحديد الطريق بالتخاطر، ويمكنها أيضاً – عبر السحر – أن تجعل نفسها منيعة ضد البرد لو اضطرت. لكنها فضّلت أن تكمل طريقها.

لحسن الحظ، كانت كيرمورهن قريبة الآن. لذا دفعت تريس حصانها نحو سفح من الحصى، فوق كومة حجارة ضخمة جرفتها الأنهار الجليدية، واخترقت ممرًا ضيقًا بين الصخور البارزة. وارتفعت جدران الوادي عموديًا وكادت تلتحم فوق رأسها، لا يفصلها سوى خط رفيع من السماء. اشتد الدفء، فلم تعد الرياح العاصفة فوق الصخور قادرة على الوصول إليها.

اتسع الممر، مُفضيًا إلى وادٍ مليء بالأشجار ممتد بين صخور مسنّنة.

تجاهلت الساحرة الحواف السهلة وتوجهت نحو عمق الطريق المشجر الكثيف. أخذت الأغصان اليابسة تتكسر تحت حوافر الحصان والذي شرع بالمضي بنفاد صبرٍ كلما اعترضت جذوعٌ ساقطة طريقه. شدّت تريس اللجام، وأمسكت أذن الحصان الأشعث ووبخّته بعنف، ملمّحةً بسخرية إلى عرجه الوهمي. بدا الحصان وكأنه يشعر بالخجل، فعدّل خطاه وبدأ يتقدّم بانسيابية عبر الأدغال.

سرعان ما خرجوا إلى أرضٍ أكثر وضوحًا، يمتطون ظهر الجدول الذي بالكاد ينساب عبر قاع الوادي. التفتت الساحرة حولها بحذر، حتى وجدت ما تبحث عنه. فوق الأخدود، مدعومًا أفقيًا بصخور ضخمة، يرقد جذع شجرة عتيق، داكنٌ وعاريًا يخضُر بالطحالب. اقتربت تريس راغبةً في التأكد من أن هذا هو "الدرب" حقًا، وليس شجرة سقطت بالصدفة في عاصفة. لكنها رصدت ممرًا ضيقًا وغير واضح يختفي في الغابة. لم تكن مخطئة – هذا هو الدرب بلا شك، الطريق المحيط بقلعة كارموهن القديمة والمليء بالعقبات، حيث يتدرب الصيادون على تحسين سرعتهم وتحكمهم في التنفس. كان الدرب معروفًا باسم "المسار"، لكن تريس علمت أن الصيادين الصغار أطلقوا عليه اسمًا آخر: "القاتل".

تعلقت برقبة الحصان وراحت تتحرك ببطء تحت الجذع. في تلك اللحظة، سمعت حفيف الحجارة. ووقع خطوات سريعة خفيفة لشخص يجري.

التفتت في سرجها، شدت اللجام وانتظرت أن يظهر الويتشر على الجذع.

ظهر الويتشر فعليًا على الجذع، وانطلق عليه كالسهم دون إبطاء، دون حتى استخدام ذراعيه لتحقيق التوازن – يجري بخفة، بانسيابية، برشاقة مذهلة. مر كالبرق، يقترب

ويختفي بين الأشجار دون أن يحرك غصنًا واحدًا. تنهدت تريس بصوت عالٍ، هزت رأسها في ذهول.

لأن الويتشر، بحسب طوله وبنيته، لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره.

خففت الساحرة من اللجام، دفعت الحصان بكعبيها وتحركت عكس التيار. كانت تعلم أن الدرب يعبر الوادي مرة أخرى عند نقطة تُعرف باسم "الحلقوم". أرادت أن تلمح نظرة أخرى للصياد الصغير – فلم يُدرَّب الأطفال في كارموهن منذ ربع قرن.

لم تكن في عجلة من أمرها. طريق "القاتل" الضيق يتعرج ويلتف عبر الغابة، ولاجتيازه سيأخذ الصبي وقتًا أطول مما ستأخذه هي عبر الاختصار. لكنها لم تستطع التأخر أيضًا. بعد طريق "الحلقوم"، ينعطف الدرب إلى الغابة ويتجه مباشرةً إلى القلعة. إذا لم تلتقط الصبي عند الجرف، فقد لا تراه أبدًا. سبق لها أن زارت كارموهن مرات عديدة، وعلمت أنها لا ترى سوى ما يريده الويتشرز أن تراه. لم تكن تريس ساذجة لدرجة عدم إدراك أنهم يظهرون لها جزءًا ضئيلًا مما يمكن رؤيته في كارموهن.

بعد دقائق من الركوب عبر مجرى الحجارة، رصدت طريق"الحلقوم" – قفزة فوق الأخدود بين صخرتين ضخمتين مغطاتين بالطحالب، تحيط بهما أشجار معوجة قصيرة. أطلقت اللجام. فأخذ الحصان بشمِّ الهواءِ وخفض رأسه نحو الماء المتسرب بين الحصى.

لم تنتظر طويلًا.فقد ظهرت هيئة الويتشر الصغير على الصخرة وقفز الصبي دون إبطاء. ما لبث أن سمعت تريس صوت هبوطه الناعم، ثم حفيف حجارة، ووقع سقوط مكتوم، وصيحة خافتة. أو بالأحرى، زعقة.

قفزت تريس فورًا من السرج، نزعت الفراء عن كتفيها واندفعت عبر المنحدر، تتسلق باستخدام الفروعِ والجذور. ساعدها الزخم حتى انزلقت على أوراق الصنوبر وسقطت على ركبتيها بجانب جثة منكمشة على الحجارة. قفزت الفتاة كالنابض عند رؤيتها، تراجعت بسرعة وأمسكت السيف المعلق على ظهرها – ثم تعثرت وسقطت بين أشجار العرعر والصنوبر. لم تقم الساحرة من ركبتيها؛ حدقت في الفتاة وفتحت فمها من الدهشة.

لأنها لم تكن صبيًا.

من تحت شعر أشقر رمادي، مقطوعِ بشكل سيء وغير متساو، حدقت فيها عينان زمرديتان واسعتان – السمتان البارزتان في وجه صغير ذو ذقن ضيقة وأنف مرفوعِ. كان الخوف واضحًا في عينيها.

- "لا تخافي،" قالت تريس بحذر.

اتسعت عينا الفتاة أكثر. لم تكن تقريبًا تلهث، ولا يبدو أنها تتعرق. كان واضحًا أنها اجتازت الطريق "القاتل" مرات عديدة.

- "ألم يصبك مكروه؟"

لم تُجب الفتاة، بل قفزت مُصدرةً صوتًا قصيرًا من الألم، حاملةً وزنها على ساقها اليسرى، ثم انحنت لفرك ركبتها. كانت ترتدي بدلةً جلديةً مُخيطة بشكل عشوائي – أو بالأحرى ملتصقة ببعضها – بطريقةٍ تجعل أي خياط فخور بمهنته يصرخ رعبًا ويأسًا. الوحيد الذي بدا جديدًا ومُلائمًا في معداتها كان حذاءها الطويل، أحزمتها، وسيفها الصغير.

"لا تخافي،" كررت تريس وهي لا تزال جاثيةً على ركبتيها. "سمعتُ سقوطك فقلقت، لهذا أسرعتُ إلى هنا .."

"انزلقتُ فحسب،" همست الفتاة.

- "ألم تؤذِي نفسك؟"

- "لا. وأنتِ؟"

ضحكت الساحرة، حاولت النهوض فانتفضت من الألم في كاحلها وألقت قسمًا. جلست ومدت قدمها بحذر، تُقسِم مرةً أخرى.

- "تعالي إلى هنا، يا صغيرة، ساعديني على النهوض."

- "لستُ صغيرة."

- "حسنًا. إذن، ماذا تكونين؟"

- "ويتشر"

- "آه! إذن تعالي وساعديني، أيتها الويتشر."

لم تتحرك الفتاة من مكانها. كانت تنتقل بثقلها من قدم إلى أخرى، بينما تلعب يداها بقُفازيها الصوفيَّين بَحزام السيف، محدقةً في تريس بشك.

- "لا تخافي،" قالت الساحرة بابتسامة. "لستُ لصّة أو دخيلة. اسمي تريس ميريجولد، وأنا في طريقي إلى كارموهن. معشر الويتشرز يعرفونني، لا تنظري إليّ بتلك الدهشة.

أحترم حذرك، لكن كوني منطقية. هل كنتُ لأصل إلى هنا لو لم أكن أعرف الطريق؟ هل صادفتِ يومًا إنسانًا على 'القاتل'؟"

تغلبت الفتاة على ترددها، اقتربت ومَدت يدها. نهضت تريس بمساعدة طفيفة. لم تكن بحاجة للمساعدة حقًا، بل أرادت رؤية الفتاة عن قرب. ولمسها.

عينا الفتاة الزمرديتان لم تظهرا أي علامات تحولٍ وراثي، ولم يُحدث لمس يدها الصغيرة ذلك الوخزَ اللطيف المميز للويتشرز. رغم اجتيازها مسار "القاتل" بسيف على ظهرها، إلا أن الفتاة شقراء الشعر لم تخضع لـ "اختبار الأعشاب" أو التغييرات والطفرات. قالت تريس في نفسها "كانت متأكدة من ذلك".

- "أريني ركبتك، يا صغيرة."

- "لستُ صغيرة."

- "اعذريني. لكن بالتأكيد لديكِ اسم؟"

- "أجل... أنا سيري."

- "تشرفنا. اقتربي أكثر، من فضلكِ."

- "لا شيء يُذكر."

- "أريد أن أرى كيف يبدو 'لا شيء'. آه، هذا ما توقعته. 'لا شيء' يشبه سروالًا ممزقًا وجلدًا مُجرحًا حتى اللحم. اثبتي ولا تخافي."

- "لستُ خائفة... آه!"

ضحكت الساحرة ودلكت كفها الذي أحسّ بحكة من إلقاء التعويذة. انحنت الفتاة تحدق في ركبتها.

- "أوه... لم يعُد هناك ألم! ولا حتى جرح... هل كان هذا سحرًا؟"

- "أصبتِ التخمين."

- "هل أنتِ ساحرة؟"

- "أصبتِ مجددًا. لكني أفضل أن يُطلق عليّ 'مشعوذة'. لتجنب الأخطاء، يمكنك مناداتي باسمي: تريس. فقط تريس. تعالي ياسيري. حصاني ينتظرنا أسفل المنحدر. سنذهب إلى كارموهن معًا."

- "يجب أن أستمر في الجري." هزت سيري رأسها. "ليس من الجيد التوقف لأن الحليب يتجمع في العضلات. جيرالت يقول .."

- "هل جيرالت في القلعة؟"

عبست سيري، ضغطت شفتيها ونظرت إلى الساحرة من تحت خصلات شعرها الرمادي. ضحكت تريس مرة أخرى.

- "حسنًا .. لن أسأل. السر سر، وأنتِ محقة في عدم إفشائه لمن لا تعرفينهم. تعالي. عندما نصل سنرى من في القلعة ومن ليس فيها. ولا تقلقي بشأن عضلاتك – أعرف كيف أتعامل مع حمض اللاكتيك. ها هو حصاني. سأساعدك..."

مدت يدها، لكن سيري لم تكن بحاجة للمساعدة. قفزت برشاقة إلى السرج بخفة، كأنها تطير. ارتبك الحصان المفاجأة وركض، لكن الفتاة أمسكت اللجام بسرعة وهدأته.

- "أراكِ تجيدين التعامل مع الخيل."

- "أجيد التعامل مع أي شيء."

- "تقدمي نحو مقدمة السرج." أدخلت تريس قدمها في الركاب وأمسكت بلِبدة الحصان. "أفسحي لي مكانًا. واحذري أن تطعني بسيفك."

تحرك الحصان ببطء على طول مجرى النهر، عبروا أخدودًا آخر وصعدوا المنحدر الجبلي الدائري. من هناك، رأوا أطلال كاير مورن متكئة على الصخور – جدران دفاعية شبه مهدمة، بقايا البوابة الرئيسية، والبرج الرئيسي السميك.

نخر الحصان وهز رأسه عند عبور ما تبقى من الجسر فوق الخندق. شدت تريس اللجام. الجماجم المتحللة والعظام المتناثلة على ضفة النهر لم تؤثر فيها. كانت قد رأتها من قبل.

- قالت سيري فجأة: "لا يعجبني هذا، هذا ليس كما يجب. على الموتى أن يُدفنوا تحت الأرض لا تحت تلال. أليس كذلك؟"

- هزت تريس رأسها: "أوافقك الرأي، لكن الويتشرز يعتبرون هذه المقبرة... تذكيرًا."

- "تذكيرًا بماذا؟"

- "كير مورهن،" قالت تريس ذلك، بينما توجهت بالحصان نحو الأقواس المحطمة، - "تعرضت لهجوم. كانت هنا معركة دموية مات فيها معظم الويتشرز. نجا فقط من لم يكونوا في القلعة حينها."

- "من هاجمهم؟ ولماذا؟"

- "لا أعرف،" كذبت. "كان ذلك منذ زمن بعيد جدًا، سيري. اسألي الويتشرز."

- "سألتهم،" تمتمت الفتاة. "لكنهم رفضوا الإجابة."

"أتفهم ذلك"، فكرت الساحرة في نفسها. "طفلة تُدرَّب لتصبح ويتشر، دون أن تخضع للتحولات، لا ينبغي إخبارها بهذه الأمور. لا ينبغي لطفلة أن تسمع عن المذبحة. لا ينبغي إخافتها بإمكانية أن يصرخ أحدهم يومًا بما صرخه المتعصبون الذين هاجموا كيرمورهن ذات يوم: مسخ... وحش... كائن شائن مخالف للطبيعة. لا، لا ألوم الصيادين لصمتهم. ولن أخبرك أنا أيضًا. لدي أسباب أكثر للصمت. فأنا ساحرة، وبدون مساعدة السحرة، ما كان أولئك المتعصبون ليهزموا القلعة. حتى أن منشور "الوحش" الذي أثارهم كان من تأليف ساحر مجهول. لكنني لا أؤمن بالمسؤولية الجماعية، ولا أشعر بالذنب تجاه أحداث وقعت قبل ولادتي بقرن. والعظام التي تُذكِّر بالماضي ستحلل إلى غبار، وستختفي مع الريح التي تضرب الجبل دون توقف..."

- "إذن يكذبون هكذا،" قالت سيري فجأة بصوتٍ غريب. "لا يريدون أن يكونوا رمزًا للنزاهة أو أن لهم ضميرًا مؤلمًا أو تحذيرًا. لكنهم أيضًا لا يريدون أن تذروا الريح رمادهم."

رفعت تريس رأسها، لاحظت تغيرًا في صوت الفتاة. شعرت فورًا بهالة سحرية تخفق، ونبضٍ يخترق صدغَيها. توترت لكنها لم تنطق بكلمة، خوفًا من مقاطعة ما يحدث.

صوت سيري أصبح أكثر غرابةً، معدنيًا، باردًا ومرعبًا. "كومة تراب ستغطيها الحشائش. للموت عيون زرقاء باردة، ولا يهم ارتفاع النصب أو ما نُقش عليه. من يعلم هذا أفضل منكِ، تريس ميريجولد، الرابعة عشرة من تلة سودين؟"

تجمدت الساحرة. رأت يدَي الفتاة تشدّان على لِبدة الحصان.

"لقد مُتِّ على التلة، تريس. لماذا جئتِ إلى هنا؟ ارجعي، خذي هذه الطفلة - طفلة الدم القديم - معكِ. أعيديها لمن تنتمي. افعلي هذا، وإلّا ستموتين مرة أخرى. سيأتي يوم تَطالب التلة بقبرك الجماعي، والنصب الذي نُقش اسمكِ عليه."

صهل الحصان بعنف، قفزت سيري مرتجفةً.

- "ماذا حدث؟" سألت تريس محاولةً إخفاء ارتعاش صوتها.

- "لا... شيء..." تمتمت الفتاة وهي تفرك وجهها. "أنا متعبة... لهذا غفوت. يجب أن أستمر بالجري..."

اختفت الهالة السحرية. اجتاح تريس بردٌ قارس. حاولت إقناع نفسها بأنه أثر زوال التعويذة، لكنها علمت أن الأمر أعمق. نظرت إلى حجارة القلعة السوداء، عيون الثغرات الخاوية تحدق بها. ارتعدت.

دخلوا الفناء حيث رنت حوافر الحصان على البلاط. قفزت تريس من السرج، ومدت يدها لسيري. استغلت اللمسة وأرسلت نبضة سحرية خفيفة. لكنها لم تجد شيئًا - لا رد

فعل أو مقاومة. الفتاة التي كانت قبل لحظة قوةً سحريةً هائلة، أصبحت طفلة عادية بملابس رثّة.

لكن تلك اللحظة... كانت شيئًا آخر.

لم يكن هناك وقت للتأمل. صرير باب حديدي انطلق من الظلام خلف البوابة المهشمة. نزعت تريس عباءة الفرو، خلعت قبعة الثعلب، وهزت شعرها الكستنائي الطويل الذي يتلألأ بلمسات ذهبية - فخرها وعنوان هويتها.

تنهّدت سيري بإعجاب. ابتسمت تريس راضيةً عن التأثير. الشعر الطويل الحر كان علامة استقلال - للسحرة والكاهنات... والبغايا.

ظهر الويتشرز فجأة وكانوا كالعادة، صامتين، واقفين بذراعين متشابكتين، مركزين ثقلهم على ساقٍ واحدة - وضعية هجوم فوري. وقفت سيري بجانبهم بنفس الوضعية، تبدو مضحكة بملابسها المضحكة.

- "مرحبًا بكِ في كاير مورن، تريس."

- "أهلا، جيرالت."

لقد تغير. بدا أكبر سنًا. علمت تريس أن التحولات تُبطئ الشيخوخة الجسدية، لكنها لا تمس الزمن الذي ينهش الروح. تجاعيد وجهه كانت الشاهد. ابتعدت بنظرة ألم عن عينيه - عيون رأت أكثر مما يُحتمل. والأقسى، لم تجد فيهما ما كانت تأمله.

- "مرحبًا بكِ،" كرر جيرالت. "نحن سعداء بمجيئكِ."

وقف إسكيل بجانبه، كان يشبه الذئب كتوأم إلا في لون شعره، وتلك الندبة الطويلة التي تشوه خده. بينما وقف لامبرت، أصغر صيادي كاير مورن، بتعبيره الساخر المعتاد. بينما لم يكن فيزيمير حاضرًا.

قال إسكيل: "أهلاً، ادخلي، الجو باردٌ وعاصف كأن أحدهم شنق نفسه. سيري، إلى أين تذهبين؟ الدعوة لا تشملك. الشمس ما زالت مرتفعة رغم الغيوم. يمكنكِ مواصلة التدريب."

- "أهكذا أصبحت التحيات رخيصة في حصن الصيادين؟" وألقت تريس شعرها بتحدٍ قائلة: "سيري كانت أول من رحّب بي وأرشدني للقلعة. ينبغي أن تصحبني ..."

- "هنا للتدريب، ميريجولد." تشوهت ابتسامة لامبرت بسخرية. دائمًا ما ناداها بذلك الاسم دون ألقاب، مما كان يغيظها. "هي تلميذة، وليست خادمة لاستقبال الضيوف، حتى لو كانوا ساحراتٍ جميلات مثلكِ، ليس ذلك من واجباتها. انطلقِي، سيري."

تجاهلت تريس إحراج جيرالت وإسكيل، محافظةً على هدوئها. لم ترد، لا رغبةً في زيادة إحراجهم، ولكن لئلا يكتشفوا مدى فضولها تجاه الفتاة.

عرض جيرالت، ماسكًا اللجام: "سأعتني بحصانكِ،" انزلقت يدها خلسةً لالتقاط يده. والتقت عيونهما.

"سأذهب معكِ،" قالت ببساطة. "هناك أشياء صغيرة في الحقائب أحتاجها."

همس جيرالت بمجرد دخولهم الإسطبل:"سببتِ لي تجربة مؤلمة من قبل، رأيتُ شاهد قبركِ المهيب في سودين. علمتُ مؤخرًا أن الخبر كان خاطئاً. كيف يُخطئ أحدهم بينكِ وبين أخرى؟"

أجابته تريس: "إنها قصة طويلة،ربما سأحكيها لكِ ذات يوم. وسامحني على تلك اللحظة المؤلمة."

- "لا شيء كي يغتفر. لم أعرف السعادة كثيراً مؤخرًا، لكن فرحي بسماع نبأ حياتكِ لا يُضاهى. إلا ربما بما أشعر الآن وأنا أنظر إليكِ."

انفجر شيءٌ في صدر تريس. خوفها من لقاء الويتشر الأشيب، الذي رافقها طوال الرحلة، تصارعِ مع أملها في رؤيته. ثم ها هو ذا، بوجهه المتعب وعينيه الباردتين اللتين رأتا كل شيء، الهادئتين بشكلٍ غير طبيعي، والمليئتين بمشاعر مكبوتة...

ألقت بنفسها على عنقه فجأة، دون تفكير. أمسكت يده ووضعتها تحت شعرها عند رقبتها. اخترقتها نشوةٌ عارمة كادت أن تصرخ منها. كتمت الصرخة بشفتيها على شفتيه، مرتعشةً تضغط عليه بقوة، غارقةً في إثارة متزايدة. لكن جيرالت لم يغرق معها.

- "تريس... أرجوكِ."

- "آه، جيرالت... لقد افتقدتكِ كثيرًا..."

- "تريس." أبعَدها بلطف. "لسنا وحدنا... إنهم قادمون."

- نظرت إلى المدخل، ولم ترَ ظلال الويتشرز المقتربين إلا بعد لحظة، ولم تسمع خطواتهم إلا متأخرة. سمع جيرالت، بالطبع، قبلها بفارق.

- "تريس، يا بُنيتي!"

- "فيزيمير!"

كان فيزيمير عجوزًا حقًا، ربما أقدم من كارموهن نفسها. لكنه اقترب منها بخطواتٍ نشيطة، مصافحًا إياها بقبضة قوية.

- "سعيدة برؤيتكِ مجددًا، يا جدي."

- "قبلةً. ليس على اليد، يا ساحرتي الصغيرة. قبلي يدي عندما أستلقي في نعشي. وهو ما سيحدث قريبًا بلا شك. أوه، تريس، جئتِ في الوقت المناسب... من سيعالجني إن لم تكوني أنتِ؟"

- "أعالجك؟ من ماذا؟ من طيشك الطفولي؟ أبعد يدك عن مؤخرتي، أيها العجوز، وإلا أشعلت لحيتك الرمادية!"

- "اعذريني. أنسى دائمًا أنكِ كبرتِ، ولم أعد أستطيع إجلاسكِ على ركبتي. أما صحتي... أوه، تريس، الشيخوخة ليست نكتة. عظامي تؤلمني لدرجة الصراخ. هل ستساعدين عجوزًا، يا بُنيتي؟"

- "بالتأكيد." تحررت تريس من حضنه، وراقبت الصياد المرافق لفيزيمير. كان شابًا، في عمر لامبرت تقريبًا، بلحية سوداء قصيرة لم تخفِ ندوب الجدري. أمرٌ غريب، فالصيادون عادةً منيعون ضد الأمراض.

- "تريس ميريجولد، هذا كوين." قدمها جيرالت. "كوين يقضي أول شتاء معنا. أتى من الشمال، من بوفيس."

انحنى الصياد الشاب. كانت عيناه بلونٍ أصفر-أخضر شاحب، مع عروق حمراء تشير إلى تحولات جينية مضطربة.

- "لنذهب، يا بُنيتي." أخذ فيزيمير ذراعها. "الإسطبل ليس مكانًا لاستقبال ضيف، لكنني لم أستطع الانتظار."

كانت سيري تتدرب تحت إشراف لامبرت في الفناء، محاولةً التوازن على عارضة مُعلقة بسلاسل، تهاجم بكيس جلدي يشبه الجذع البشري. توقفت تريس للمشاهدة.

- "خطأ!" صاح لامبرت. "تقتربين أكثر من اللازم! لا تضربي عشوائيًا! قلتُ لكِ: طرف السيف على الشريان السباتي! أين مكانه؟ في الرأس؟ ركزي، أميرة!"

أها، فكرت تريس. إذن إنها الحقيقة، ليست أسطورة. هي نفسها. لقد خمّنتُ ذلك.

قررت سيري الهجوم دون تأخير، قبل أن يحاول الويتشرز المراوغة.

- "المفاجأة الشهيرة للقدر؟" أشارت لسيري. "أراكِ طبّقتُم متطلبات القَدَر؟ لكنكم أخطأتم القصة، أيها الرجال. في الحكايات، تتحول الرعاة واليتيمات إلى أميرات. لكن هنا، أميرة تتحول إلى ويتشر، ألا يبدو هذا تهورًا؟"

نظر فيزيمير لجيرالت، الذي بقي صامتًا بوجهٍ جامد لايظهر شعورًا.

"الأمر ليس كما تظنين." سعل العجوز. "جاء بها جيرالت الخريف الماضي. ليس لها أحد سوى... تريس، كيف لا نؤمن بالقدر عندما ..."

- "ما علاقة القدر بتلويح السيف؟"

- "نعلمها المبارزة." قال جيرالت بهدوء، مُحدقًا فيها. "ماذا نعلمها غير ذلك؟ القدر أو لا، كاير مورن بيتها الآن. التدريب يشغلها، يحافظ على صحتها، يساعدها على نسيان المأساة. هذه موطنها ياتريس. ليس لها غيره."

"العديد من سينترا فروا إلى فيردن وبورج بعد الهزيمة." أصرّت تريس. "بينهم نبلاء وفرسان. أصدقاء، أقارب... ورعايا هذه الفتاة."

- "الأصدقاء والأقارب لم يبحثوا عنها بعد الحرب. لم يجدوها."

- "لأنها لم تُقدَّر لهم؟" ابتسمت له تريس، ليس بصدقٍ كبير لكن بجاذبية. بأجمل ما تستطيع. لم ترد أن يستخدم تلك النبرة.

هز جيرالت كتفيه. تريس، التي تعرفه قليلًا، غيرت تكتيكها فورًا وتخلت عن الجدال.

نظرت إلى سيري مجددًا. الفتاة، بخطوات رشيقة على العارضة، أدت دورانًا نصفيًا، ضربة خفيفة، ثم قفزت للخلف. الدمية المصنوعة من الجلد تأرجحت على حبلها.

"أخيرًا!" صاح لامبرت. "فهمتِ أخيرًا! كرريها. أريد التأكد أنها ليست صدفة!"

"السيف،" التفتت تريس للصيادين، "يبدو حادًا. العارضة زلقة وغير مستقرة. ولامبرت يبدو كأحمق يُضعف معنويات الفتاة بصراخه. ألا تخشون حادثة مؤسفة؟ أم تعتمدون على القدر ليحميها؟"

- "تدربت سيري ستة أشهر بدون سيف،" قال كوين. "تعرف كيف تتحرك. ونحن نراقبها لأن—"

- "لأن هذا بيتها." أنهى جيرالت الجملة بهدوء وحزم. حزمٌ أنهى النقاش.

- "بالضبط." تنهد فيزيمير بعمق. "تريس، لا بد أنكِ متعبة. وجائعة؟"

"لا أنكر ذلك." تنهدت تريس، مستسلمةً لفشلها في جذب نظرة جيرالت. "بصراحة، أنا منهكة. قضيت الليلة الماضية في كوخ رعاة على طريق 'القاتل'، مدفونةً تحت القش ونشارة الخشب. استخدمت تعويذات لعزل الجدران؛ لولا ذلك لكنت ميتة. أشتاق لسرير نظيف."

-"تناولي العشاء معنا الآن. ثم نامي كما تشائين. جهزنا لكِ أفضل غرفة في البرج. وأفضل سرير في كاير مورن."

-"شكرًا." ابتسمت تريس ابتسامة باهتة. وفكرت في البرج "حسنًا يا فيزيمير. ليكن البرج لليلة، إذا كنتَ تهتم بالمظاهر. يمكنني النوم في أفضل سرير" رغم أنها في قرارة نفسها كانت تفضل مشاركة أسوأ سرير مع جيرالت.

- "هيا بنا، تريس."

- "هيا."

بينما كانت الريح تضرب مصراعي النافذة، وتحرك بقايا المطرزات البالية التي استُخدمت لعزل الزجاج، استلقَت تريس في ظلام دامس على "أفضل سرير في كيرموهن". لم تستطع النوم - ليس لأن السرير عتيق ومهترئ، بل لأن أفكارًا كثيرة تدور في رأسها حول سؤال جوهري واحد:

لماذا استُدعيتْ إلى الحصن؟ من استدعاها؟ ولم؟ فمرض فيزيمير كان مجرد ذريعة. إن فيزيمير ويتشر، وشيخوخته لا تنفي صحته التي يحسده عليها الشباب، و لو لدغه مانتيكور أو عضه ذئب بشري لكان الاستدعاء منطقيًا، لكن "آلام العظام" كان سبباً

مضحكاً، كان بإمكانه علاجها بإكسير الويتشر أو بالفودكا، بالتأكيد لم يكن بحاجة لساحرة.

- إذن من استدعاها؟ جيرالت؟

تقلبت تريس في الفراش وهي تشعر بموجة حرارة وإثارة تزداد ثوراناً كالبركان، لعنت في سرها بصوت خافت، ورفسَت الغطاء وانقلبت على جنبها بينما أخذ صرير السرير العتيق يصدح في أرجاء الغرفة، فكرت في نفسها: " إنني أكاد أفقد السيطرة على نفسي. وأصبحت أتصرف كمراهقة غبية، أو كعانس محرومة من الحنان، حتى أني عاجزة عن التفكير السليم".

لعنت مرة أخرى.

"فكرت في سرها" بالطبع لم يكن جيرالت، لا تنفعلي يا صغيرتي، لا تنفعلي، فكري فقط في تعابير وجهه في الإسطبل، لقد رأيت تعابير كهذه من قبل. لقد رأيتها، لذا لا تخدعي نفسك، التعابير الحمقاء، الخجلة، والمحرجة للرجال الذين يريدون أن ينسوا، الذين يندمون، الذين لا يريدون تذكر ما حدث، لا يريدون العودة إلى ما كان، بحق جميع الآلهة، يا صغيرتي، لا تخدعي نفسك بأنه مختلف هذه المرة، الأمر ليس مختلفًا أبدًا. وأنتِ تعرفين ذلك. لأنكِ، بعد كل شيء، لديكِ خبرة لا بأس بها.

فيما يتعلق بحياتها الجنسية، يحق لتريس ميريغولد أن تعتبر نفسها ساحرة نموذجية، بدأ الأمر بمذاق مر للفاكهة المحرمة، زاد إثارته القواعد الصارمة للأكاديمية ومحظورات العشيقة التي كانت تتدرب تحت إشرافها. ثم جاء استقلالها وحريتها وانحلال جنوني انتهى -كما يحدث عادةً- بالمرارة وخيبة الأمل والاستسلام. ثم تلت ذلك فترة طويلة من الوحدة واكتشاف أنها إذا أرادت التخلص من توترها وإجهادها، فإن شخصًا يريد أن

يعتبر نفسه سيدها ومالكها - بمجرد أن استدار على ظهره ومسح العرق عن جبينه - كان غير ضروري تمامًا.

كانت هناك طرق أقل إزعاجًا لتهدئة أعصابها - طرق تتميز بمزايا إضافية تتمثل في عدم تلطيخ مناشفها بالدماء، وعدم إخراج ريح تحت اللحاف وعدم المطالبة بالإفطار. تبع ذلك افتتان قصير الأمد وممتع بالجنس نفسه، انتهى باستنتاج مفاده أن تلطيخ المناشف، وإخراج الريح والجشع لم تكن سمات ذكورية خالصة بأي حال من الأحوال. أخيرًا، مثل جميع السحرة تقريبًا باستثناء قلة منهم، انتقلت تريس إلى علاقات مع سحرة آخرين، والتي ثبت أنها متقطعة ومحبطة في مسارها البارد والتقني والطقوسي تقريبًا.

ثم ظهر جيرالت من ريفيا. ويتشر يقود حياة عاصفة، ومرتبط بصديقتها الحميمة ينيفر في علاقة غريبة ومضطربة وعنيفة تقريبًا.

شاهدتهم تريس كلاهما وكانت تغار على الرغم من أنه بدا أنه لا يوجد ما يغار منه. من الواضح تمامًا أن علاقتهما جعلتهما كلاهما غير سعيدين، وأدت مباشرة إلى الدمار والألم، ومع ذلك، على عكس كل منطق... فقد استمرت. لم تستطع تريس فهم ذلك. وقد سحرتها. لقد سحرتها إلى درجة أن...

... لقد أغوت الويتشر - بمساعدة سحر بسيط. لقد انتهزت لحظة مواتية، لحظة عندما خدش هو وينفر عيون بعضهما البعض مرة أخرى وانفصلا فجأة. كان جيرالت بحاجة إلى الدفء، وأراد أن ينسى.

لا، لم تكن تريس ترغب في أخذه من ينيفر. في الواقع، كانت صديقتها أهم بالنسبة لها منه، لكن علاقتها القصيرة مع الويتشر لم تخيب أملها. لقد وجدت ما كانت تبحث

عنه، مشاعر في صورة ذنب وقلق وألم، ألمه، لقد شعرت بمشاعره، وقد أثارها ذلك، وعندما انفصلا، لم تستطع نسيان الأمر، ولم تفهم ما هو الألم إلا مؤخرًا. اللحظة التي أرادت فيها بشدة أن تكون معه مرة أخرى ولو لفترة قصيرة - ولمجرد لحظة - أن تكون معه.

والآن أصبحت قريبة جدًا...

ضغطت تريس قبضتها ولكمت الوسادة. لا، فكرت، لا. لا تكوني حمقاء. لا تفكري في الأمر. فكري في...

في سيري. هل هي...

نعم، لابد أنها كانت هي السبب الحقيقي وراء زيارتها لكيرموهين. الفتاة ذات الشعر الأشقر الرمادي التي يريدون هنا في كير موهين تحويلها إلى ويتشر. ويتشر حقيقي. متحولة وآلة قتل مثلهم.

من الواضح، فكرت فجأة، وشعرت بإثارة عاطفية من طبيعة مختلفة تمامًا، من الواضح إنهم يريدون تحويل الطفلة وإخضاعها لاختبار الأعشاب والتغييرات، لكنهم لا يعرفون كيف يفعلون ذلك، كان فيسيمير هو الويتشر الوحيد المتبقي من الجيل السابق، وكان مجرد مدرب سياج المختبر، المخفي في أقبية كاير مورهين، مع قوارير الإكسيرات الترابية، وأجهزة التقطير، والأفران، والمعوجات... لم يكن أي من الويتشرز يعرف كيف يستخدمها، لقد تم تحضير الإكسيرات المطفرة بواسطة ساحر مرتد في الماضي البعيد ثم تم إتقانها على مر السنين من قبل خلفاء الساحر، الذين سيطروا بمرور السنين سحريًا على عملية التغييرات التي يخضع لها الأطفال. وفي لحظة حاسمة، انقطعت

السلسلة ولم تعد هناك معرفة أو قوة سحرية. كان لدى الويتشرز الأعشاب والحشائش، وكان لديهم المختبر. كانوا يعرفون الوصفة. لكن لم يكن لديهم ساحر.

من يدري! ربما قد حاولوا ذلك من قبل؟ هل أعطوا الأطفال خلطات محضرة دون استخدام السحر؟

ارتجفت عند التفكير فيما قد يكون قد حدث لهؤلاء الأطفال.

والآن يريدون تحويل الفتاة ولكنهم لا يستطيعون. وقد يعني ذلك...

ربما يطلبون مني المساعدة، وحينها سأرى شيئًا لم يك يرى من قبل أي ساحر حي، ولربما سأتعلم شيئًا لم يتعلمه أي ساحر من قبل، أعشابهم وحشائشهم الشهيرة، مزارع الفيروسات السرية، الوصفات الغامضة والشهيرة...

وسأكون أنا من يعطي الطفلة عددًا من الإكسيرات، ومن سيراقب تغيرات التحول، ومن سيراقب، بعيني... يراقب الطفلة ذات الشعر الرمادي الفاتح تموت.

أوه، لا. ارتجفت تريس مرة أخرى. أبداً. ليس بمثل هذا الثمن.

إضافة إلى ذلك، فكرت، ربما تحمست بسرعة كبيرة مرة أخرى. ربما ليس هذا هو الأمر. تحدثنا على العشاء، وتجاذبنا أطراف الحديث حول هذا وذاك. حاولت توجيه المحادثة إلى طفلة المفاجأة عدة مرات دون جدوى. قاموا بتغيير الموضوع على الفور.

لقد راقبتهم. كان فيسيمير متوترًا ومضطربًا؛ وكان جيرالت قلقًا، وكان لامبرت وإسكل مرحين ومتحدثين بشكل مصطنع، وكان كوين طبيعيًا لدرجة أنه كان غير طبيعي. الشخص الوحيد الذي كان صادقًا ومنفتحًا هو سيري، ذات الخدين الورديين من البرد،

شعثاء الشعر، سعيدة ونهمة بشكل شيطاني. لقد أكلوا حساء البيرة، الكثيف بالخبز المحمص والجبن، وقد تفاجأت سيري لأنهم لم يقدموا الفطر أيضًا. لقد شربوا عصير التفاح، ولكن الفتاة أعطيت الماء وكانت مندهشة ومشمئزة منه بوضوح. "أين السلطة؟" صرخت، وقام لامبرت بتوبيخها بشدة وأمرها بإبعاد مرفقيها عن الطاولة.

- الفطر والسلطة. في ديسمبر؟

بالطبع، فكرت تريس. إنهم يطعمونها تلك النباتات الكهفية الرمية الأسطورية - نبات جبلي غير معروف للعلم - ويعطونها نقيعات أعشابهم الغامضة لتشربها، فالفتاة تتطور بسرعة، وتكتسب لياقة جهنمية خاصة بالويتشر بشكل طبيعي بدون التحول، بدون المخاطرة، بدون الاضطراب الهرموني. لكن يجب ألا يعرف الساحر هذا، يجب أن يبقى هذا سرًا عن الساحر، لن يخبروني بأي شيء؛ لن يرونني أي شيء.

رأيت كيف كانت تجري تلك الفتاة، رأيت كيف كانت ترقص على العارضة بسيفها، رشيقة وسريعة، مليئة برشاقة راقصة تشبه القطط، تتحرك كبهلوان.

يجب علي، فكرت، يجب عليّ تمامًا أن أرى جسدها، وأرى كيف تتطور تحت تأثير أي شيء يطعمونها إياه، وماذا لو تمكنت من سرقة عينات من هذه "الفطريات" و"السلطات" وأخذها بعيدًا؟ حسناً، حسناً... والثقة؟ لا أهتم بتاتاً لثقتكم، أيها الويتشرز. هناك سرطان في العالم، وجدري، وكزاز، وابيضاض دم، وهناك حساسية، وهناك موت المهد. وأنتم تحتفظون بـ "فطرياتكم"، التي ربما يمكن تقطيرها وتحويلها إلى أدوية منقذة للحياة، مخبأة بعيدًا عن العالم. وأنتم تحتفظون بها سرًا حتى عني، وعن الآخرين الذين تعلنون لهم صداقتكم واحترامكم وثقتكم، حتى أنا ممنوعة من رؤية ليس فقط المختبر، ولكن حتى تلك الفطريات اللعينة!

- إذًا لماذا أحضرتموني إلى هنا؟ أنا، ساحرة؟

السحر!

قهقهت تريس. ها ها ها ... أيها الويتشرز، لقد أمسكت بكم! لقد أخافتكم سيري تمامًا كما أخافتني، لقد "انسحبت" إلى حلم يقظة، وبدأت تتنبأ، وأصدرت هالة، والتي - بعد كل شيء - يمكنكم استشعارها تقريبًا بقدر ما أستطيع أنا، لقد وصلت تلقائيًا إلى شيء بتحريك الأشياء عن بعد، أو ثنت ملعقة قصدير بإرادتها وهي تحدق بها أثناء الغداء، لقد أجابت على أسئلة فكرتم بها فقط، وربما حتى بعض الأسئلة التي كنتم تخشون طرحها على أنفسكم. وشعرتم بالخوف. لقد أدركتم أن مفاجأتكم أكثر إثارة للدهشة مما تخيلتم.

لقد أدركتم أن لديكم المصدر في كير مورهين.

وهذا، لا يمكنكم تدبره بدون ساحرة.

وأنتم لا تملكون ساحرة ودودة واحدة، ولا واحدة تثقون بها. باستثنائي أنا و... وينيفر.

عوت الرياح وارتطمت بالمصراع فانتفخ النسيج المعلق، تقلبت تريس على ظهرها وبدأت، شاردة الذهن، في قضم ظفر إبهامها.

لم يدعُ جيرالت ينيفر. لقد دعاني أنا. هل يعني ذلك...؟

من يدري. ربما. ولكن إذا كان الأمر كما أظن فلماذا...؟

لماذا...؟

"لماذا لم يأتِ إليّ؟" صرخت بهدوء في الظلام، غاضبة ومستثارة.

أجابها عواء الرياح وسط الأنقاض.

كان الصباح مشمسًا لكنه بارد بشكل شيطاني.

إستيقظت تريس وهي ترتجف من البرد، فهي لم تنل قسطًا كافيًا من النوم، ولكنها أصبحت أخيرًا مطمئنة وحازمة.

كانت آخر من نزلت إلى القاعة، تقبلت إطراء النظرات التي كافأتها على جهودها - فقد بدلت ملابس سفرها بفستان جذاب ولكن بسيط ووضعت بمهارة عطورًا سحرية ومستحضرات تجميل غير سحرية ولكنها باهظة الثمن بشكل لا يصدق. أكلت عصيدة الشوفان وهي تدردش مع الويتشرز حول أمور غير مهمة وتافهة.

"ماء مرة أخرى؟" تمتمت سيري فجأة، وهي تحدق في كوبها. "أسناني تتخدر عندما أشرب الماء! أريد بعض العصير! ذلك الأزرق!"

"لا ترتخي"، قال لامبرت، وهو يختلس نظرة إلى تريس من زاوية عينه. "ولا تمسحي فمكِ بكمكِ! أنهي طعامكِ؛ لقد حان وقت التدريب فالأيام تقصر".

"جيرالت". أنهت تريس عصيدة الشوفان. "سقطت سيري في المسار بالأمس. لا شيء خطير، لكن كان بسبب زي المهرج الذي ترتديه، إنه فضفاض للغاية، ويعيق حركتها".

توتر فيسيمير وأدار عينيه بعيدًا. آها، فكرت الساحرة، إذن هذا عملك يا سيد السيف. متوقع بما فيه الكفاية، سترة سيري القصيرة تبدو كما لو أنها قُطعت بسكين وخيطت برأس سهم.

"الأيام تقصر بالفعل"، تابعت، دون انتظار تعليق. "لكننا سنجعل اليوم أقصر أيضًا. سيري، هل انتهيت؟ تعالي معي من فضلك. سنجري بعض التعديلات الحيوية على زيكِ الرسمي".

"إنها تركض بهذا منذ عام، يا ميريغولد"، قال لامبرت بغضب. "وكان كل شيء على ما يرام حتى..."

"... حتى وصلت امرأة لا تستطيع تحمل رؤية ملابس رديئة الذوق لا تناسب؟ أنت محق يا لامبرت. لكن امرأة قد وصلت، والنظام القديم قد انهار؛ لقد حل زمن التغيير العظيم. هيا يا سيري".

ترددت الفتاة، ونظرت إلى جيرالت. أومأ جيرالت بالموافقة وابتسم. بلطف. تمامًا كما ابتسم في الماضي عندما، عندما...

أدارت تريس عينيها بعيدًا. لم تكن ابتسامته لها.

كانت غرفة سيري الصغيرة نسخة طبق الأصل من مساكن الويتشرز. كانت، مثل مساكنهم، خالية تقريبًا من جميع التركيبات والأثاث. لم يكن هناك عمليًا أي شيء هناك بجانب بعض الألواح الخشبية المسمرة لتشكيل سرير ومقعد وصندوق. كان الويتشرز يزينون جدران وأبواب مساكنهم بجلود الحيوانات التي يقتلونها عند الصيد - الأيائل والوشق والذئاب وحتى الوشق القطبي. ومع ذلك، على باب غرفة سيري الصغيرة، عُلقت جلد فأر ضخم بذيل قبيح مغطى بالحراشف. كافحت تريس رغبتها في تمزيق ذلك الشيء المقرف ذي الرائحة الكريهة وإلقائه من النافذة.

كانت الفتاة، واقفة بجانب السرير، تحدق بها بترقب.

"سنحاول"، قالت الساحرة، "أن نجعل هذا ... الغمد مناسبًا بشكل أفضل قليلاً. لطالما كانت لديّ موهبة في القص والخياطة، لذلك يجب أن أكون قادرة على تدبر جلد الماعز هذا أيضًا. وأنتِ يا فتاة الويتشر الصغيرة، هل أمسكتِ بإبرة في يدكِ من قبل؟ هل تم تعليمكِ أي شيء آخر غير صنع ثقوب بالسيف في أكياس القش؟"

"عندما كنت في ترانزريفر، في كاجين، كان عليّ أن أغزل،" تمتمت سيري على مضض. "لم يعطوني أي خياطة لأنني كنت أفسد الكتان وأهدر الخيط؛ وكان عليهم أن يفكوا كل شيء. كان الغزل مملاً بشكل فظيع - يا للقرف!"

قهقهت تريس: "صحيح. من الصعب إيجاد شيء أكثر مللاً. كرهت الغزل أيضاً."

"وهل كان عليكِ أن تفعلي ذلك؟ كان عليّ أن أفعل ذلك لأن... لكنكِ سا- ساحرة. تستطيعين استحضار أي شيء! ذلك الفستان المذهل... هل استحضرتِه؟"

ابتسمت تريس: "لا. ولا خيطتُه بنفسي. لستُ بتلك الموهبة."

"وملابسي، كيف ستصنعينها؟ هل ستستحضرينها؟"

"لا حاجة لذلك. إبرة سحرية تكفي، إبرة سنسحرها لتعمل بقوة أكبر. وإذا كانت هناك حاجة..."

مررت تريس يدها ببطء على الثقب الممزق في كُم سترة سيري، متمتمة بتعويذة بينما تحفز تميمة للعمل. لم يتبق أثر للثقب. صرخت سيري فرحاً.

"هذا سحر! سأحصل على سترة سحرية! رائع!"

"فقط حتى أصنع لكِ سترة عادية - لكن جيدة – حسناً والآن اخلعي كل هذا يا آنسة وغيري إلى شيء آخر، هذه ليست ملابسك الوحيدة، أليس كذلك؟"

هزت سيري رأسها، ورفعت غطاء الصندوق وأرتها فستاناً باهتاً فضفاضاً، وسترة رمادية داكنة، وقميص كتان وبلوزة صوفية تشبه كيس نادم.

قالت: "هذا ملكي. هذا ما جئت به. لكنني لا أرتديه الآن. إنه أشياء نسائية."

تَجَهَّمَت تريس بتهكم: "أفهم. نسائية أم لا، في الوقت الحالي سيتعين عليكِ تغييرها. حسناً، هيا اسرعي، اخلعي ملابسك. دعيني أساعدكِ... تباً! ما هذا؟ سيري؟"

كانت كتفا الفتاة مغطاة بكدمات ضخمة، مشبعة بالدماء. معظمها قد تحول بالفعل إلى اللون الأصفر؛ وبعضها كان طازجاً.

كررت الساحرة بغضب: "ما هذا بحق الجحيم؟ من ضربكِ هكذا؟"

نظرت سيري إلى كتفيها وكأنها متفاجئة من عدد الكدمات. "آه، هذا... كان ذلك الطاحونة الهوائية. كنت بطيئة جداً."

"أي طاحونة هوائية؟ بحق الجحيم!"

كررت سيري، رافعة عينيها الكبيرتين لتنظر إلى الأعلى إلى الساحرة. "الطاحونة الهوائية، إنها نوع من... حسناً... أستخدمها لأتعلم المراوغة أثناء الهجوم. لديها مخالب مصنوعة من العصي وهي تدور وتلوح بالمخالب. عليكِ أن تقفزي بسرعة كبيرة وتراوغي. عليكِ أن تتعلمي الليفركس. إذا لم يكن لديكِ الليفركس، فإن الطاحونة

الهوائية تصفعكِ بعصا. في البداية، أعطتني الطاحونة الهوائية ضرباً مبرحاً فظيعاً حقاً. لكن الآن ..."

"اخلعي السراويل الضيقة والقميص. يا آلهة الرحمة! يا بنيتي! هل يمكنكِ حقاً المشي؟ الركض؟"

كان كلا وركيها وفخذها الأيسر مزرقاً ومسوداً بالأورام الدموية والانتفاخات، ارتعدت سيري وأصدرت فحيحاً، وتسحب نفسها بعيداً عن يد الساحرة. أقسمت تريس بشدة باللغة القزمية، مستخدمة لغة بذيئة لا توصف.

"هل كانت تلك الطاحونة الهوائية أيضاً؟" سألت، محاولة البقاء هادئة.

"هذا؟ لا. هذا، هذا كان الطاحونة الهوائية." أشارت سيري بلا مبالاة إلى كدمة ضخمة أسفل ركبتها اليسرى، تغطي ساقها. "وهذه الكدمات الأخرى... كانت البندول. أتدرب على خطوات المبارزة على البندول. يقول جيرالت إنني جيدة بالفعل في البندول. يقول إنني أمتلك... موهبة. لديّ موهبة."

"وإذا نفدت موهبتكِ" - ضغطت تريس على أسنانها - "أفترض أن البندول يلطمكِ؟"

أكدت الفتاة، ناظرة إليها، ومتفاجئة بوضوح من هذا النقص في المعرفة. "إنه يلطمكِ، وبشدة."

"وهنا؟ على جانبكِ؟ ما هذا؟ مطرقة حداد؟"

أصدرت سيري فحيحاً من الألم واحمر وجهها. "لقد سقطتُ من المشط..."

". . . والمشط صفعكِ،" أنهت تريس حديثها وهي تكتم غيظها وتحاول السيطرة على نفسها بصعوبة متزايدة.

- ردت سيري باستهزاء: "كيف يمكن للمشط أن يصفعكِ وهو مدفون في الأرض؟ لا يمكنه ذلك! لقد سقطتُ فحسب، لقد كنت أتدرب على الدوران والقفز ولكن لم ينجح الأمر ومن هنا أتت الكدمة لأنني قد ارتطمتُ بعمود."

- واستلقيتِ هناك ليومين؟ متألمة؟ تجدين صعوبة في التنفس؟'

- "على الإطلاق، قام كوين بتدليكه وأعادني مباشرة إلى المشط، عليكِ أن تفعلي ذلك، أتعلمين؟ وإلا ستصابين بالخوف".

- "ماذا؟"

- "تصابين بالخوف"، كررت سيري ذلك بفخر، وهي تُزيح غرتها الرمادية عن جبينها. "ألم تعرفي؟ حتى عندما يحدث لكِ شيء سيئ، عليكِ أن تعودي مباشرة إلى تلك القطعة من المعدات وإلا ستخافين. وإذا خفتِ فستكونين ميؤوساً منها في التمرين. يجب ألا تستسلمي، قال جيرالت ذلك."

- "يجب أن أتذكر تلك الحكمة"، تمتمت الساحرة من بين أسنانها، "خاصة وأنها أتت من جيرالت، ليست وصفة سيئة للحياة على الرغم من أنني لست متأكدة من أنها تنطبق في كل موقف، لكن من السهل تطبيقها على حساب شخص آخر. إذاً يجب ألا تستسلمي؟ حتى لو كنتِ تتعرضين للضرب والهزيمة بألف طريقة، عليكِ النهوض والاستمرار في التدريب؟"

- "بالطبع فالويتشر لا يخاف من أي شيء".

- "هل هذا صحيح يا سيري؟ أنتِ لا تخافين من أي شيء؟ أجيبي بصدق."

أدارت الفتاة وجهها وعضت شفتها. "لن تخبري أحداً؟"

- "لن أفعل."

- "أخاف من بندولين إثنين في نفس الوقت، والطاحونة الهوائية، ولكن فقط عندما يتم ضبطها على السرعة القصوى. وهناك أيضاً توازن طويل، ما زلت أضطر إلى الذهاب إليه... مع أداة أم- أداة أمان. يقول لامبرت إنني جبانة وضعيفة لكن هذا ليس صحيحاً. أخبرني جيرالت أن وزني موزع بشكل مختلف قليلاً لأنني فتاة. عليّ ببساطة أن أتدرب أكثر إلا إذا... أردت أن أسألكِ شيئاً. هل لي بذلك؟"

- "لكِ ذلك."

- "إذا كنتِ تعرفين السحر والتعاويذ... إذا كنتِ تستطيعين إلقاءها... هل يمكنكِ تحويلي إلى ولد؟"

- "لا"، أجابت تريس بنبرة جليدية. "لا أستطيع."

- "همم..." كانت الفتاة الصغيرة منزعجة بوضوح. "ولكن هل يمكنكِ على الأقل..."

- "على الأقل ماذا؟"

- "هل يمكنكِ فعل شيء حتى لا أضطر إلى..." احمر وجه سيري. "سأهمسها في أذنكِ."

"تفضلي"، انحنت تريس. "أنا أستمع."

اقتربت سيري، وهي تزداد احمراراً، برأسها من شعر الساحرة الكستنائي.

استقامت تريس فجأة، وعيناها تشتعلان.

- "اليوم؟ الآن؟"

- "مهم."

- "تباً ياللعنات السماء !" صاحت الساحرة وعينيها تتقد شراراً، وركلت المقعد بقوة لدرجة أنه اصطدم بالباب وأسقط جلد الفأر. "أصابتهم الآلهة بداء الجدري، والطاعون، والبرص! سأقتل أولئك الحمقى الملاعين!"

- "اهدئي يا ميريغولد" ، قال لامبرت. "من غير الصحي الغضب هكذا، خاصةً دون سبب".

- "لا تعظني! وتوقف عن مناداتي بـ"ميريغولد"! ولكن الأفضل من ذلك كله، توقف عن الكلام تماماً. أنا لا أتحدث إليك، فيسيمير، جيرالت، هل رأى أي منكما كم هي منهكة هذه الطفلة؟ ليس لديها بقعة صحية واحدة على جسدها!"

- "يا طفلتي العزيزة"، قال فيسيمير بجدية، "لا تدعي مشاعركِ تجرفكِ. لقد تربيتِ بشكل مختلف، ورأيتِ الأطفال يتربون بطريقة أخرى. تأتي سيري من الجنوب حيث يتربى الفتيات والفتيان بنفس الطريقة، مثل الإلف. لقد وضعت على مهر وهي في الخامسة من عمرها وعندما كانت في الثامنة كانت بالفعل تركب للخروج للصيد. لقد تعلمت استخدام القوس والرمح والسيف، إن الكدمة ليست شيئاً جديداً على سيري..."

- "لا تعطني بهذا الهراء"، اشتعلت تريس في غضب، "لا تتظاهروا بالغباء، هذا ليس مجرد مهر أو حصان أو ركوب مزلقة، هذه كيرموهين! على طواحين الهواء والبندولات الخاصة بكم .. على طريقكم "القاتل" اللعين .. كسر العشرات من الفتيان عظامهم ولووا أعناقهم، فتيانٌ قساة .. متسكعين .. متمرسين مثلكم، تم العثور عليهم على الطرقات وانتشالهم من المجاري، أوغاد أشداء وعديمي الفائدة، يتمتعون بخبرة جيدة على الرغم من حياتهم القصيرة، ما هي فرصة سيري؟! وعلى الرغم من أنها تربت في الجنوب بأساليب الإلف حتى أنها نشأت تحت يد فأس معركة مثل ليونيس كالانت، إلا أن تلك الصغيرة كانت ولا تزال أميرة، بشرة رقيقة، بنية لطيفة، عظامٌ خفيفة... إنها فتاة! ماذا تريدون تحويلها إليه؟ ويتشر؟"

- "تلك الفتاة"، قال جيرالت بهدوء وبرود، 'تلك الأميرة الصغيرة الرقيقة نجت من مذبحة سينترا، لقد تركت بالكامل لشأنها فتسللت متجاوزة جحافل نيلفقارد، ونجحت في الفرار من الغزاة الذين تجولوا في القرى ينهبون ويقتلون كل من كان لا يزال حياً. لقد نجت بمفردها لأسبوعين في غابات ترانزريفر، بمفردها تماماً. قضت شهراً تتجول مع مجموعة من الفارين، تكدح بجد مثل جميع الآخرين وتجوع مثلهم، لما يقرب من نصف عام، وبعد أن استقبلتها عائلة فلاحين، عملت في الأرض، ومع الماشية، صدقيني يا تريس، لقد صقلتها الحياة، وأعدتها بشكل أفضل من عديمي الفائدة ممن هم مثلنا الذين تم جلبهم إلى كيرموهين من الطرق السريعة. سيري ليست أضعف من أولئك اللقطاء غير المرغوب بهم الذين تركوا مع السحرة في الحانات مثل القطط الصغيرة في سلة خوص، وجنسها؟ ما الفرق الذي يحدثه ذلك ياتريس؟"

- "أما زلت تسأل؟ أما زلت تجرؤ على السؤال عن ذلك؟" صرخت الساحرة. "ما الفرق الذي يحدثه؟ فقط أن الفتاة، على عكسكم، لديها أيامها! وتتحملها بشكل سيء

بشكل استثنائي! وتريدونها أن تمزق رئتيها على ذلك الطريق القاتل وبعض طواحين الهواء اللعينة!".

على الرغم من غضبها، شعرت تريس برضا لذيذ وهي ترى التعابير الخجلة على وجوه الويتشرز الشباب، كاد فك فيزيمير أن يسقط فجأة من الدهشة.

- "لم تكونوا تعلمون حتى" ، أومأت برأسها فيما كان الآن توبيخًا هادئًا وقلقًا ولطيفًا. "أنتم أوصياء مثيرون للشفقة. إنها تخجل من إخباركم لأنها تعلمت ألا تذكر شكاوى كهذه للرجال. وهي تخجل من الضعف والألم وحقيقة أنها أقل لياقة. هل فكر أي واحد منكم في ذلك؟ هل اهتم به أحد منكم؟ أو حاول تخمين ما قد يكون الأمر معها؟ ربما حدث نزيفها الأول هنا، في كاير مورهين؟ وبكت وحدها في الليل، غير قادرة على إيجاد أي تعاطف أو مواساة أو حتى تفهم من أي شخص؟ هل فكر أي واحد منكم في ذلك إطلاقًا؟"

- "توقفي يا تريس،" أنَّ جيرالت بهدوء. "كفى. لقد حققتِ ما أردتِ. وربما أكثر."

- "تبًا لذلك" لعن الويتشر كوين غاضباً "لقد تبين أننا حمقى بحق، ليس هناك مجال للشك، أليس كذلك يا فيزيمير، وأنت ... "

- "صمتاً"، زمجر الساحر العجوز، "ولا كلمة".

كان سلوك إسكيل هو الأكثر غرابة؛ فقد نهض، واقترب من الساحرة، وانحنى منخفضًا، وأخذ يدها وقبلها باحترام. سحبت يدها بسرعة. ليس لإظهار غضبها وانزعاجها ولكن لكسر الاهتزاز اللطيف والخارق الذي أثاره لمسة الويتشر. كان إسكيل يشع بقوة. بقوة أكبر من جيرالت.

- "تريس،" قالها إسكيل بحرج وهو يفرك الندبة البشعة على خده، "ساعدينا .. نحن نطلب منكِ أن تساعدينا يا تريس."

- نظرت الساحرة إليه في عينيه وزمّت شفتيها. "بماذا؟ بماذا يفترض أن أساعدكم يا إسكيل؟"

فرك إسكيل خده مرة أخرى، ونظر إلى جيرالت. خفض الساحر ذو الشعر الأبيض رأسه، مخفيًا عينيه خلف يده. بينما أحدث فيزيمير بصوته بحةً عالية.

في تلك اللحظة، فُتح الباب محدثاً صريراً عالياً ودخلت سيري القاعة ليتحول صوت فيزيمير المبحوح إلى شيء أشبه بالصفير بشهيق عالٍ، فتح لامبرت فمه دون حديث، وكتمت تريس ضحكة.

كانت سيري، بشعرها القصير والمصفف، تسير نحوهم بخطوات صغيرة، وهي ترفع بحذر فستانًا أزرق داكنًا - تم تقصيره وتعديله، ولا يزال يظهر عليه علامات حمله في حقيبة سرج. هدية أخرى من الساحرة تتلألأ حول عنق الفتاة - أفعى سوداء صغيرة مصنوعة من الجلد المطلي بالورنيش بعين ياقوتية ومشبك ذهبي.

توقفت سيري أمام فيزيمير. وهي لا تعرف تمامًا ماذا تفعل بيديها، وضعت إبهاميها خلف حزامها.

"لا يمكنني التدرب اليوم،" تلت بصمت مطبق، ببطء وتأكيد، "لأني . . . أنا . . ."

نظرت إلى الساحرة، فغمزت تريس لها وهي تبتسم بخبث كوغد راضٍ عن أذيته، وحركت شفتيها لتلقين السطور المحفوظة.

- "مُتَوَعِّكة!" أنهت سيري بصوت عالٍ وبفخر، رافعة أنفها عالياً تقريبًا إلى السقف.

أخرج فيزيمير صوته مرة أخرى. لكن إسكيل، العزيز إسكيل، حافظ على رباطة جأشه وتصرف مرة أخرى كما يليق.

- "بالطبع،" قال عرضًا، مبتسمًا. "نحن نتفهم ومن الواضح أننا سنؤجل تمارينكِ حتى يزول توعككِ. وسنختصر أيضًا الجانب النظري، وإذا شعرتِ بتوعك، فسنضعه جانبًا في الوقت الحالي أيضًا. وإذا احتجتِ أي دواء أو .."

- "سأعتني بذلك،" قاطعته تريس عرضًا بنفس القدر.

- "آها . . ." الآن فقط احمرت وجنتا سيري قليلاً - نظرت إلى الساحر العجوز. "عمي فيزيمير، لقد طلبت من تريس . . . أي الآنسة ميريغولد، أن . . . أي . . . حسنًا، أن تبقى هنا معنا. لفترة أطول. لوقت طويل. لكن تريس قالت أن عليك أن توافق، يا عمي فيزيمير! قل نعم!"

- "أوافق . . ." قالها مندهشاً .. وبصوته المبحوح قال: "بالطبع، أوافق . . ."

- "نحن سعداء جدًا" أزال جيرالت يده عن جبينه بارتياح "نحن مسرورون للغاية يا تريس."

أومأت الساحرة برأسها قليلًا نحوه ورمشت ببراءة، وهي تلف خصلة كستنائية حول إصبعها. بدا وجه جيرالت كأنه منحوت من الحجر تقريبًا.

- جيرالت: "لقد تصرفتِ بشكل لائق ومهذب للغاية يا سيري، بتقديم ضيافتنا المستمرة في كيرموهين للآنسة ميريغولد. أنا فخور بكِ."

احمر وجه سيري وابتسمت ابتسامةً عريضه. أعطتها الساحرة العلامة التالية المتفق عليها مسبقًا.

- رفعت سيري أنفها لأعلى من ذي قبل: "والآن سأترككم وحدكم لأنكم بلا شك ترغبون في التحدث عن أمور هامة مختلفة مع تريس. الآنسة ميريغولد. عمي فيزيمير، أيها السادة . . . أودعكم. في الوقت الحالي."

انحنت بذوق ثم غادرت القاعة، صاعدة الدرج ببطء ووقار.

- "تبًا" كسر لامبرت الصمت. "يا لي من أحمق .. كيف لم أصدق أنها حقًا أميرة."

- ألقى فيزيمير نظرة حوله، وقال: "هل فهمتم أيها الحمقى؟ إذا ارتدت فستانًا في الصباح، فلا أريد أن أرى أية تمارين . . . هل هذا مفهوم؟"

تبادل إسكيل وكوين نظرة كانت خالية تمامًا من الاحترام للرجل العجوز. شخر لامبرت بصوت عالٍ.

حدق جيرالت في الساحرة وأخذت الساحرة تبتسم بالمقابل. وقال: "شكرًا لكِ، شكرًا لكِ يا تريس."

- قال إسكيل قلقًا بوضوح: "أهناك شروط أخرى؟ لكننا وعدنا بالفعل بتخفيف تدريب سيري يا تريس. ما هي الشروط الأخرى التي تريدين فرضها؟"

- تريس: "حسنًا، ربما كلمة 'شروط' ليست لطيفة جدًا. لذا دعونا نسميها نصيحة. سأقدم لكم ثلاث نصائح، وعليكم الالتزام بكل واحدة منها. إذا كنتم، بالطبع، تريدون حقًا أن أبقى وأساعدكم في تربية الصغيرة."

قال جيرالت: "نحن نصغي. تفضلي يا تريس."

بدأت وهي تبتسم بخبث: "أولاً وقبل كل شيء، يجب أن تكون قائمة طعام سيري أكثر تنوعًا. ويجب الحد من الفطر السري والخضروات الغامضة على وجه الخصوص."

تمالكا جيرالت وكوين تعابير وجهيهما بشكل رائع، لكن لامبرت وإسكيل كانا أقل تمالكًا، أما فيزيمير فلم يتمالك نفسه على الإطلاق. ولكنها فكرت، وهي تنظر إلى تعبيره المحرج المضحك، في أيامه كان العالم مكانًا أفضل،كان الازدواج في الشخصية عيبًا مشينًا، أما الإخلاص فلم يكن يجلب العار.

تابعت وهي تحاول ألا تضحك: "كمية أقل من مغلي الأعشاب الغامضة، والمزيد من الحليب، لديكم ماعز هنا، وحلب الماعز ليس فنًا عظيمًا، سترى يا لامبرت، ستتعلم كيف تفعل ذلك في وقت قصير."

- بدأ جيرالت: "تريس، اسمعي ..."

- قاطعته بحدة "لا، أنتَ من سيسمع، أنتم لم تُخضعوا سيري لطفرات عنيفة بعد، ولم تمسوا هرموناتها، ولم تجربوا عليها أي إكسير أو أعشاب، وهذا يُحمد لكم، كان ذلك أمراً معقولاً ومسؤولاً وإنسانيًا كونكم لم تؤذوها بأي من سمومكم - لذا يجب عليكم أكثر ألا تشوهوها الآن".

- جيرالت: "عما تتحدثين؟"

- أوضحت تريس: "الفطر الذي تحرسون أسراره بعناية فائقة، إنها فعال بالفعل، فهو يحافظ على لياقة الفتاة بشكل رائع ويقوي عضلاتها، كما أن الأعشاب تضمن معدل أيض مثالي لتسريع نموها، كل هذا مجتمعًا ومُعززًا بالتدريب الشاق يُحدث تغييرات

معينة في بنيتها وفي نسيجها الدهني، إنها امرأة، وبما أنكم لم تشوهوا نظامها الهرموني، فلا تشوهوها جسديًا الآن، قد تحملها عليكم لاحقًا إذا حرمتموها بقسوة من صفاتها الأنثوية . . . هل تفهمون ما أقوله؟"

تمتم لامبرت وهو يحدق بوقاحة في ثديي تريس اللذين كانا بارزين تحت قماش فستانها: "وكيف لا نفهم." أخرج إسكيل صوته بحةً ونظر إلى الويتشر الشاب نظرة حادة.

- سأل جيرالت ببطء، وهو ينظر أيضًا بعينيه هنا وهناك: "في الوقت الحالي، ألم تلاحظي أي شيء قد فُقد فيها ولا رجعة فيه من آمل؟"

ابتسمت: "لا. لحسن الحظ، لا. إنها تتطور بشكل صحي وطبيعي وبنيتها مثل حورية غابة شابة - إنه لمن دواعي السرور النظر إليها - لكنني أطلب منكم أن تكونوا معتدلين في استخدام معجلاتكم."

وعد فيزيمير: "سنفعل. شكرًا لكِ على هذا التحذير يا صغيرتي. ماذا أيضًا؟ قلتِ ثلاث . . . نصائح."

- "بالفعل. هذه هي النصيحة الثانية: يجب عدم السماح لسيري بأن تنمو همجية. يجب أن يكون لها اتصال بالعالم. بأقرانها. يجب أن تحصل على تعليم لائق وتستعد لحياة طبيعية. اتركوها تلوح بسيفها في الوقت الحالي. أنتم لن تحولوها إلى ويتشر بدون طفرة على أية حال، لكن الحصول على تدريب ويتشر لن يضرها، إن الأوقات عصيبة وخطيرة؛ وستكون قادرة على الدفاع عن نفسها عند الضرورة، لكن يجب ألا تدفنوها حية هنا، في وسط هذا المكان المنعزل. يجب أن تحظى بحياة طبيعية."

- تمتم جيرالت: "حياتها الطبيعية احترقت في النيران مع سينترا، ولكن فيما يتعلق بهذا الأمر يا تريس، كالعادة أنتِ على حق. لقد فكرنا في الأمر بالفعل، في الربيع سأخذها إلى مدرسة المعبد. إلى نينكه. إلى إيلاندر."

- "إنها فكرة جيدة جدًا وقرار حكيم. نينكه امرأة استثنائية وملاذ الإلهة ميليتيلي مكان استثنائي. آمن ومضمون، ويضمن تعليمًا مناسبًا للفتاة. هل تعلم سيري بعد؟"

- "نعم. أثارت ضجة لبضعة أيام لكنها قبلت بالفكرة أخيرًا. وهي الآن تتطلع إلى الربيع بفارغ الصبر، متحمسة لاحتمال القيام برحلة استكشافية إلى تيميريا، إنها مهتمة بالعالم."

- ابتسمت تريس مكملة: "كنتُ كذلك في سنها. وهذه المقارنة تقربنا بشكل خطير من النصيحة الثالثة. النصيحة الأكثر أهمية. وأنتم تعرفون بالفعل ما هي. لا تعبثوا بوجوهكم. أنا ساحرة، هل نسيتم؟ لا أعرف كم استغرقكم من الوقت للتعرف على قدرات سيري السحرية، لقد استغرقني الأمر أقل من نصف ساعة. بعد ذلك عرفت من أو بالأحرى ما هي قدرة الفتاة."

- "وما هي؟"

- "مصدر"

- "هذا مستحيل!"

- "بل من الممكن والمؤكد، سيري مصدر ولديها قدرات وسيطة. والأكثر من ذلك، أن هذه القوى مقلقة للغاية، للغاية. وأنتم، أيها الويتشرز الأعزاء، تدركون تمامًا هذا الأمر.

لقد لاحظتم هذه القوى وقد أقلقتكم أيضًا. هذا هو السبب الوحيد والفريد الذي جلبتموني من أجله إلى كيرموهين؟ هل أنا على حق؟ السبب الوحيد والفريد؟"

أكد فيزيمير بعد لحظة صمت: "نعم."

تنفست تريس الصعداء بشكل غير محسوس للحظة، كانت تخشى أن يكون جيرالت هو من سيؤكد ذلك.

تساقط الثلج الأول في اليوم التالي، رقاقات ثلجية ناعمة في البداية، لكنها سرعان ما تحولت إلى عاصفة ثلجية، استمر التساقط طوال الليل، وفي الصباح الباكر، غُمرت جدران كاير مورهين تحت طبقة من الثلج. لم يكن من الممكن التفكير في التدريب على الطريق القاتل، خاصة وأن سيري لم تكن تشعر بتحسن كبير.

اشتبهت تريس في أن معجلات الويتشرز قد تكون سبب مشاكل الدورة الشهرية للفتاة، لكنها لم تستطع التأكد، وهي لا تعرف شيئًا تقريبًا عن تلك الأدوية، وكانت سيري، بلا شك، الفتاة الوحيدة في العالم التي تم إعطاؤها إياها، لم تشارك شكوكها تلك مع السحرة إذ لم ترغب في إقلاقهم أو إزعاجهم وفضلت تطبيق أساليبها الخاصة. أعطت سيري جرعات إكسير لتشربها، وربطت خيطًا من اليشم النشط حول خصرها، تحت فستانها، ومنعتها من إجهاد نفسها بأي شكل من الأشكال، وخاصةً من مطاردة الفئران بالسيف.

شعرت سيري بالملل. تجولت في القلعة بنعاس وأخيراً، لعدم وجود أي تسلية أخرى، انضمت إلى كوين الذي كان ينظف الإسطبل، ويهذب الخيول ويصلح سرجًا.

اختفى جيرالت في مكان ما، مما أثار غضب الويتشرز، ولم يظهر إلا قرب المساء، حاملاً ماعزًا ميتًا، ساعدته تريس في سلخ فريسته. على الرغم من أنها كرهت رائحة اللحم والدم بصدق، إلا أنها أرادت أن تكون قريبة من ذلك الويتشر. قريبة منه لأقرب ما يمكن. كان قرارًا باردًا وحاسمًا ينمو بداخلها. لم تعد تريد أن تنام وحدها بعد الآن.

صرخت سيري فجأة وهي تركض أسفل الدرج وتدب بقدميها: "تريس! هل يمكنني النوم معكِ الليلة؟ تريس، من فضلكِ، من فضلكِ قولي نعم! من فضلكِ يا تريس!"

* * *

تساقط الثلج واستمر في التساقط. لم يشرق النور إلا بوصول ميدينفيرن، يوم الاعتدال الشتوي.

لقد مات جميع الأطفال في اليوم الثالث باستثناء واحد، كان ذكراً يبلغ من العمر بالكاد عشر سنوات.

بعد أن ثار فجأة بجنون مفاجئ، سقط مرةً واحدة في ذهول عميق، واتخذت عيناه نظرة زجاجية بلا انقطاع، أمسك بيديه الملابس و لوح بها في الهواء كما لو كان يرغب في الإمساك بريشة كتابة، أصبح تنفسه عالياً وأجش. وظهر عرق بارد كريه الرائحة على جلده. وما أن تم إعطاؤه مرة أخرى الإكسير عبر الوريد ما أن عادت النوبة مرة أخرى. لكن هذه المرة حدث نزيف من الأنف، وتحول سعاله إلى قيء، وضعف ذلك الذكر بعد ذلك تمامًا وأصبح خاملاً.

استمرت الأعراض ليومين آخرين دون أن تهدأ. كان جلد الطفل غارقًا في العرق حتى الآن، وأصبح جافًا وساخنًا، وتوقف النبض من أن يكون ممتلئًا وثابتًا - على الرغم من بقائه بقوة متوسطة – وأصبح بطيئًا بدلاً من أن يكون سريعًا، لم يستيقظ بعد ذلك، ولم يصرخ.

أخيرًا، جاء اليوم السابع. استيقظ الذكر وفتح عينيه، وكانت عيناه كعيون أفعى...

من كتاب (محنة الأعشاب وغيرها من ممارسات الويتشرز السرية) لـ كارلا ديميتيا كريست، " مخطوطة كما رأيتها بأم عينيّ ولا يمكن الوصول إليها إلا أثناء عملية تحويل الويتشرز".

الفصل الثالث

عبست تريس قائلة: "مخاوفكم لا أساس لها من الصحة، وغير مبررة تمامًا" واستندت بمرفقيها على الطاولة: "لقد ولى الزمن الذي كان فيه المشعوذون يطاردون المصادر والأطفال الموهوبين سحريًا، ويخطفونهم من والديهم أو أوصيائهم بالقوة أو الخداع. هل ظننتم حقًا أنني قد أرغب في أخذ سيري منكم؟"

شخر لامبرت وأدار وجهه بعيدًا. بينما نظر إسكيل وفيزيمير إلى جيرالت، ولم يقل جيرالت شيئًا. استمر في التحديق إلى الجانب، وهو يعبث بلا انقطاع بقلادة الساحر الفضية، التي تصور رأس ذئب يزمجر. عرفت تريس أن القلادة تتفاعل مع السحر، في ليلة كهذه مثل ميدينفيرن، عندما يكون الهواء نفسه يهتز بالسحر، يجب أن تكون قلادات السحرة تطن عمليًا. يجب أن يكون الأمر مزعجًا ومضايقًا على حد سواء.

- قال فيزيمير أخيرًا :"لا يا صغيرتي، نحن نعلم أنكِ لن تفعلي شيئًا كهذا. لكننا نعلم أيضًا أنكِ، في النهاية يجب أن تخبري مجمع السحرة عنها. لقد علمنا لفترة طويلة أن كل ساحر، ذكرًا كان أم أنثى، مثقل بهذا الواجب. لم تعودوا تأخذون الأطفال الموهوبين من والديهم وأوليائهم بعد الآن بل تراقبون هؤلاء الأطفال حتى تتمكنوا لاحقًا - في اللحظة المناسبة - من إفتتانهم بالسحر، والتأثير عليهم ..."

- قاطعته ببرود: "لا تخف .. لن أخبر أحدًا عن سيري. ولا حتى مجمع السحرة، مالكم تنظرون إليّ هكذا؟"

- قال إسكيل بهدوء: "نحن مندهشون من السهولة التي تتعهدين بها بالحفاظ على هذا السر، سامحيني يا تريس، لا أقصد إهانتك، ولكن ماذا حدث لولائك الأسطوري للمجلس وفصيل السحرة؟"

- "لقد حدث الكثير. لقد غيرت الحرب أشياء كثيرة، ومعركة تل سودن غيرت المزيد. لن أصدع رؤوسكم بالسياسة، خاصةً وأن بعض القضايا والشؤون مقيدة بأسرار غير مسموح لي بالكشف عنها، ولكن فيما يتعلق بولائي . . . فأنا مخلصة، وصدقوني، في هذه المسألة بالذات أنا مخلصة لكم ولكل واحدٍ منكم."

نظر جيرالت إليها في عينيها لأول مرة في ذلك المساء وقال: "هذا الولاء المزدوج يصعب للغاية إدارته ونادرًا ما ينجح، يا تريس".

حوّلت الساحرة نظرتها إلى سيري. كانت الفتاة جالسة على جلد دب مع كوين، مختبئة في الزاوية البعيدة من القاعة، وكلاهما منشغلان بلعبة تصفيق الأيدي. كانت اللعبة تزداد رتابة حيث كان كلاهما سريعًا بشكل لا يصدق - لم يتمكن أي منهما من صفع يد الآخر بأي شكل من الأشكال. ومع ذلك، من الواضح أن هذا لم يكن مهمًا بالنسبة لهما ولم يفسد لعبتهما.

قالت: "جيرالت، عندما وجدت سيري، على نهر ياروغا، أخذتها معك، أحضرتها إلى كاير مورهين، وأخفيتها عن العالم ولم تدع حتى أقرب المقربين من الطفلة يعرفون أنها على قيد الحياة، لقد فعلت هذا لأن شيئًا ما لا أعرفه قد أقنعك بوجود القدر، وأنه يسيطر علينا، ويوجهنا في كل ما نفعله، أنا أفكر بالمثل، ولطالما فعلت ذلك. وإذا أراد القدر أن تصبح سيري ساحرة، فسوف تصبح كذلك. وليس للفصل ولا لمجلس السحرة

أن يعرفوا عنها شيئاً، ليس عليهم أن يراقبوها أو يشجعوها. لذلك بالحفاظ على سرك لن أخون الفصل بأي شكل من الأشكال. ولكن كما تعلمون، هناك بعض العقبات هنا."

تنهد فيزيمير: "لو كانت واحدة فقط، تفضلي يا صغيرتي."

- "الفتاة لديها قدرات سحرية، ولا يمكن إهمال ذلك. إنه أمر خطير للغاية."

- "بأي شكل؟"

- "القوى غير المنضبطة شيء ينذر بالشؤم. لكل من المصدر وأولئك القريبين منهم. يمكن أن يهدد المصدر من حولهم بطرق عديدة. لكنهم يهددون أنفسهم بطريقة واحدة فقط. المرض العقلي. عادةً ما يكون الذهول التخشبي."

قال لامبرت بعد صمت طويل: "تبًا لذلك. أنا أستمع إليكِ وأنا شبه مقتنع بأن شخصًا ما هنا قد فقد صوابه بالفعل و في أي لحظة الآن سوف يشكل تهديدًا لبقيتنا. القدر، المصادر، التعاويذ، الشعوذة . . . ألا تبالغين يا ميريغولد؟ هل هذه هي الطفلة الأولى التي تُجلب إلى الحصن؟ لم يجد جيرالت القدر؛ بل وجد طفلة يتيمة أخرى بلا مأوى. سنعلم الفتاة السيف وندعها تخرج إلى العالم مثل الآخرين. صحيح، أعترف أننا لم ندرب فتاة في كاير مورهين من قبل، وقد واجهتنا بعض المشاكل مع سيري، ولالما ارتكبنا بعض الأخطاء، ومن الجيد أنكِ قد أشرتِ إليها، لكن دعونا لا نبالغ في ذلك، إنها ليست ملحوظة لدرجة تجعلنا نركع رافعين أعيننا إلى السماء، هل هناك نقص في المحاربات اللاتي يجوبن العالم؟ أؤكد لكِ يا ميريغولد، أن سيري ستغادر من هنا ماهرة وصحية وقوية وقادرة على مواجهة الحياة. وأنا أضمن ذلك دون إصابتها بالذهول التخشبي أو أي صرعٍ آخر، إلا إذا أقنعتيها بوهم أنها مصابة بمرض كهذا."

استدارت تريس في كرسيها وقالت: "فيزيمير، اطلب منه أن يصمت، إنه عائق"

قال لامبرت بهدوء: "أنتِ تظنين أنكِ تعرفين كل شيء، لكنكِ لا تعرفين، ليس بعد. انظري."

مد يده نحو الموقد، ورتب أصابعه معًا بطريقة غريبة. زأرت المدخنة بصوتٍ كالعواء، واشتعلت النيران فيها بعنف، وأصبح الجمر المتوهج أكثر إتقاداً وتطاير منه الشرر بعنف، ألقى جيرالت وفيزيمير وإسكيل نظرة قلقة على سيري لكن الفتاة لم تكن تلتفت إلى تلك الألعاب النارية المذهلة.

شبكت تريس ذراعيها ونظرت إلى لامبرت بتحد. قالت بهدوء: "علامة آرد. هل ظننت أنك ستثير إعجابي؟ باستخدام نفس العلامة، المعززة بالتركيز وقوة الإرادة، بهذه التعويذة يمكنني أن أطرد جذوع الأشجار من المدخنة في لحظة وأفجرها عالياً لدرجة أنك ستظن أنها نجوماً أو ألعاباً نارية".

وافقها مقاطعاً: "يمكنكِ ذلك. لكن سيري لا تستطيع. إنها لا تستطيع تشكيل علامة آرد. أو أي علامة أخرى. لقد حاولت مئات المرات، دون جدوى. وأنتم تعرفون أن علاماتنا تتطلب قوة ضئيلة. سيري لا تملك حتى ذلك. إنها طفلة طبيعية تمامًا. ليس لديها أدنى قوة سحرية - بل إنها تعاني في الواقع من نقص شامل في القدرة. وها أنتِ تخبريننا بأنها مصدر قديم للسحر، وتحاولين تخويفنا."

أوضحت تريس ببرود: "أبناء مصدر السحر القديم ليس لديهم سيطرة على مهاراتهم، ولا التحكم بها. إنهم وسطاء، شيء يشبه جهاز الإرسال، دون علم يتصلون بالطاقة، ودون علم يحولونها. وعندما يحاولون السيطرة عليها، عندما يجهدون أنفسهم في محاولة تشكيل العلامات ربما، لا شيء يأتي منها. ولن يأتي شيء منها، ليس فقط بعد مئات

المحاولات بل بعد الآلاف. هذه إحدى خصائص المصدر. ثم، في يوم من الأيام، تأتي لحظة لا يبذل فيها المصدر جهداً، ولا يجهد نفسه، بل يسرح بخياله أو يفكر في الكرنب والنقانق، أو ربما يلعب النرد، أو يستمتع بنفسه في السرير مع شريك، أو يلتقط أنفه . . . وفجأة يحدث شيء ما، كأن يشتعل منزلٌ بالنيران أو ربما في بعض الأحيان قد تشتعل نصف المدينة."

- لامبرت: "أنتِ تبالغين يا ميريغولد."

- حرر جيرالت قلادته ووضع يديه على الطاولة قائلاً بعصبية: "لامبرت.. أولاً توقف عن مناداة تريس بـ 'ميريغولد'، لقد طلبتْ منكِ ذلك عدة مرات بألا تفعل، ثانيًا، تريس لاتبالغ، لقد رأيت والدة سيري الأميرة بافيتا وهي تفعل ذلك بأم عيني، لقد كان شيئًا لا أعرف تفسيره حقاً، وما إذا كانت مصدرًا أم لا، لكن لم يشك أحد حينها في أنها تمتلك قوة خارقة على الإطلاق، لقد كادت بفارق شعرة أن تحول القلعة الملكية في سينترا إلى رماد."

قال إسكيل وهو يشعل الشموع في شمعدان آخر: "يجب أن نفترض، إذن، أن سيري يمكن، في الواقع، أن تكون مثقلة وراثيًا."

قال فيزيمير: "ليس فقط يمكن، بل هي كذلك، فمن ناحية لامبرت فهو على حق، فسيري ليست قادرة على تشكيل العلامات. ومن ناحية أخرى . . . لقد رأينا جميعًا ..."

صمت ونظر إلى سيري التي اعترفت بصيحة فرح بأن لها اليد العليا في اللعبة، لمحت تريس ابتسامة صغيرة على وجه كوين وكانت متأكدة من أنه سمح لها بالفوز.

- قالت باستهزاء: "بالضبط، لقد رأيتم جميعًا، ماذا رأيتم؟ في ظل أي ظروف رأيتموه؟ ألا تعتقدون يا شباب أن الوقت قد حان لمزيد من الاعترافات الصادقة؟ بحق الجحيم، أكرر، سأحافظ على سركم. لكم كلمتي."

ألقى لامبرت نظرة على جيرالت؛ أومأ جيرالت بالموافقة. وقف الساحر الأصغر وأخذ إبريقًا كريستاليًا مستطيلاً كبيرًا وقنينة أصغر من رف عالٍ. سكب محتويات القنينة في الإبريق، وهزه عدة مرات وسكب السائل الشفاف في الكؤوس على الطاولة.

- "تناولي مشروبًا معنا يا تريس."

سخرت: "هل الحقيقة مروعة للغاية بحيث لا يمكننا التحدث عنها برصانة؟ هل يجب أن أسكر لأسمعها؟"

- "لا تكوني عليمة بكل شيء. خذي رشفة. ستجدين أنه من الأسهل فهم الأمر."

- "ما هذا؟"

- "مشروب النورس الأبيض."

- "ماذا؟"

ابتسم إسكيل: "دواء خفيف، للأحلام السعيدة."

- "تبًا لذلك! مُهلوس ساحر؟ لهذا السبب تلمع عيونكم هكذا في المساء!"

- "النورس الأبيض لطيف للغاية. النورس الأسود هو مايجلب الهلوسة."

- "إذا كان هناك سحر في هذا السائل، فلا يُسمح لي بتناوله!"

طمأنها جيرالت: "إن مكوناته طبيعية خالصة،" لكنها لاحظت أنه بدا مرتبكًا. كان خائفًا بوضوح من أنها ستسألهم عن مكونات الإكسير. "ومخفف بكمية كبيرة من الماء. لن نقدم لكِ أي شيء يمكن أن يضركِ ياتريس."

لامس السائل الفوار، بطعمه الغريب، حلقها ببرود ثم نشر الدفء في جميع أنحاء جسدها. مررت الساحرة لسانها على لثتها وحنكها. لم تتمكن من التعرف على أي من المكونات.

خمّنت: "لقد أعطيتم سيري بعضًا من هذا . . . النورس لتشربه. ثم ..."

قاطعها جيرالت بسرعة: "لقد كان حادثًا. في ذلك المساء الأول، بعد وصولنا مباشرة... كانت عطشانة، وكان النورس موضوعًا على الطاولة. قبل أن نتمكن من رد الفعل، كانت قد شربته كله دفعة واحدة. وسقطت في غيبوبة."

اعترف فيزيمير وتنهد: "لقد أصبنا برعب شديد، أوه، لقد فعلنا ذلك يا صغيرتي. أكثر مما كنا نطيق."

قالت الساحرة بهدوء، وهي تنظر إلى عيون السحرة اللامعة في ضوء الشموع: "بدأت تتحدث بصوت آخر، بدأت تتحدث عن أحداث وأمور لم يكن بإمكانها معرفة أي شيء عنها، بدأت... تتنبأ. أليس كذلك؟ ماذا قالت؟"

قال لامبرت بجفاف: "هراء. هذيان لا معنى له."

- "إذن ليس لدي شك" - نظرت إليه مباشرة - "في أنكما تفهمتما بعضكما البعض تمامًا. الهذيان هو اختصاصكم - وأنا أزداد اقتناعًا بذلك في كل مرة تفتح فيها فمك. أسدِ لي معروفًا عظيمًا ولا تفتحه لفترة من الوقت، حسنًا؟"

- قال إسكيل بجدية، وهو يفرك الندبة عبر خده: "هذه المرة، لامبرت على حق يا تريس. بعد شربها لمشروب النورس، كانت سيري غير مفهومة حقًا، في المرة الأولى كان هراء. فقط بعد ..."

توقف، هزت تريس رأسها.

- خمّنت تريس: "فقط في المرة الثانية بدأت تتحدث بمنطق. إذن كانت هناك مرة ثانية أيضًا. أيضًا بعد أن شربت دواء بسبب إهمالكم؟"

رفع جيرالت رأسه: "تريس، هذا ليس الوقت المناسب لحقدك الطفولي. إنه لا يسلينا. إنه يقلقنا ويزعجنا. نعم، كانت هناك مرة ثانية أيضًا، وثالثة. سقطت سيري، عن طريق الصدفة تمامًا، أثناء التمرين. فقدت وعيها وعندما استعادته، كانت قد سقطت في غيبوبة أخرى ، ومرة أخرى تحدثت بذلك الهراء، ومرة أخرى لم يكن صوتها هو صوتها. ومرة أخرى كان غير مفهوماً. لكنني سمعت أصواتًا مماثلة من قبل، وسمعت طريقة كلام مماثلة، هكذا تتحدث هؤلاء النساء الفقيرات والمريضات والمجنونات المعروفات باسم العرافات. هل ترين ما أفكر فيه؟"

- "بوضوح. كانت تلك المرة الثانية، انتقل إلى الثالثة."

مسح جيرالت جبينه بساعده الذي كان أصبح بسرعة مغطى بالعرق.

- تابع قائلاً: "غالبًا ما تستيقظ سيري في الليل. وهي تصرخ. لقد مرت بالكثير. إنها لا تريد التحدث عن الأمر ولكن من الواضح أنها رأت أشياء لا ينبغي لطفل أن يراها في سينترا وأنجرين. حتى أنني أخشى أن . . . أن شخصًا ما آذاها. يعود إليها في الأحلام. عادة ما يكون من السهل طمأنتها وتنام دون أي مشكلة . . . لكن ذات مرة، بعد

الاستيقاظ . . . كانت في غيبوبة مرة أخرى. تحدثت مرة أخرى بصوت شخص آخر، غير سار، وتهديدي. تحدثت بوضوح ومنطق. تنبأت. استبصرت المستقبل. وما تنبأت به . . ."

- "ماذا؟ ماذا يا جيرالت؟"

قال فيزيمير بلطف: "الموت يا صغيرتي. الموت."

لمحت تريس سيري، التي كانت توبخ كوين بصوت عالٍ بتهمة الغش. وضع كوين ذراعيه حولها وانفجر ضاحكًا. أدركت الساحرة فجأة أنها لم تسمع أيا من السحرة يضحك من قبل، حتى الآن.

سألت بإيجاز، وهي لا تزال تحدق في كوين: "لمن؟"

قال فيزيمير: "له."

أضاف جيرالت: "ولي." وابتسم.

- "عندما استيقظت .."

- "لم تتذكر شيئًا. ولم نطرح عليها أي أسئلة."

- "بالتأكيد. أما بالنسبة للنبوءة . . . هل كانت محددة؟ مفصلة؟"

- نظر إليها جيرالت مباشرة في عينيها: "لا. كانت نبوءة مضطربة، لا تسألي عنها يا تريس. نحن لسنا قلقين بشأن محتويات نبوءات وهذيان سيري، ولكن بشأن ما يحدث لها. لسنا خائفين على أنفسنا ولكن ..."

حذر فيزيمير: "انتبه. لا تتحدث عن ذلك أمامها."

اقترب كوين من الطاولة وهو يحمل الفتاة على ظهره. قال: "تمني للجميع ليلة سعيدة يا سيري. قولي تصبحون على خير لبغاث الليل هؤلاء. نحن ذاهبون للنوم. لقد قاربت منتصف الليل. بعد دقيقة سيكون نهاية ميدينفيرن. اعتبارًا من الغد، كل يوم يقربنا من الربيع أكثر!"

- "أنا عطشانة." انزلقت سيري من على ظهره ومدت يدها لتتناول كأس إسكيل. أبعد إسكيل الكأس بمهارة عن متناول يدها وأمسك بإبريق ماء.

وقفت تريس بسرعة.

"تفضلي." أعطت كأسها نصف الممتلئ للفتاة بينما ضغطت بذات مغزى على ذراع جيرالت ونظرت إلى فيزيمير في عينيه. "اشربي."

همس إسكيل، وهو يراقب سيري تشرب بنهم: "تريس، ماذا تفعلين؟ هذا ..."

- "أصمتوا من فضلكم."

لم يضطروا إلى الانتظار طويلاً حتى بدأ مفعول المشروب.

تصلبت سيري فجأة، وصرخت، وابتسمت ابتسامة عريضة سعيدة. أغمضت عينيها بإحكام ومدت ذراعيها. ضحكت، ودارت حول نفسها دورة كاملة ورقصت على أطراف أصابعها. أزاح لامبرت المقعد بسرعة خاطفة، تاركًا كوين واقفًا بين الفتاة الراقصة والموقد.

قفزت تريس و أخرجت تميمة من حقيبتها - ياقوت أزرق مرصع بالفضة على سلسلة رقيقة. ضغطت عليها بإحكام في يدها.

أنَّ فيزيمير: "يا طفلة . . . ماذا تفعلين؟"

قالت بحدة: "أنا أعرف ما أفعله. سقطت سيري في غيبوبة وأنا سأتصل بها نفسيًا. سأدخل إليها. لقد أخبرتكم، إنها شيء يشبه جهاز الإرسال السحري - يجب أن أعرف ما الذي ترسله، وكيف، ومن أين تستمد الهالة، وكيف تحولها. ميدينفيرن، ليلة ربيعية مواتية كهذه لمثل هذا المسعى . . ."

عبس جيرالت: "لا يعجبني هذا، لا يعجبني على الإطلاق."

قالت الساحرة متجاهلة كلماته: "إذا عاني أي منا من نوبة صرع، فأنتم تعرفون ماذا تفعلون. عصا بين أسناننا، امسكوا بنا، انتظروا حتى تمر. ارفعوا رؤوسكم يا شباب. لقد فعلت هذا من قبل."

توقفت سيري عن الرقص، وهوت على ركبتيها، ومدت ذراعيها وأرخت رأسها على حجرها. ضغطت تريس التميمة الدافئة الآن على صدغها وتمتمت بتركيبة تعويذة. أغمضت عينيها، وركزت قوة إرادتها وأطلقت دفعة من السحر.

زمجر البحر، وارتطمت الأمواج بالشاطئ الصخري وانفجرت في نوافير عالية وسط الصخور. رفرفت بجناحيها، تطارد الريح المالحة. سعيدة بشكل لا يوصف، انقضت، لحقت بسرب من رفيقاتها، لامست قمم الأمواج بمخالبها، حلقت في السماء مرة أخرى، تنثر قطرات الماء، وانزلقت، تتقاذفها العاصفة التي تصفر عبر ريشها الطرفي. قوة الإيحاء، فكرت برزانة. إنها مجرد قوة إيحاء. نورس!

- ترييس! ترييس!

- سيري؟ أين أنتِ؟

- ترييس!

توقفت صرخات النوارس. لا تزال الساحرة تشعر بالرذاذ الرطب للأمواج المتلاطمة لكن البحر لم يعد تحتها. أو كان كذلك - ولكنه كان بحرًا من العشب، سهلًا لا نهاية له يمتد بقدر ما يرى الأفق. أدركت تريس برعب أنها تنظر إلى المنظر من أعلى تل سودن. لكنه لم يكن التل. لا يمكن أن يكون التل.

أظلمت السماء فجأة، وتناثرت الظلال من حولها. رأت عمودًا طويلاً من الأشكال غير المحددة يتسلق ببطء أسفل سفح الجبل. سمعت همسات متراكبة فوق بعضها البعض، تمتزج في جوقة غريبة وغير مفهومة.

كانت سيري واقفة بالقرب منها وظهرها معطيًا لها. كانت الريح تعبث بشعرها الرمادي.

استمرت الأشكال غير المحددة والضبابية في المرور في عمود طويل لا نهاية له. وعند مرورها بها، أدارت رؤوسها. كتمت تريس صرخة، وهي تراقب الوجوه الهادئة المسالمة وعيونهم الميتة التي لا ترى. لم تعرف كل الوجوه، ولم تتعرف عليها. لكن بعضها عرفته. كورال. فانييل. يويل. أكسل ذو ندبات الجدري . . .

"لماذا أحضرتني إلى هنا؟" همست. "لماذا؟"

استدارت سيري. رفعت ذراعها ورأت الساحرة خيط دم يسيل أسفل خط الحياة، عبر راحة يدها وإلى معصمها.

قالت الفتاة بهدوء: "إنها الوردة. وردة شيرراويد. لقد وخزت نفسي. لا شيء. إنه مجرد دم. دم الإلفيات. . ."

أظلمت السماء أكثر، ثم، بعد لحظة، توهجت بالوهج الحاد والخاطف للبرق. تجمد كل شيء في الصمت والسكون. خطت تريس خطوة، تريد أن تتأكد من قدرتها على ذلك. توقفت بجوار سيري ورأت أن كلتيهما تقفان على حافة هاوية لا قعر لها حيث كان دخان محمر، متوهج كما لو كان مضاءً من الخلف، يتصاعد. كشفت ومضة برق أخرى صامتة فجأة عن درج رخامي طويل يؤدي إلى أعماق الهاوية.

قالت سيري بصوت مهتز: "يجب أن يكون الأمر هكذا. لا يوجد غيره. هذا فقط. أسفل الدرج. يجب أن يكون الأمر هكذا لأن "فايسس ديرياده ايب ايقين. . . **Va'esse deireádh aep eigean** . . ."

همست الساحرة: "تكلمي. تكلمي يا طفلة."

- "طفلة الدم الأكبر .. فيينويد .. لوند .. ايب .. هن ايشر .. ديتوين. . . **Feainnewedd . . . Luned aep Hen Ichaer . . . Deithwen** . . . الشعلة البيضاء . . . لا، لا . . . لا!"

- "سيري!"

- "الفارس الأسود . . . بريش في خوذته . . . ماذا فعل بي؟ ماذا حدث؟ كنت خائفة . . ما زلت خائفة. لم ينتهِ الأمر، لن ينتهي أبدًا. يجب أن تموت شبل الأسد . . . دواعي الدولة . . . لا . . . لا . . ."

- "سيري!"

"لا!" تصلبت الفتاة وأغمضت عينيها بإحكام. "لا، لا، لا أريد! لا تلمسيني!"

تغير وجه سيري فجأة، وتصلب؛ أصبح صوتها معدنيًا وباردًا وعدائيًا، يتردد بتهديد وسخرية قاسية.

- "أقطعتِ كل هذا الطريق معها يا تريس ميريغولد؟ كل هذا الطريق إلى هنا؟ لقد تجاوزتِ الحد، أيتها الساحرة الرابعة عشرة."

ارتعشت تريس لكنها حافظت على صوتها تحت السيطرة: "من أنت؟"

- "ستعرفين عندما يحين الوقت."

- "سأعرف الآن!"

رفعت الساحرة ذراعيها، ومدتهما فجأة، واضعة كل قوتها في تعويذة تعريف. انفجرت الستارة السحرية ولكن خلفها كانت الثانية . . . والثالثة . . . والرابعة . . .

هوت تريس على ركبتيها بأنين. لكن الواقع استمر في الانفجار، وفتحت المزيد من الأبواب، صف طويل لا نهاية له يؤدي إلى اللامكان. إلى الفراغ.

سخر الصوت المعدني واللا إنساني: "أنتِ مخطئة، أيتها الرابعة عشرة. لقد أخطأتِ في اعتبار النجوم المنعكسة على سطح البحيرة في الليل هي السماوات."

- "لا تلمس .. لا تلمس تلك الطفلة!"

- "إنها ليست طفلة."

تحركت شفتا سيري لكن تريس رأت أن عيني الفتاة ميتتان، زجاجيتان وفارغتان.

كرر الصوت: "إنها ليست طفلة، إنها الشعلة، الشعلة البيضاء التي ستشعل النار في العالم، إنها الدم القديم .. الدم الأكبر، هن ايشر Hen Ichaer. دم الإلفيين. البذرة التي لن تنبت بل ستنفجر لهبًا. الدم الذي سيُدنس . . . عندما يصل تيد ديرياذ، وقت النهاية، فا ايسي ديرياداه ايقيان Va'esse deireádh aep eigean!"

صرخت تريس: "هل تتنبئين بالموت؟ هل هذا كل ما يمكنكِ فعله، التنبؤ بالموت؟ للجميع؟ لهم، لها . . . لي؟"

"أنتِ؟ أنتِ ميتة بالفعل، أيتها الرابعة عشرة. كل شيء فيكِ قد مات بالفعل."

أنّت الساحرة مفعّلة ما تبقى ضئيلاً من قوتها ومارّة يدها عبر الهواء: "بقوة المجالات، ألقي عليك تعويذة بالماء والنار والأرض والهواء. أستحضرك في الفكر، وفي الحلم وفي الموت، بكل ما كان، وبما هو كائن وبكل ما سيكون. ألقي تعويذتي عليكِ. من أنتِ؟ تكلمي!"

أدارت سيري رأسها بعيدًا. اختفت رؤية الدرج المؤدي إلى أسفل الهاوية، وتلاشت، وظهر مكانها بحر رمادي رصاصي، مزبد، قمم الأمواج تتكسر. وانطلقت صرخات النورس عبر الصمت مرة أخرى.

قال الصوت، عبر شفتي الفتاة: "حلَقي، لقد حان الوقت لتعودي من حيث أتيتِ، أيتها الرابعة عشرة من التل، حلقي على أجنحة النورس واستمعي إلى صرخات النوارس الأخرى، استمعي بعناية!"

- «أنا أستحضركم ...»

- «لا يمكنكِ ذلك، طيري، يا نورسة!»

وفجأةً عاد الهواء الرطب المالح يزمجر بالعاصفة، وعادت الرحلة، رحلة بلا بداية ولا نهاية. صاحت النوارس بجنون، صاحت وأمرت.

- تريس؟

- سيري؟

- إنسِ هذا الأمر بشأنه! لا تعذبيه ! إنسِ! إنسِ، يا تريس!

- أنسى!

- تريس! تريس! ترييس!

- «تريس!»

فتحت تريس عينيها، وقلبت رأسها على الوسادة وحركت يديها الخدرتين.

- «جيرالت؟»

- «أنا هنا. كيف حالكِ؟»

أدارت عينيها حولها. كانت في حجرتها، مستلقيةً على السرير. على أفضل سرير في كل كاير مورهين.

- «ماذا حدث لسيري؟»

- «إنها نائمة.»

- «كم مر علي من الوقت ..»

- قاطعها : «طويل جدًا»،.

غطاها باللحاف وضمها بذراعيه. وبينما انحنى فوقها، تأرجح تميمة رأس الذئب فوق وجهها مباشرةً. «ما فعلتيه لم يكن أفضل الأفكار، يا تريس.»

- «كل شيء على ما يرام.» ارتعشت بين ذراعيه. هذا غير صحيح، فكرت. لا شيء على ما يرام. أدارت وجهها حتى لا تلمس التميمة جلدها. كانت هناك العديد من النظريات حول خصائص تمائم السحرة، ولم ينصح أي منها السحرة بلمسها خلال الاعتدال الخريفي.

«هل . . . هل قلنا أي شيء خلال الغيبوبة؟»

«أنتِ، لا شيء. كنتِ فاقدة الوعي طوال الوقت. سيري . . . قبل أن تستيقظ مباشرةً . . . قالت: فا إيسي ديرياده إإيب ايقان "Va’esse deireádh aep eigean."»

- «هل تعرف اللغة القديمة؟»

- «ليس بما يكفي لقول جملة كاملة.»

- «جملة تعني: "شيء ما ينتهي."» مسحت الساحرة وجهها بيدها. «جيرالت، هذا أمر خطير. الفتاة وسيطة قوية بشكل استثنائي. لا أعرف من أو ماذا تتصل به، لكنني أعتقد أنه لا توجد حدود لاتصالها. شيء ما يريد أن يتملكها. شيء ما أقوى مني. أنا خائفة عليها. غيبوبة أخرى يمكن أن تنتهي بمرض عقلي. ليس لدي أي سيطرة عليها، لا أعرف كيف، لا أستطيع . . . إذا ثبت ذلك الضرورة، فلن أكون قادرةً على منع أو قمع قواها؛ حتى أنني لن أكون قادرة، إذا لم يكن هناك خيار آخر، على إخمادها بشكل دائم. عليك الحصول على مساعدة من ساحرة أخرى. أكثر موهبة. أكثر خبرة. أنت تعرف من أتحدث عنه.»

- «أعلم.» أدار رأسه بعيدًا، وضغط على شفتيه.

- «لا تقاوم. لا تدافع عن نفسك. يمكنني تخمين سبب لجوئك إليّ بدلاً منها. تغلب على كبريائك، واسحق ضغينتك وعنادك. لا جدوى من ذلك، ستعذب نفسك حتى الموت. وأنت تخاطر بصحة سيري وحياتها في هذه العملية. غيبوبة أخرى من المحتمل أن تكون أكثر خطورة عليها من محنة الأعشاب. اطلب المساعدة من ينيفر، يا جيرالت.»

- «وأنتِ، يا تريس؟»

- ابتلعت ريقها بصعوبة: «ماذا عني؟ أنا لست مهمة. لقد خذلتك... خذلتك في كل شيء، لقد كنتُ . . . كنتُ خطأك .. لا أكثر.»

قال بجهد: «الأخطاء مهمة بالنسبة لي أيضًا. أنا لا أشطبها من حياتي، أو ذاكرتي. ولا ألوم الآخرين عليها أبدًا. أنتِ مهمة بالنسبة لي، يا تريس، وستظلين دائمًا كذلك. لم تخذليني أبدًا. مطلقًا. صدقيني.»

ظلت صامتة لفترة طويلة.

- «سأبقى حتى الربيع»، قالت أخيرًا، وهي تكافح صوتها المرتجف. «سأبقى مع سيري . . . سأراقبها. ليلاً ونهارًا. سأكون معها ليلاً ونهارًا. وعندما يحل الربيع . . . عندما يحل الربيع سنأخذها إلى معبد ميليتيل في إيلاندر. الشيء الذي يريد أن يتملكها قد لا يتمكن من الوصول إليها في المعبد. ثم ستطلب المساعدة من ينيفر.»

- «حسنًا، يا تريس. شكرًا لكِ.»

- «جيرالت؟»

- «نعم.»

«سيري قالت شيئًا آخر، أليس كذلك؟ شيئًا لم تسمعه سواك. أخبرني ما هو.»

- «لا»، احتج وصوته يرتجف. «لا، يا تريس.»

- «من فضلك.»

- «لم تكن تتحدث إليّ.»

- «أعلم. كانت تتحدث إليّ. أخبرني، من فضلك.»

«بعد أن عادت إلى وعيها . . . عندما حملتها . . . همست: "انسِ الأمر بشأنه. لا تعذبيه."»

- «لن أفعل»، قالت بهدوء. «لكنني لا أستطيع النسيان. سامحني.»

- «أنا من يجب أن يطلب المغفرة. وليس فقط أن أطلبها منكِ.»

- «أنت تحبها لهذا الحد»، قالت، ولم تسأل.

- «لهذا الحد»، اعترف بهمس بعد لحظة صمت طويلة.

- «جيرالت.»

- «نعم، يا تريس؟»

- «إبقَ معي الليلة.»

- «تريس . . .»

- «فقط ابقَ.»

- «حسنًا.»

* * *

بعد فترة وجيزة من منتصف الشتاء، توقف تساقط الثلوج. جاء الصقيع.

بقيت تريس مع سيري ليلاً ونهارًا. راقبتها. أحاطتها بالرعاية، ظاهرة وخفية.

استيقظت الفتاة وهي تصرخ في كل ليلة تقريبًا. كانت تهذي، تمسك بخدها وتبكي من الألم، هدأتها الساحرة بتعاويذ وإكسيرات، وأنامتها، وحضنتها وهزتها بين ذراعيها.

ثم كانت هي نفسها غير قادرة على النوم لفترة طويلة، تفكر فيما قالته سيري في نومها وبعد أن عادت إلى وعيها. وشعرت بخوف متزايد. **Va'esse deireádh aep eigean** . . . شيء ما ينتهي . . .

هكذا استمر الأمر لمدة عشرة أيام وليالٍ. وأخيرًا انقضى. انتهى، اختفى دون أن يترك أثرًا. هدأت سيري، نامت بسلام دون كوابيس، ولا أحلام.

لكن تريس ظلت تراقب باستمرار. لم تترك الفتاة لحظة. أحاطتها بالرعاية. ظاهرة وخفية.

- لامبرت: «أسرعي يا سيري! اندفعي، هاجمي، تفادي! نصف دوران، طعنة، تفادي! توازن! توازني بذراعكِ اليسرى وإلا ستسقطين من المشط! وتؤذين . . . مناطقك الأنثوية!»

- سيري: «ماذا؟»

- لامبرت: «لا شيء. ألم تتعبي؟ سنأخذ استراحة، إذا أردتِ.»

- سيري: «لا، يا لامبرت! يمكنني المواصلة. لست ضعيفة إلى هذا الحد، كما تعلم. هل أحاول القفز فوق كل دعامة أخرى؟»

- لامبرت: «لا تجرؤي على فعل ذلك! قد تسقطين ثم تمزق ميريغولد .. رأسي.»

- سيري: «لن أسقط!»

- لامبرت: «لقد أخبرتكِ مرة ولن أقولها مرة أخرى. لا تستعرضي! كوني ثابتة على قدميكِ! وتنفسي يا سيري، تنفسي! أنتِ تلهثين كالماموث المحتضر!»

- سيري: «هذا ليس صحيحًا!»

- لامبرت: «لا تصرخي. تدربي! هجوم، تفادي! صد! نصف دوران! صد، دوران كامل! كوني أكثر ثباتًا على الدعامات، اللعنة! لا تترنحي! اندفعي، طعنة! أسرعِ! نصف دوران! اقفزي واقطعي! هذا هو! جيد جدًا!»

- سيري: «حقا؟ هل كان ذلك جيدًا حقًا، يا لامبرت؟»

- لامبرت: «من قال ذلك؟»

- سيري: «أنت قلت! منذ لحظة!»

- لامبرت: «كانت مجرد زلة لسان. هجوم! نصف دوران! تفادي! ومرة أخرى! سيري، أين كان الصد؟ كم مرة يجب أن أخبركِ؟ بعد أن تتفادي دائمًا تصدي، وجهي ضربة بالسيف لحماية رأسكِ وكتفيكِ! دائمًا!»

- سيري: «حتى عندما أقاتل خصمًا واحدًا فقط؟»

- لامبرت: «لا تعرفين أبدًا من تقاتلين. لا تعرفين أبدًا ما الذي يحدث خلفكِ. يجب عليكِ دائمًا تغطية نفسكِ. عمل القدم والسيف! يجب أن يكون رد فعل منعكسًا. رد فعل منعكس، هل تفهمين؟ يجب ألا تنسي ذلك. تنسينه في قتال حقيقي وأنتِ منتهية. مرة أخرى! أخيرًا! هذا هو! هل ترين كيف يهبط مثل هذا الصد؟ يمكنكِ تلقي أي

ضربة منه. يمكنكِ القطع للخلف منه، إذا اضطررتِ إلى ذلك. حسنًا، أريني دورانًا وطعنة للخلف.»

- سيري: «هاااا!»

- لامبرت: «جيد جدًا. هل ترين المغزى الآن؟ هل وصل الأمر إليكِ؟»

- سيري: «لست غبية!»

- «أنتِ فتاة والفتيات ليس لديهن أدمغة.»

- سيري: «لامبرت! إذا سمعت تريس ذلك!»

- لامبرت: «إذا كانت "إذا" و"لو" أواني وقدور. حسنًا، هذا يكفي. انزلي. سنأخذ استراحة.»

- سيري: «لست متعبة!»

- لامبرت: «لكنني متعب. قلت، استراحة. انزلي من المشط.»

- سيري: «أأقوم بشقلبة؟»

- لامبرت: «ماذا تظنين؟ أأنت مثل دجاجة في في قفصها؟ هيا إنطلقي، إقفزي. لا تخافي، أنا هنا من أجلكِ.»

- سيري: «هاااااا!»

- لامبرت: «لطيف. جيد جدًا—بالنسبة لفتاة. يمكنكِ خلع العصابة الآن.»

- تريس: «ربما هذا يكفي لليوم؟ ما رأيكِ؟ ربما يمكننا أخذ المزلقة والانزلاق إلى أسفل التل؟ الشمس مشرقة، والثلوج تتلألأ لدرجة أنها تؤذي العينين! الطقس جميل! لا تنحني للخارج وإلا ستسقطين من النافذة.»

- سيري: «حسناً ..لنذهب بالتزحلق بالمزلقة، يا تريس!»

- تريس: «اقترحي هذا مرة أخرى بلغة القدماء وسننهي الدرس هنا. ابتعدي عن النافذة، عودي إلى الطاولة . . . سيري، كم مرة يجب أن أطلب منكِ؟ توقفي عن التلويح بذلك السيف وضعيه بعيدًا.»

- سيري: «إنه سيفي الجديد! إنه حقيقي، سيف ساحر! مصنوع من الفولاذ الذي سقط من السماء! حقًا! قال جيرالت ذلك وهو لا يكذب أبدًا، كما تعلمين!»

- تريس: «أوه، نعم. أعلم ذلك.»

- سيري: «يجب أن أعتاد على هذا السيف. قام العم فيزيمير بضبطه تمامًا ليناسب وزني وطولي وطول ذراعي. يجب أن أجعل يدي ومعصمي يعتادان عليه!»

- تريس: «اعتادي عليه قدر ما يسع قلبكِ، ولكن في الخارج. ليس هنا في قاعة الدرس! حسنًا، أنا أستمع. أردتِ اقتراح إخراج المزلقة. باللغة القديمة. لذا إقترحيها.»

- سيري: «همم . . . ما هي "المزلقة"؟»

- تريس: « سيليد"Sledd" كاسم.اييسليدي "Aesledde" كفعل.»

- سيري: «آها فايين ايسليدي ايللا ايي. . . Vaien aesledde, ell’ea؟»

- تريس: «لا تنهي السؤال بهذه الطريقة، إنه غير مهذب. ينبغي أن تشكلي الأسئلة باستخدام التنغيم.»

- سيري: «ولكن الأطفال من الجزر ...»

- تريس: «أنتِ لا تتعلمين لهجة سكيليج المحلية العامية، بل لغة القدماء الكلاسيكية.»

- سيري: «ولماذا أتعلم اللغة، أخبريني؟»

- تريس: «كي تعرفيها. من اللائق تعلم أشياء لا تعرفينها. أي شخص لا يعرف لغات أخرى فهو معاق.»

- سيري: «لكن الناس يتحدثون اللغة المشتركة فقط على أي حال!»

- تريس: «صحيح. لكن البعض يتحدثون أكثر منها. أضمن لكِ، يا سيري، أنه من الأفضل أن تحسبي نفسكِ من بين القلائل بدلاً من الجميع. لذا، أنا أستمع. جملة كاملة: "الطقس اليوم جميل، لذا لنخرج المزلقة."»

- سيري: «Elaine . . . همم . . . Elaine tedd a’taeghane, a va’en aesledde؟»

- تريس: «جيد جدًا.»

- سيري: «ها! إذن لنخرج المزلقة.»

- تريس: «سنفعل. لكن دعيني أنهي وضع مكياجي.»

- سيري: «ولمن تضعين المكياج تحديدًا؟»

- تريس: «لنفسي. المرأة تبرز جمالها لتقديرها لذاتها.»

- سيري: «همم . . . هل تعلمين ماذا؟ أشعر بتوعك شديد أيضًا. لا تضحكي، يا تريس!»

- تريس: «تعالي إلى هنا. اجلسي على ركبتي. ضعي السيف بعيدًا، لقد طلبت منكِ بالفعل! شكرًا. الآن خذي هذه الفرشاة الكبيرة وضعي البودرة على وجهكِ. ليس كثيرًا يا فتاة، ليس كثيرًا! انظري في المرآة. هل ترين كم أنتِ جميلة؟»

- سيري: «لا أرى أي فرق. سأضع على عيني، حسنًا؟ مم تضحكين؟ أنتِ دائمًا تلونين عينيكِ. أريد أن أفعل ذلك أيضًا.»

- تريس: «حسنًا. تفضلي، ضعي بعض الظل على جفنيكِ بهذا. سيري، لا تغلقي عينيكِ كلتيهما وإلا لن تري شيئًا—أنتِ تلطخين وجهكِ بالكامل. خذي كمية صغيرة جدًا ومرريها فقط على الجفون. مرري، قلت! دعيني، سأقوم بتوزيعه قليلاً. أغلقي عينيكِ. الآن افتحيهما.»

- سيري: «أوووه!»

- تريس: «هل ترين الفرق؟ القليل من الظل لن يضر، حتى للعيون الجميلة مثلكِ. عرف الجان ما كانوا يفعلونه عندما اخترعوا ظل العيون.»

- سيري: «الإلفيين؟»

- تريس: «ألم تكوني تعلمين؟ المكياج اختراع جني. لقد تعلمنا الكثير من الأشياء المفيدة من أهل الديار القديمة. ولم نرد لهم سوى القليل جدًا في المقابل. الآن خذي القلم وارسمي خطًا رفيعًا عبر جفنيكِ العلويين، فوق الرموش مباشرةً. سيري، ماذا تفعلين؟»

- سيري: «لا تضحكي! جفني يرتجف! هذا هو السبب!»

- تريس: «ابعدي شفتيكِ قليلاً وسيتوقف عن الارتجاف. هل ترين؟»

- سيري: «أوووه!»

- تريس: «هيا، الآن سنذهب ونذهل السحرة بجمالنا. من الصعب إيجاد منظر أجمل. ثم سنخرج بالمزلقة ونلطخ مكياجنا في المنحدرات الثلجية العميقة.»

- سيري: «وسنضع المكياج مرة أخرى!»

- تريس: «لا. سنطلب من لامبرت تدفئة الحمام وسنستحم.»

- سيري: «مرة أخرى؟ يقول لامبرت إننا نستهلك الكثير من الوقود بحماماتنا.»

- تريس: «Lambert caen me a'baeth aep arse.»

- سيري: «ماذا؟ لم أفهم . . .»

- تريس: «مع الوقت ستتقنين التعابير الاصطلاحية أيضًا. لا يزال لدينا الكثير من الوقت للدراسة قبل الربيع. لكن الآن . . . Va'en aesledde, me elaine luned!»

* * *

- فيسيمير: «هنا، على هذا النقش . . . لا، اللعنة، ليس على هذا . . . على هذا. هذا، كما تعلمين بالفعل، غول. أخبرينا، يا سيري، ماذا تعلمتِ عن الغيلان . . . مهلاً، انظري إليّ! ما هذا اللعين الذي على جفنيكِ؟»

- سيري: «تقدير أكبر للذات!»

- فيسيمير: «ماذا؟ لا يهم، أنا أستمع.»

- سيري: «همم . . . الغول، يا عم فيزيمير، هو وحش يلتهم الجثث. يمكن رؤيته في المقابر، بالقرب من التلال، في أي مكان يُدفن فيه الموتى. في مقابر الأموات. في ساحات المعارك، في حقول القتال . . .»

- فيسيمير: «إذن هو خطر على الموتى فقط، هل هذا صحيح؟»

- سيري: «لا، ليس فقط. قد يهاجم الغول الأحياء أيضًا إذا كان جائعًا أو دخل في حالة غضب. إذا، على سبيل المثال، كانت هناك معركة . . . الكثير من الناس قتلوا . . .»

- فيسيمير: «ما الأمر، يا سيري؟»

- سيري: «لا شيء . . .»

- فيسيمير: «سيري، استمعي. انسَي ذلك. لن يعود ذلك أبدًا.»

- سيري: «رأيت . . . في سودين وفي ترانزر . . . حقول بأكملها . . . كانوا ملقيين هناك، تأكلهم الذئاب والكلاب البرية. كانت الطيور تنقرهم . . . أعتقد أنه كانت هناك غيلان أيضًا . . .»

- فيسيمير: «لهذا السبب تتعلمين عن الغيلان الآن، يا سيري. عندما تعرفين شيئًا ما، يتوقف عن كونه كابوسًا. عندما تعرفين كيفية محاربة شيء ما، يتوقف عن كونه تهديدًا. إذن كيف تحاربين الغول، يا سيري؟»

- سيري: «بسيف فضي. الغول حساس للفضة.»

- فيسيمير: «ولماذا أيضًا؟»

- سيري: «للضوء الساطع. والنار.»

- فيسيمير: «إذن يمكنكِ محاربته بالضوء والنار؟»

- سيري: «يمكنني ذلك، لكنه خطر. الويتشر لا يستخدم الضوء أو النار لأنه يجعل الرؤية أصعب. كل ضوء يخلق ظلًا والظلال تجعل من الصعب تحديد الاتجاهات. يجب على المرء دائمًا أن يقاتل في الظلام، في ضوء القمر أو النجوم.»

- فيسيمير: «صحيح تمامًا. لقد تذكرتِ ذلك جيدًا، أيتها الفتاة الذكية. والآن انظري هنا، إلى هذا النقش.»

- سيري: «إيييييووووو ...»

- فيسيمير: «حسنًا، إنه ليس مخلوقًا جميلًا بما فيه الكفاية. إنه غريفير. الغريفير هو نوع من الغيلان. يشبه إلى حد كبير الغول ولكنه أكبر بكثير. يمكن تمييزه أيضًا، كما ترين، بهذه الأمشاط العظمية الثلاثة على جمجمته. الباقي هو نفسه مثل أي آكل جثث آخر. لاحظي المخالب القصيرة والسميكة، والمكيفة لحفر القبور وتقليب الأرض. أسنان

قوية لتحطيم العظام ولسان طويل وضيق يستخدم لِلَعْق النخاع المتحلل منها. هذا النخاع النتِن هو طعام شهي للغريفير . . . ما الأمر؟»

- سيري: «لا ش .. شيء.»

- فيسيمير: «أنتِ شاحبة تمامًا. وخضراء. أنتِ لا تأكلين بما فيه الكفاية. هل تناولتِ الإفطار؟»

- سيري: «نعممممم. تناولتتهههههه.»

- فيسيمير: «ماذا كنت . . . آها. كدت أن أنسى. تذكري، لأن هذا مهم. الغريفير، مثل الغيلان والوحوش الأخرى في هذه الفئة، ليس لديهم مكمن بيئي خاص بهم. إنهم بقايا من عصر تداخل العوالم وقتلهم لا يخل بالنظام والترابطات في الطبيعة السائدة في عالمنا الحالي، هذه الوحوش غريبة ولا مكان لها في هذا العالم. هل تفهمين ما أقول، يا سيري؟»

- سيري: "نعم، يا عم فيزيمير. شرح لي جيرالت الأمر. أعرف كل ذلك .المَكْمَن البيئي هو..."

- فيسيمير: "حسناً، هذا جيد وإذا كان جيرالت قد شرحه لك فلا داعي لأن تُعيديه عليّ، لنعد إلى الغريفير. تظهر الغريفيرات نادرًا لحسن الحظ، لأنها كائنات خطرة للغاية وأي جرح صغير قد يُحدثه غريفير بجسمك سيُصيبك بسم الجثث، فما هو الإكسير المُستخدم لعلاج التسمم بسم الجثث، يا سيرِي؟"

- سيري: "العُصْفُور الذهبي".

* * *

- الويتشر كوين: "صحيح. لكن من الأفضل تجنب العدوى في المقام الأول. لهذا السبب، عند قتال غريفير، يجب ألا تقتربي أبدًا من ذلك المخلوق. يجب أن تقاتلي دائمًا من مسافة وتضربيه بقفزة".

- سيري: "همم... وأين أفضل مكان لضربه؟"

- الويتشر كوين: "سنصل إلى ذلك الآن. انظري"... "مرة أخرى، ياسيرِي. سنمرُّ عليه ببطء حتى تتمكني من إتقان كل حركة. الآن، أنا أهاجمك بالضربة الثالثة، آخذًا الوضع كما لو كنتُ سأطعن... لماذا تتراجعين؟"

- سيري: "لأنني أعرف أنها خدعة! يمكنك الانتقال إلى ضربة سينسترا واسعة أو الضرب بالضربة الرابعة العلوية. وسأتراجع وأصدُّ بضربة مُضادة"!

الويتشر كوين: "أهذا صحيح؟ وإذا فعلتُ هذا؟"

- سيري: "آآااه! من المفترض أن يكون الأمر بطيئًا! ماذا فعلتُ بشكل خاطئ، كوين؟"

- الويتشر كوين: "لا شيء. أنا فقط أطول وأقوى منك".

- سيري: "هذا ليس عدلاً"!

- الويتشر كوين: " لا يوجد شيء اسمه قتال عادل. عليكِ الاستفادة من كل ميزة وكل فرصة تحصلين عليها. وبتراجعكِ قد منحتِني فرصة لبذل المزيد من القوة في الضربة. بدلاً من التراجع، كان عليكِ تنفيذ نصف دورة إلى اليسار ومحاولة قَطْعِي من الأسفل، بالضربة الرابعة اليمنى، تحت الذقن، في الخد أو الحلق".

- سيري: "كما لو كنتَ ستدعني! ستقوم بدورة عكسية وتحصل على رقبتي من اليسار قبل أن أتمكن من صدها! كيف يُفترض بي أن أعرف ما الذي تفعله؟"

- الويتشر كوين: " عليكِ أن تعرفي. وأنتِ تعرفين".

- سيري: "أوه، بالتأكيد"!

- الويتشر كوين: "سيرِي، ما نفعله هو القتال. أنا خصمك. أريد ويجب أن أهزمك لأن حياتي على المحك. أنا أطول وأقوى منكِ، لذا سأبحث عن فرص للضرب من أجل تجنب أو كسر صدك - كما رأيتِ للتو. ما حاجتي إلى دورة؟ أنا بالفعل في وضع سينسترا، أترين؟ ما الذي يمكن أن يكون أبسط من الضرب بضربة سكوند، تحت الذراع، من الداخل؟ إذا قَطَعتُ شريانكِ، فستموتين في غضون دقائق قليلة. دافعي عن نفسك"!

- سيري: "هاااا"!

- الويتشر كوين: "جيد جدًا. صدٌّ جميل وسريع. أترين كيف أن تمرين معصمكِ كان مُفيدًا؟ والآن انتبهي - يرتكب الكثير من المبارزين خطأ تنفيذ صدٍّ ثابت ويتجمدون لثانية، وهذا هو بالضبط الوقت الذي يمكنكِ فيه الإمساك بهم، والضرب - هكذا"!

- سيري: "ها"!

- الويتشر كوين: "جميل! الآن اقفزي بعيدًا، اقفزي بعيدًا على الفور، دورة! كان من الممكن أن يكون لدي خنجر في يدي اليسرى! جيد! جيد جدًا! والآن، سيرِي؟ ماذا سأفعل الآن؟"

- سيري: "كيف لي أن أعرف؟"

- الويتشر كوين: "انظري إلى قدمي! كيف يتوزع وزن جسمي؟ ماذا يمكنني أن أفعل من هذا الوضع؟"

- سيري: "أي شيء"!

- الويتشر كوين: " إذن دُوري، دُوري، أجبريني على الانفتاح! دافعي عن نفسك! جيد! ومرة أخرى! جيد! ومرة أخرى"!

- سيري: "آوووو"!

- الويتشر كوين: " لم يكن ذلك جيدًا".

- سيري: "أُفف... ماذا فعلتُ بشكل خاطئ؟"

- الويتشر كوين: " لا شيء. أنا فقط أسرع. انزعي واقياتكِ. سنجلس لحظة، لنأخذ استراحة. يجب أن تكوني مُتعبة، لقد كنتِ تجرين الطريق طوال الصباح".

- سيري: "أنا لستُ مُتعبة. أنا جائعة".

- الويتشر كوين: " يا إلهي، أنا أيضًا. واليوم هو دور لامبرت ولا يستطيع طهي أي شيء غير المعكرونة... لو كان بإمكانه فقط طهيها بشكل صحيح"...

- سيري: "كوين؟"

- الويتشر كوين: " أجل؟"

- سيري: "ما زلتُ لستُ سريعَة بما يكفي"...

- الويتشر كوين: " أنتِ سريعة جدًا".

- سيري: "هل سأكون سريعَة مثلكِ يومًا ما؟"

- الويتشر كوين: " أشك في ذلك".

- سيري: "همم... وهل أنتَ...؟ من هو أفضل مُبارز في العالم؟"

- الويتشر كوين: " ليس لدي أدنى فكرة".

- سيري: "ألم تعرف أبدًا أحدًا؟"

- الويتشر كوين: " عرفتُ الكثيرين ممن اعتقدوا أنهم الأفضل".

- سيري: "أوه! ماذا كانوا؟ ما هي أسمائهم؟ ماذا يمكنهم أن يفعلوا؟"

- الويتشر كوين: " تمهلي، تمهلي يا فتاة. ليس لدي إجابة على هذه الأسئلة. هل كل هذا مُهم؟"

- سيري: "بالطبع هو مُهم! أود أن أعرف من هم هؤلاء المُبارزون. وأين هم".

- الويتشر كوين: " أين هم؟ أعرف ذلك".

- سيري: "آه! إذن أين؟"

- الويتشر كوين: " في المقابر".

* * *

جيرالت: "انتبهي، ياسيرِي. سنقوم بتوصيل بندول ثالث الآن - يمكنكِ التعامل مع اثنين بالفعل. تستخدمين نفس الخطوات كما في اثنين ولكن هناك مُراوغة إضافية واحدة. جاهزة؟"

- سيري: "نعم".

جيرالت: "ركّزي نفسكِ. استرخي. تنفسي، أخرجي الزفير. هاجمي"!

- سيري: "آوتش! آووو... اللعنة"!

جيرالت: "لا تَشتمي. هل أصابكِ بقوة؟"

- سيري: "لا، لقد لمسني فقط... ماذا فعلتُ بشكل خاطئ؟"

جيرالت: "ركضتِ بوتيرة مُتساوية للغاية، أسرعتِ نصف الدورة الثانية قليلاً، وكانت خدعتكِ واسعة للغاية. ونتيجة لذلك، تم حملكِ مباشرة تحت البندول".

- سيري: "لكن يا جيرالت، لا يوجد مكان للمراوغة والانعطاف هناك! إنهم قريبون جدًا من بعضهم البعض"!

جيرالت: "هناك متسع كبير، أؤكد لكِ ذلك. لكن الفجوات مُصممة لإجباركِ على القيام بحركات غير إيقاعية. هذه معركة، سيرِي، ليست باليه. لا يمكنكِ التحرك بإيقاع في معركة. عليكِ تشتيت انتباه الخصم بحركاتكِ، وإرباك ردود أفعاله. جاهزة لمحاولة أخرى؟"

- سيري: "جاهزة. ابدأ بتأرجح تلك الجذوعِ اللعينة".

جيرالت: "لا تَشتمي. استرخي. هاجمي"!

- سيري: "ها! ها! حسنًا، ماذا عن ذلك؟ كيف كان ذلك، جيرالت؟ لم يلمسني حتى"!

جيرالت: "ولم تلمسي حتى الكيس الثاني بسيفكِ. لذا أكرر، هذه معركة. ليست باليه، ليست ألعابًا بهلوانية - ماذا تتمتمين الآن؟"

- سيري: "لا شيء".

جيرالت: "استرخي. عدّلي الضمادة على معصمكِ. لا تمسكي المقبض بإحكام شديد، فهذا يُشتتكِ ويُخل بتوازنكِ. تنفسي بهدوء. جاهزة؟"

- سيري: "نعم".

جيرالت: "انطلقي"!

- سيري: "آوتش! يا لكِ من... جيرالت، هذا مُستحيل! لا يوجد مساحة كافية لخُدعة وتغيير القدم. وعندما أضرب بكلتا ساقي، بدون خُدعة"...

جيرالت: "رأيتُ ما يحدث عندما تضربين بدون خُدعة. هل يؤلم؟"

- سيري: "لا. ليس كثيرًا"...

جيرالت: "اجلسي بجانبي. خذي استراحة".

- سيري: "أنا لستُ مُتعبة. جيرالت، لن أتمكن من القفز فوق البندول الثالث حتى لو استرحتُ لعشر سنوات. لا يُمكنني أن أكون أسرع من ذلك"-

جيرالت: "ولا عليكِ أن تكوني. أنتِ سريعة بما يكفي".

- سيري: "أخبرني كيف أفعل ذلك إذن. نصف دورة، مُراوغة وضرب في نفس الوقت؟"

جيرالت: "الأمر بسيط للغاية؛ أنتِ فقط لم تنتبهي. قلتُ لكِ قبل أن تبدأي - مُراوغة إضافية ضرورية. إزاحة. نصف دورة إضافية غير ضرورية. في المرة الثانية، فعلتِ كل شيء بشكل جيد واجتزتِ جميع البنادول".

- سيري: "لكنني لم أضرب الكيس لأن... جيرالت، بدون نصف دورة لا يُمكنني أن أضرب لأنني أفقد السرعة، ليس لديّ... لديّ، ماذا تُسميه"...

جيرالت: "قوة الدفع. هذا صحيح. لذا اكتسبي بعض قوة الدفع والطاقة. ولكن ليس من خلال دورة وتغيير القدم لأنه لا يوجد وقت كافٍ لذلك. اضربي البندول بسيفكِ".

- سيري: "البندول؟ عليّ أن أضرب الأكياس"!

جيرالت: "هذه معركة، ياسيرِي. الأكياس تُمثل المناطق الحساسة لخصمكِ، عليكِ ضربها. البنادول - التي تُحاكي سلاح خصمكِ - عليكِ تجنبها، ومراوغتها. عندما يُصيبكِ البندول، تكونين جُرحتِ. في قتال حقيقي، قد لا تتمكنين من النهوض مرة أخرى. يجب ألا يلمسكِ البندول. لكن يُمكنكِ ضرب البندول... لماذا تُقطبين أنفكِ؟"

- سيري: "أنا... لن أتمكن من صد البندول بسيفي. أنا ضعيفة للغاية... سأكون دائمًا ضعيفة! لأنني فتاة"!

جيرالت: "تعالي هنا يا فتاة. امسحي أنفكِ، واستمعي جيدًا. لا يوجد رجل قوي، أو عملاق يُطيح بالجبال، أو رجل مفتول العضلات سيكون قادرًا على صد ضربة مُوجهة إليه من ذيل سحلية تنين، أو كماشة عقرب عملاق، أو مخالب نسر. وهذه هي بالضبط أنواع الأسلحة التي يُحاكيها البندول. لذا لا تُحاولي حتى الصد. أنتِ لا تصدين البندول، أنتِ تصدين نفسكِ منه. أنتِ تعترضين طاقته، التي تحتاجينها لتوجيه ضربة. انحراف خفيف، لكن سريع للغاية، وضربة فورية، وسريعة بنفس القدر، من نصف دورة عكسية تكفي. أنتِ تكتسبين قوة دفع من خلال الارتداد. هل ترين؟"

- سيري: "همم".

جيرالت: "السرعة، ياسيرِي، ليست القوة. القوة ضرورية لحطاب يقطع الأشجار في غابة. لهذا السبب، وبصراحة، نادرًا ما تكون الفتيات حطابات. هل فهمتِ ذلك؟"

- سيري: "همم. ابدأ بأرجحة البنادول".

جيرالت: "استريحي أولاً".

- سيري: "أنا لستُ مُتعبة".

جيرالت: "أتعرفين كيف الآن؟ نفس الخطوات، خُدعة"

- سيري: "أعرف".

جيرالت: "هاجمي"!

- سيري: "هاااا! ها! هاااا! أمسكتُ بك! أمسكتُ بك، أيها النسر! جيراااالت! هل رأيتَ ذلك؟"

جيرالت: "لا تصرخي. تحكمي في تنفسكِ".

- سيري: "فعلتُها! فعلتُها حقًّا!! لقد نجحتُ! امدحني، جيرالت"!

جيرالت: "أحسنتِ، سيرِي. أحسنتِ، يا فتاة".

* * *

في منتصف شهر فبراير، اختفى الثلج، جرفته رياح دافئة تهب من الجنوب، من الممر.

ما كان يحدث في ذلك العالم آنذاك، لم يكن أفراد الويتشرز مهتمون بمعرفته. وفي تلك الأمسية، كانت تريس بتصميم وثبات تُوجه المحادثات الطويلة - التي تُجرى في القاعة المظلمة والتي تُضاء فقط بانفجارات اللهب في الموقد العظيم - نحو السياسة.

كانت ردود أفعال الويتشرز دائمًا كما هي، جيرالت واضعاً يده على جبهته، لم يقل كلمة واحدة. بينما فيزيمير كان يؤمئ برأسه، ومن حين لآخر يُلقي بتعليقات لم تتعدَ القول بأن "في أيامه" كل شيء كان أفضل، وأكثر منطقية، وأكثر صدقًا، وأكثر صحة. في حين تظاهر إسكيل بالأدب، ولم يبتسم ولم يتواصل بالعين، وتمكن، في بعض الأحيان، من الاهتمام ببعض القضايا أو الأسئلة التي لا تتمتع بأهمية كبيرة. بينما تثاءب كوين علانية ونظر إلى السقف، ولم يُخف لامبرت ازدرائه.

لم يرغبوا في معرفة أي شيء، ولم يهتموا بالمآزق التي تُطرد النوم من أعين الملوك والسحرة والحكام والقادة، أو بالمشاكل التي جعلت المجالس والدوائر والتجمعات ترتجف وتئن.

بالنسبة لهم، لم يكن هناك شيء موجودًا خارج تلك الممرات الغارقة في الثلج أو خارج نهر جوينليتش الذي يحمل طوافات جليدية في تياره الرصاصي. بالنسبة لهم، لم يكن هناك سوى قلعة كاير مورهين الضائعة في وحدتها بين الجبال الوحشية.

في تلك الليلة كانت تريس سريعة الغضب ومضطربة - ربما كان ذلك بسبب الريح التي تعوي على طول جدران القلعة العظيمة - وكانوا جميعًا مُتحمسين بشكل غريب، باستثناء جيرالت، كانوا كثيري الكلام على غير المعتاد. من الواضح أنهم لم يتحدثوا إلا عن شيء واحد - الربيع. عن رحيلهم الوشيك إلى الطريق. وعما سيُخبئه لهم الطريق - عن مصاصي الدماء، والتنانين، والليشي، والمستذئبين، والبازيليسق.

هذه المرة كانت تريس هي التي بدأت تتثاءب وتنظر إلى السقف. هذه المرة كانت هي التي ظلت صامتة - حتى التفت إليها إسكيل بسؤال. سؤال كانت تتوقعه.

- "وما هو الوضع حقًا في الجنوب، على نهر ياروغا؟ هل يستحق الذهاب إلى هناك؟ لانود أن نجد أنفسنا في منتصف أي مشكلة".

- "ما الذي تعنيه بالمشاكل؟"

- "حسنًا، كما تعلم..." تلعثم، "تستمرين في إخبارنا عن احتمال نشوب حرب جديدة... عن القتال المستمر على الحدود، عن الثورات في الأراضي التي غزاها نيلفجارد. قلتِ إنهم يقولون إن النيلفجارد قد يعبرون نهر ياروغا مرة أخرى"-

- "وماذا في ذلك؟" قال لامبرت. "إنهم يضربون ويقتلون ويُهاجمون بعضهم البعض باستمرار منذ مئات السنين. لا داعي للقلق. لقد قررتُ بالفعل - سأذهب إلى الجنوب

البعيد، إلى سودين، وماهاكام، وأنغرين. من المعروف أن الوحوش تكثر حيثما مرت الجيوش. يُجنى معظم المال دائمًا في أماكن مثل هذه".

- "صحيح،" اعترف كوين. "تصبح المنطقة مهجورة، ولا يبقى في القرى سوى النساء اللاتي لا يستطعن إعالة أنفسهن... عشرات الأطفال بلا مأوى أو رعاية، يتجولون... كفريسة سهلة تجذب الوحوش".

- "وأصحاب البارونات وشيوخ القرى،" أضاف إسكيل، "رؤوسهم مليئة بالحرب وليس لديهم وقت للدفاع عن رعاياهم. عليهم أن يستأجرونا. هذا صحيح. ولكن مما كانت تريس تُخبرنا به طوال هذه الأمسيات، يبدو أن الصراع مع نيلفجارد أكثر خطورة من ذلك، ليس مجرد حرب محلية صغيرة. أليس كذلك، تريس؟"

- "حتى لو كان الأمر كذلك،" قالت الساحرة بخبث، "أليس ذلك يُناسبكم؟ حرب خطيرة ودامية ستؤدي إلى المزيد من القرى المهجورة، والمزيد من النساء الأرامل، ببساطة حشود من الأطفال اليتامى".

"... يدافعون عن هؤلاء الأطفال،" قاطعت بغضب. "نعم، أعرف. من المستذئب الذي قد يقتل اثنين أو ثلاثة في السنة، بينما يمكن لغارة نيلفجاردية أن تقتل وتحرق مستوطنة بأكملها في ساعة واحدة. نعم، أنتم تدافعون عن الأيتام. بينما أنا أُحارب حتى يكون هؤلاء الأيتام أقل عدد ممكن. أنا أُحارب السبب، وليس النتيجة. لهذا السبب أنا في مجلس فولتيست من تيميريا وأجلس مع فيركارت وكيرا ميتز. نحن نتداول في كيفية منع اندلاع الحرب، وإذا حدث ذلك، كيفية الدفاع عن أنفسنا. لأن الحرب تُحلق باستمرار فوقنا كنسر. بالنسبة لكم هي مُغامرة. بالنسبة لي، هي لعبة تكون فيها المخاطر

هي البقاء على قيد الحياة. أنا مُشاركة في هذه اللعبة، ولهذا السبب يؤذيني ويُهينني عدم اكتراثكم واستخفافكم."

- نهض جيرالت ونظر إليها. "نحن ويتشرز، تريس. ألا تستطيعين فهم ذلك؟"

- "ما الذي يجب فهمه؟" ألقت الساحرة بشعرها الكستنائي إلى الخلف. "كل شيء واضح وضوح الشمس. لقد اخترتم موقفًا مُعينًا من العالم من حولكم. حقيقة أن هذا العالم قد يتهاوى في أي لحظة لها مكان في هذا الاختيار. في اختياري، ليس كذلك. هذا هو المكان الذي نختلف فيه."

- "لستُ مُتأكدًا من أنه هناك فقط نختلف."

- "العالم يتهاوى،" كررت. "يمكننا أن نشاهد ذلك يحدث ولا نفعل شيئًا. أو يمكننا أن نُعاكسه."

- "كيف؟" ابتسم بسخرية. "بمشاعرنا؟"

لم تُجب، وحولت وجهها إلى النار التي كانت تزمجر في الموقد.

- "العالم يتهاوى،" كرر كوين، مُومئًا برأسه بتفكير مُتصنع. "كم مرة سمعتُ ذلك."

- "أنا أيضًا،" قطب لامبرت. "وليس من المُستغرب - إنه قول شائع في الآونة الأخيرة. هذا ما يقوله الملوك عندما يتضح أن هناك حاجة إلى قدرٍ ضئيل من العقول للحكم بعد كل شيء. هذا ما يقوله التجار عندما يقودهم جشعهم وغبائهم إلى الإفلاس. هذا ما يقوله السحرة عندما يبدأون في فقدان نفوذهم على السياسة أو الدخل. والشخص الذي

يتحدثون إليه يجب أن يتوقع نوعًا من الاقتراح على الفور. لذا اختصري المقدمة، تريس، وقدمي لنا اقتراحك."

- "الجدال اللفظي لم يُسلني أبدًا،" أعلنت الساحرة، وهي تُحدق به بعيون باردة، "أو عروض البلاغة التي تسخر ممن تتحدث إليه. لا أنوي المشاركة في أي شيء من هذا القبيل. أنت تعرف جيدًا ما أعنيه. تريدون إخفاء رؤوسكم في الرمال، هذا شأنكم. لكن أن يكون هذا رأيك ياجيرالت فهذا يُعد بالنسبة لي مفاجأة كبيرة."

- "تريس." نظر الويتشر ذو الشعر الأبيض إليها مباشرة في عينيها مرة أخرى. "ما الذي تتوقعينه مني؟ أن أشارك بنشاط في المعركة لإنقاذ عالم يتهاوى؟ هل عليّ أن أنضم إلى الجيش وأوقف نيلفجارد؟ هل يجب عليّ، إذا وصل الأمر إلى معركة أخرى من أجل سودين، أن أقف معكِ على التل، جنبًا إلى جنب، وأُقاتل من أجل الحرية؟"

- "سأكون فخورةً،" قالت بهدوء، وهي تُخفض رأسها. "سأكون فخورةً وسعيدة بالقتال إلى جانبك."

- "أصدق ذلك. لكنني لستُ شجاعًا بما يكفي. ولا بطلاً بما يكفي. أنا لا أصلح أن أكون جنديًا أو بطلاً. والخوف الشديد من الألم والتشويه والموت ليس هو السبب الوحيد. لا يمكنك منع الجندي من الخوف، ولكن يمكنك منحه دافعًا لمساعدته في التغلب على هذا الخوف. ليس لديّ مثل هذا الدافع. لا يُمكنني أن أحصل عليه. أنا ويتشر: مُتحول مُصطنع. أقتل الوحوش مقابل المال. أدافع عن الأطفال عندما يدفع لي آباؤهم مقابل ذلك. إذا دفع لي آباء نيلفجارد، فسأدافع عن أطفال نيلفجارد. وحتى لو كان العالم في حالة خراب - وهو ما لا يبدو مُرجحًا بالنسبة لي - فسأستمر في قتل

الوحوش في خراب هذا العالم حتى يقتلني وحش ما. هذا هو قدري، وسببي، وحياتي، وموقفي من العالم. وهو ليس ما اخترته. لقد تم اختياره لي."

- "أنتَ ممتلئ بالمرارة،" صرحت، وهي تشدُّ بعصبية خصلة من شعرها. "أو ربما تتظاهر بذلك. أنت تنسى أنني أعرفك، لذا لا تلعب دور المتحول عديم الشعور، الخالي من القلب، والضمير والمشاعر، وإرادته الحرة، أمامي. وأسباب مرارتك، يمكنني تخمينها وفهمها. نبوءة سيرِي، أليس كذلك؟"

- "لا، ليس صحيحًا،" أجاب ببرود. "أرى أنكِ لا تعرفينني على الإطلاق. أنا أخاف من الموت، تمامًا مثل أي شخص آخر، لكنني اعتدتُ على فكرة ذلك منذ زمن طويل - أنا لستُ تحت أي أوهام. أنا لا أشكو من القدر، تريس - هذا حساب بسيط وبارد. إحصائيات. لم يمت أي ويتشر بعدُ من الشيخوخة، وهو مُستلقٍ على السرير يُملي وصيته. لا أحد منهم. لم تُفاجئني سيرِي أو تُخيفني. أعرف أنني سأموت في كهف ما تنبعث منه رائحة الجثث، تمزقني غريفين أو لاميا أو مانتيكور. لكنني لا أريد أن أموت في حرب، ليست حربي."

- "أنا مُندهشة منك،" أجابت بحدة. "أنا مُندهشة من أنك تقول هذا، مُندهشة من عدم وجود دافع لديك، كما اخترتَ ببراعة أن تصف بُعدك المُتعالي وعدم اكتراثك. كنتَ في سودين وأنغرين وعبر النهر. أنت تعرف ما حدث لسنترا، وتعرف ما حل بالملكة كالانثي والآلاف من الناس هناك. أنت تعرف الجحيم الذي مرت به سيرِي، وتعرف لماذا تصرخ في الليل. وأنا أعرف أيضًا، لأنني كنتُ هناك أيضًا. أنا أخاف من الألم والموت أيضًا، أكثر الآن مما كنتُ عليه حينها - لديّ سبب وجيه. أما بالنسبة للدافع، فيبدو لي أنني في ذلك الوقت كان لديّ القليل منه مثلك تمامًا. لماذا يجب عليّ، كساحرة، أن أهتم بمصائر سودين أو بروج أو سنترا أو ممالك أخرى؟ مشاكل وجود

حكام أكثر أو أقل كفاءة؟ مصالح التجار والبارونات؟ كنتُ ساحرة. كان بإمكاني أيضًا أن أقول إنها لم تكن حربي، وأنني أستطيع أن أخلط الإكسيرات للنيلفارديين على أنقاض العالم. لكنني وقفتُ على ذلك التل بجوار فيلجيفورتز، بجوار أرتود تيرانوفا، بجوار فيركارت، بجوار إنيد فينذابير وفيليبا إيلهارت، بجوار ينيفر الخاصة بك. بجوار أولئك الذين لم يعودوا موجودين - كورال، يويل، فانييل... كانت هناك لحظة عندما نسيتُ فيها من شدة الرعب جميع تعويذاتي باستثناء تعويذة واحدة - وبفضل تلك التعويذة كان بإمكاني أن أنقل نفسي من ذلك المكان المروِع إلى الوطن، إلى برجِي الصغير في ماريبور. كانت هناك لحظة، عندما تقيأتُ من الخوف، عندما رفعتني ينيفر وكورال من كتفي وشعري -"

- "توقفي. من فضلك، توقفي."

- "لا، جيرالت. لن أفعل. بعد كل شيء، تريد أن تعرف ما حدث هناك، على التل. لذا استمع - كان هناك صخب وألسنة لهب، وكانت هناك سهام مُشتعلة وكُرات نارية تنفجر، كانت هناك صرخات وانهيارات، ووجدتُ نفسي فجأة على الأرض على كومة من الخِرَق المُتفحمة والمُدَخنة، وأدركتُ أن كومة الخِرَق كانت يويل وأن الشيء الذي بجوارها، ذلك الشيء الرهيب، ذلك الجذع بدون أذرع ولا أرجل الذي كان يصرخ بشكل مُرعب كان كورال. وظننتُ أن الدم الذي كنتُ مُستلقية فيه هو دم كورال. لكنه كان دمي. ثم رأيتُ ما فعلوه بي، وبدأتُ بالعويل، والعويل مثل كلب مضروب، مثل طفل مُرهق - اتركني وشأني! لا تقلق، لن أبكي. لم أعد فتاة صغيرة من برج صغير في ماريبور. اللعنة، أنا تريس ميريغولد، الرابعة عشرة التي قُتلت في سودين. هناك أربعة عشر قبرًا عند سفح المسلة على التل، ولكن هناك ثلاثة عشر جثة فقط. هل أنتَ مُندهش من إمكانية حدوث مثل هذا الخطأ؟ كانت معظم الجثث في قطع يصعب

التعرف عليها - لم يُحددها أحد. كان من الصعب أيضًا حساب عدد الأحياء. من بين أولئك الذين عرفوني جيدًا، كانت ينيفر هي الوحيدة التي نجت، وكانت ينيفر عمياء. عرفني الآخرون بشكل عابر وكانوا دائمًا يتعرفون عليّ من خلال شعري الجميل. وأنا، اللعنة، لم يعد لديّ ذلك بعد الآن"!

ضمها جيرالت إليه بقوة. لم تعد تُحاول دفعه بعيدًا.

- "لقد استخدموا أعلى أنواع السحر علينا،" تابعت بصوت خافت، "تعويذات، إكسيرات، تمائم وآثار. لم يُترك شيء ينقص الأبطال الجرحى في التل. لقد شُفينا، ورُممنا، وأُعيدت إلينا مظاهرنا السابقة، وشعرنا وبصرنا. بالكاد تستطيع رؤية العلامات. لكنني لن أرتدي أبدًا فتحة صدر عميقة مرة أخرى، جيرالت. أبدًا".

لم يقل الويتشرز شيئًا. ولا سيرِي، التي انزلقت إلى القاعة دون صوت وتوقفت عند العتبة، مُنحنية كتفيها وطاوية ذراعيها.

- "إذن،" قالت الساحرة بعد فترة، "لا تُحدثني عن الدافع. قبل أن نقف على ذلك التل، أخبرنا فصيل السحرة ببساطة: "هذا ما عليكَ فعله." حرب من كانت؟ ماذا كنا ندافع هناك؟ الأرض؟ الحدود؟ الناس وأكواخهم؟ مصالح الملوك؟ نفوذ السحرة ودخلهم؟ النظام ضد الفوضى؟ لا أعرف! لكننا دافعنا عنها لأن هذا ما كان يجب أن يتم. وإذا دعت الحاجة، فسأقف على التل مرة أخرى. لأنني إذا لم أفعل، فسوف يجعل التضحيات التي قُدمت في المرة الأولى عديمة الجدوى وغير ضرورية".

- "سأقف بجانبكِ!" صرخت سيرِي بصوت عالٍ. "انتظروا وتروا، سأقف معكم! سيدفع هؤلاء النيلفارديون ثمن جدتي، ثمن كل شيء... لم أنسَ"!

- "اصمتي،" زمجر لامبرت. "لا تتدخلي في محادثات الكبار "

- "أوه، بالتأكيد!" وطأت الفتاة قدمها وعلى عينيها اشتعلت نار خضراء. "لماذا تظنون أنني أتعلم القتال بالسيف؟ أريد أن أقتله، ذلك الفارس الأسود من سنترا بأجنحة على خوذته، بسبب ما فعله بي، بسبب جعلي أخاف! وسأقتله! لهذا السبب أتعلم ذلك"!

- "ولذلك ستتوقفين عن التعلم،" قال جيرالت بصوت أبرد من جدران كاير مورهين. "حتى تفهمي ما هو السيف، وما هو الغرض منه في يد ساحر، لن تحملي واحدًا. أنتِ لا تتعلمين من أجل القتل والقتال. أنتِ لا تتعلمين القتل بدافع الخوف والكراهية، ولكن من أجل إنقاذ الأرواح. حياتكِ وحياة الآخرين".

عضت الفتاة شفتها، وهي ترتجف من الانفعال والغضب.

- "هل هذا مفهوم؟"

- رفعت سيرِي رأسها فجأة. "لا".

- "إذن لن تفهمي أبدًا. اخرجي".

- "جيرالت، أنا"-

- "اخرجي".

دارت سيرِي على كعبها ووقفت بلا حراك للحظة، مترددة، كما لو كانت تنتظر - تنتظر شيئًا لا يمكن أن يحدث. ثم ركضت بسرعة إلى أعلى الدرج. سمعوا الباب يُغلق.

- "كنت قاسياً عليها أيها الذئب،" قال فيزيمير. "شديد القسوة. وكان يجب ألا تفعل ذلك بحضور تريس. الروابط العاطفية"

- "لا تُحدثني عن المشاعر. لقد اكتفيتُ من كل هذا الحديث عن المشاعر"!

- "ولماذا ذلك؟" ابتسمت الساحرة بسخرية وبرودة. "لماذا، جيرالت؟ سيرِي طبيعية. لديها مشاعر طبيعية، تتقبل المشاعر بشكل طبيعي، وتأخذها كما هي حقًا. أنت، من الواضح، لا تفهمها ولذلك أنتَ مُندهش منها. هذا يُفاجئك ويُزعجك. حقيقة أن شخصًا ما يمكن أن يختبر حبًا طبيعيًا، وكراهية طبيعية، وخوفًا طبيعيًا، وألمًا وندمًا، وفرحًا طبيعيًا وحزنًا طبيعيًا. وأن البرودة والمسافة واللامبالاة هي التي تُعتبر غير طبيعية. نعم، جيرالت، هذا يُزعجك، يُزعجك كثيرًا لدرجة أنك بدأتَ تُفكر في أقبية كاير مورهين، وفي المختبر، وفي القوارير الزجاجية المُغبرة المليئة بالسموم المُطفرة"-

"تريس!" نادى فيزيمير، وهو يُحدق في وجه جيرالت، الذي أصبح شاحبًا فجأة.

لكن الساحرة رفضت أن تُقاطع وتحدثت بسرعة أكبر وأعلى صوتًا.

- "من الذي تُريد أن تُخدعه، جيرالت؟ أنا؟ هي؟ أو ربما نفسك؟ ربما لا تُريد الاعتراف بالحقيقة، وهي حقيقة يعرفها الجميع ما عداك؟ ربما لا تُريد قبول حقيقة أن المشاعر والأحاسيس الإنسانية لم تقتلها فيك الإكسيرات والأعشاب! أنتَ قتلتها! أنتَ قتلتها بنفسك! لكن لا تجرؤ على قتلها في الطفلة"!

"اصمتي!" صرخ، وهو يقفز من الكرسي. "اصمتي، يا ميريغولد"!

أدار ظهره وخفض ذراعيه بلا حول ولا قوة. "آسف،" قال بهدوء. "سامحيني، تريس."
توجه بسرعة إلى الدرج، لكن الساحرة كانت في لمح البصر وألقت بنفسها عليه، وهي تُعانقه.

- "لن ترحل من هنا وحدك،" همست. "لن أدعكَ وحيدًا. ليس الآن".

عرفوا على الفور إلى أين ركضت. تساقط ثلج ناعم ورطب في ذلك المساء وغطى الفناء الأمامي بسجادة رقيقة وبيضاء ناصعة. رأوا آثار أقدامها فيها.

كانت سيرِي واقفة على قمة الجدار المُهدم، بلا حراك كتمثال. كانت تحمل السيف فوق كتفها الأيمن، وواقي اليد عند مستوى العين. كانت أصابع يدها اليسرى تلمس المقبض برفق.

عندما رأتهما، قفزت الفتاة، وأدارت في دورة وهبطت برفق في وضع مُطابق ولكن معكوس.

- "سيرِي،" قال الويتشر، "انزلي، من فضلك".

يبدو أنها لم تسمعه. لم تتحرك، ولا حتى عضلة واحدة.

لكن تريس رأت انعكاس القمر الذي ألقاه على وجهها النصل يتلألأ فضيًا فوق مجرى من الدموع.

- "لن يأخذ أحد السيف مني!" صرخت. "لا أحد! ولا حتى أنت"!

- "انزلي،" كرر جيرالت.

ألقت برأسها بتحدٍ وفي الثانية التالية قفزت مرة أخرى، انزلقت فجأة قرميدة مفكوكة تحت قدمها بصوت صرير مدوي، ترنحت سيرِي مُحاولةً استعادة توازنها لكنها فشلت.

قفز وراءها جيرالت.

رفعت تريس يدها، فاتحة فمها لتلفظ بتعويذة للتحليق. علمت أنها لا تستطيع فعل ذلك في الوقت المناسب. علمت أن جيرالت لن يتمكن من ذلك. كان ذلك مستحيلاً.

لكن جيرالت تمكن من ذلك.

أُجبر على النزول إلى الأرض، وأُلقي على ركبتيه وظهره. سقط. لكنه لم يُفلت سيرِي.

اقتربت الساحرة منهما ببطء. سمعت الفتاة تهمس وتشم. كان جيرالت يهمس أيضًا. لم تستطع تمييز الكلمات. لكنها فهمت معناها.

عوت رياح دافئة في شقوق الجدار. رفع الويتشر رأسه.

"الربيع،" قال بهدوء.

"نعم،" أقرت، وهي تبتلع ريقها. "لا يزال هناك ثلج في الممرات ولكن في الوديان... في الوديان، إنه الربيع بالفعل. هل نرحل، جيرالت؟ أنت وسيرِي وأنا؟"

"نعم. لقد حان الوقت".

* * *

نهرًا صاعدًا، رأينا مدنهم، رقيقة وكأنها منسوجة من ضباب الصباح الذي انبثقت منه. بدا الأمر كما لو أنها ستختفي بعد لحظة، تذروها الريح التي تموج سطح الماء. كانت هناك قصور صغيرة، بيضاء كأزهار النيلوفر؛ كانت هناك أبراج صغيرة تبدو وكأنها مضفرة من اللبلاب؛ كانت هناك جسورٌ هوائيةٌ كرَخْصِ الصفصاف. وكانت هناك أشياء أخرى لم نجد لها كلمة أو اسمًا. ومع ذلك، كان لدينا بالفعل أسماء لكل ما رأته أعيننا في هذا العالم الجديد، المولود من جديد. فجأة، في أعماق ذاكرتنا، وجدنا كلمات للتنانين والعِقْبان، وحوريات البحر، والحوريات، والجنيات، والدرياد مرة أخرى. من أجل وحيدات القرن البيضاء التي شربن من النهر عند الغسق، وهن يملن أعناقهن النحيلة نحو الماء. لقد سمينا كل شيء. وكل شيء بدا قريبًا من قلوبنا، مألوفًا لنا، لنا نحن.

باستثناءهم. هم، رغم أنهم يشبهوننا إلى حد كبير، لكنهم كانوا غرباء. غرباء جدًا لدرجة أننا لم نجد، لفترة طويلة، كلمة لوصف غرابتهم.

- من كتاب الإلفيين والبشر لـ هين جيديميث

الجنيّ الجيد هو جنيّ ميت.

- المارشال ميلان روبينيك

* * *

الفصل الرابع

** تصرَّفَ النحسُ على طريقةِ النحوسِ الأبديةِ والصقور - وظلَّ يُحلِّق فوقهم لبعضِ الوقتِ منتظرًا لحظةً مناسبةً قبل أن ينقضَّ عليهم. اختار لحظته، عندما تجاوزوا المستوطنات القليلة على نهري غوينليتش وأعالي بوينا، وتجاوزوا آرد كاراغ وانغمسوا في الغابة أدناه، المهجورة والمتقاطعة مع الأخاديد. كصقرٍ ينقض، كانت ضربةُ هذا النحسِ دقيقة. سقط بدقة على ضحيته، وكانت ضحيته تريس.

في البداية، بدا الأمرُ سيئًا ولكن ليس خطيرًا للغاية، يشبه اضطرابًا عاديًا في المعدة. حاول جيرالت وسيري التغاضي بتكتم عن التوقفات التي تطلبتها علة الساحرة. حاولت تريس، والتي كانت شاحبةً كالموت، تتصبب عرقًا وتتلوى بألم، مواصلة الركوب لساعاتٍ أطول، ولكن بحلول الظهيرة، وبعد أن قضت وقتًا طويلاً بشكل غير طبيعي في الأدغال على جانب الطريق، لم تعد في حالةٍ تسمح لها بالبقاء على سرجها. حاولت سيري مساعدتها لكن دون جدوى – كانت الساحرة، غير قادرة على التمسك بعرف الحصان، انزلقت على جانب دابّتها وانهارت على الأرض.

حملوها ووضعوها على عباءة، فقام جيرالت بفك أكياس السرج دون كلمة، ووجد صندوقًا يحتوي على بعض الإكسيرات السحرية، فتحه ولعن. كانت جميع القوارير متطابقة والعلامات الغامضة على الأختام لم تعنِ له شيئًا.

- "أيٌّ من هذه الأكسيرات، ياتريس؟"

- "لا شيء منها،" أنَّتْ وتأوهت بفظاعة، واضعةً كلتا يديها على بطنها. "لا أستطيع ... لا أستطيع تناولها."

- "ماذا؟ لماذا؟"

- "أنا مُحَسَّسة..."

- "أنتِ؟ ساحرة؟"

- "أنا أعاني من حساسية!" شهقت بيأسٍ عاجزٍ وغضبٍ يائس. "لطالما كنتُ كذلك! لا أستطيع تحمل الإكسيرات! أستطيع معالجة الآخرين بها ولكن لا يمكنني معالجة نفسي إلا بالتمائم."

- "أين التميمة؟"

- "لا أعرف." صرَّت على أسنانها. "لا بد أنني تركتها في كاير مورهين. أو فقدتها..."

- "تبًا لذلك. ماذا سنفعل؟ ربما يجب أن تُلقي تعويذة على نفسك؟"

- "لقد حاولت. وهذه هي النتيجة. لا أستطيع التركيز بسبب هذا التشنج ..."

- "لا تبكي."

- "من السهل عليك أن تقول ذلك!"

نهضَ الساحر، وسحب أكياس سرجه من ظهر روش وبدأ في البحث فيها. تكورت تريس، وجهها مُنقبض وشفتيها ملتويتين في تشنج من الألم.

- "سيري ..."

- "نعم، تريس؟"

- "هل تشعرين بخير؟ لا ... أحاسيس غير عادية؟"

- هزت الفتاة رأسها.

- "ربما يكون تسممًا غذائيًا؟ ماذا أكلت؟ لكننا جميعًا أكلنا نفس الشيء ... جيرالت! اغسل يديك. تأكد من أن سيري تغسل يديها ..."

- "اهدئي. اشربي هذا."

- "ما هذا؟"

- "أعشاب مهدئة عادية. لا يوجد سحرٌ فيها تقريبًا لذا لا ينبغي أن تُسبب لكِ أي ضرر. وستُخفف التشنجات."

- "جيرالت، التشنجات ... لا شيء. لكن إذا ارتفعت درجة حرارتي ... قد يكون ... زحارًا. أو حمى التيفوئيد."

- "ألستِ محصنة؟"

أدارت تريس رأسها بعيدًا دون إجابة، عضت شفتها وتكورت بإحكام أكبر. لم يُلاحق الساحر السؤال.

بعد أن سمحوا لها بالراحة لفترة، حملوا الساحرة على سرج روش. جلس جيرالت خلفها، يدعمها بكلتا يديه، بينما ركبت سيري بجانبهم، ممسكةً بزمام الفرس وتقود فرس تريس. لم يتمكنوا حتى من قطع ميل واحد. استمرت الساحرة في السقوط من بين يدي جيرالت؛ لم تستطع البقاء في السرج. فجأة بدأت ترتجف بشكل تشنجي، واشتعلت على الفور بحمى. تفاقم التهاب المعدة. قال جيرالت لنفسه إنه كان رد فعل تحسسي لآثار السحر في إكسير الساحر. قال لنفسه ذلك. لكنه لم يصدقه.

- "أوه، يا سيدي، لم تأتِ في وقتٍ مناسب. في الواقع، لم يكن بإمكانك الوصول في لحظة أسوأ."

كان الرقيب على حق. لم يستطع جيرالت الاعتراض عليه أو الجدال معه.

كانت القلعة التي تحرس الجسر، حيث كان يوجد عادةً ثلاثة جنود، وصبي إسطبل، وجابي رسوم، وفي أقصى تقدير - عدد قليل من المارة، تعج بالناس. أحصى الساحر أكثر من ثلاثين جنديًا مسلحًا تسليحًا خفيفًا يرتدون ألوان كايدوين وخمسين حامل دروع جيدًا، مُخيّمين حول الحاجز المنخفض. كان معظمهم مستلقيًا بجانب النيران، تمشيًا مع قاعدة الجندي القديمة التي تنص على أنك تنام عندما تستطيع وتنهض عندما تستيقظ. يمكن رؤية نشاط كبير من خلال البوابات المفتوحة على مصراعيها - كان هناك الكثير من الناس والخيول داخل القلعة أيضًا. في أعلى برج المراقبة الصغير المائل، كان جندیان في الخدمة، مع أقواسهم ونشابهم جاهزة دائمًا. على الجسر البالي الذي دُكَّ بأقدام الخيول، كانت ست عربات لفلاحين وعربتين تجاريتين متوقفة في الحظيرة، بينما كانت رؤوس الثيران مُنخفضة بحزن فوق الطين والسماد، وواقفةً أعدادٌ لا حصر لها من الثيران غير المربوطة.

"كان هناك هجوم على القلعة - الليلة الماضية." توقع الرقيب سؤاله. "لقد وصلنا في الوقت المناسب مع قوات الإغاثة - وإلا لما وجدنا هنا سوى أرضٍ مُتفحمة."

- "من هم مهاجموك؟ قطاع طرق؟ مُغيرون؟"

هز الجندي رأسه، وبصق ونظر إلى سيري وتريس، مُحتشدين في السرج. "ادخل،" قال، "ساحرتكِ ستسقط من سرجها في أي لحظة الآن. لدينا بالفعل بعض الجرحى هناك؛ واحدٌ آخر لن يُحدث فرقًا كبيرًا."

في الفناء، في ملجأ مفتوح ومسقوف، كان يرقد عدة أشخاص جروحهم مُضمدة بضمادات ملطخة بالدماء. أبعد قليلاً، بين سياج الحاجز وبئر خشبي ذي ذراع، رأى جيرالت ستة جثث لا تزال ملفوفة في خيش لم تظهر منها سوى أزواج من الأقدام في أحذية بالية متسخة.

"ضعها هناك، بجانب الجرحى." أشار الجندي إلى الملجأ. "يا سيدي، إنه حقًا لسوء الحظ أنها مريضة. أصيب عدد قليل من رجالنا خلال المعركة ولن نرفض القليل من المساعدة السحرية. عندما سحبنا السهم من أحدهم، علق رأسه في أحشائه. سيَذبلُ الشابُ بحلول الصباح، سيَذبلُ كأي شيء ... والساحرة التي كان بإمكانها إنقاذه تتقلب وتتلوى بحمى وتطلب المساعدة منا. وقتٌ عصيب، أقول، وقتٌ عصيب ..."

توقف، ورأى أن الساحر لم يستطع أن يرفع عينيه عن الجثث الملفوفة بالخيش.

"حارسان من هنا، اثنان من قوات الإغاثة لدينا واثنان ... اثنان من الآخرين،" قال، ساحبًا زاوية من المادة الصلبة. "ألقِ نظرة، إذا كنت ترغب في ذلك."

- "سيري، ابتعدي."

"أريد أن أرى أيضًا!" انحنت الفتاة من حوله، تحدق في الجثث وفمها مفتوح.

- "ابتعدي، من فضلك. اعتني بتريس."

نفخت سيري، على مضض، لكنها أطاعت. اقترب جيرالت.

"إلفي!" لاحظ، ولم يُخف دهشته.

"نعم إلفي" أكد الجندي. "سكويا'تايل."

- "من؟"

- "سكويا'تايل،" كرر الجندي. "عصابات الغابة."

- "إسم غريب. يعني "السناجب"، إذا لم أكن مخطئًا؟"

"نعم، يا سيدي. السناجب. هذا ما يسمون أنفسهم به بلغة الإلف. يقول البعض أن ذلك لأنهم يرتدون أحيانًا ذيول السناجب على قبعاتهم المصنوعة من الفرو. ويقول آخرون لأنهم يعيشون في الغابات ويأكلون المكسرات. إنهم يُصبحون أكثر إزعاجًا، أقول لك."

هز جيرالت رأسه. غطى الجندي الجثث مرة أخرى ومسح يديه على سترته.

"هيا،" قال. "لا فائدة من الوقوف هنا. سأوصلك إلى القائد. سيعتني عريفنا بمريضتك إذا استطاع. إنه يعرف كيفية كيّ الجروح وخياطتها وتجبير العظام، لذلك ربما يعرف

كيفية خلط الأدوية وما إلى ذلك أيضًا. إنه شاب ذكي، من سكان الجبال. هيا، أيها الساحر."

في كوخ جابي الرسوم المظلم والمدخن، كانت تجري نقاشات حيوية وصاخبة. كان فارس ذو شعر قصير يرتدي درعًا وسترة صفراء يصرخ في وجه تاجرين وحاكم، يشاهدهما جابي الرسوم، الذي كان لديه تعبير غير مبالٍ، كئيب نوعًا ما، ورأسه ملفوف بضمادات.

"قلتُ، لا!" ضرب الفارس قبضته على الطاولة المهترئة ووقف منتصبًا، مُعدّلاً طوقه على صدره. "حتى تعود الدوريات، لن تذهبوا إلى أي مكان! لن تجوبوا الطرق السريعة!"

"عليَّ أن أكون في ديفون في يومين!" صرخ الحاكم، مُدفعًا بعصا قصيرة مُسننة عليها رمزٌ مختوم تحت أنف الفارس. "لديّ حمولةٌ لأقودها! سيقطعُ الخازنُ رأسي إذا تأخرتُ! سأشكو إلى الفويفود!"

"امضِ واشْكُ،" سخر الفارس. "لكني أنصحك بتبطين سروالك بالقش قبل أن تفعل ذلك لأن الفويفود يستطيع أن يُوجعَ المؤخرةَ بشكلٍ كبير. ولكن في الوقت الحالي أنا آمر هنا - الفويفود بعيدٌ وخازنك لا يعني لي أكثر من كومة روث. يا أونيست! من الذي تُحضره هنا، أيها الرقيب؟ تاجرٌ آخر؟"

"لا،" أجاب الرقيب على مضض. "ويتشر يا سيدي يُدعى جيرالت من ريفيا."

لدهشة جيرالت، ابتسم الفارس ابتسامة عريضة، واقترب ومد يده للتحية.

- "جيرالت من ريفيا،" كرر، ولا يزال محتفظاً بابتسامته "لقد سمعتُ عنك، وليس فقط من الثرثرة والإشاعات. ما الذي أتى بك إلى هنا؟"

شرح جيرالت ما الذي أتى به إلى هنا. اختفت ابتسامة الفارس.

- "لم تأتِ في وقتٍ مناسب. أو إلى مكانٍ مناسب. نحن في حرب هنا، أيها الويتشر. عصابة من سكويا'تايل تقوم بجولات وكانت هناك مناوشة بالأمس. أنا أنتظر هنا لقوات الإغاثة ثم سنبدأ هجومًا مضادًا."

- "أأنت تُقاتل الإلفيين؟"

- "ليس الإلفيين فقط! هل من الممكن؟ ألم تسمع، أيها الويتشر، عن السناجب؟"

- "لا. لم أفعل."

- "أين كنتَ خلال العامين الماضيين؟ وراء البحار؟ هنا، في كايدوين، تأكدت سكويا'تايل من أن الجميع يتحدث عنهم، لقد اهتموا بذلك بشكل جيد للغاية. ظهرت العصابات الأولى بعد اندلاع الحرب مع نيلفجارد مباشرة. استغل غير البشر الملعونون صعوباتنا. كنا نقاتل في الجنوب وبدأوا حملة حرب عصابات في مؤخرتنا. لقد اعتمدوا على هزيمة النيلفجارد لنا، وبدأوا يُعلنون أنها نهاية حكم البشر وستكون هناك عودة إلى النظام القديم. "البشر إلى البحر!" هذه هي صرختهم، وهم يقتلون ويحرقون وينهبون!"

- "هذا خطؤكم ومُشكلتكم،" علق الحاكم بكآبة، وهو ينقر على فخذه بالعصا المُسننة، وهي علامة على منصبه. "أنتم، وجميع النبلاء والفرسان الآخرين. أنتم الذين اضطهدتم غير البشر، ولم تسمحوا لهم بطريقة حياتهم، والآن تدفعون ثمن ذلك. بينما كنا ننقل البضائع دائمًا بهذه الطريقة ولم يوقفنا أحد. لم نكن بحاجة إلى جيش."

- "لايصح إلا الصحيح،" قالها أحد التجار الذين كانوا جالسين بصمت على مقعد. - --
- "السناجب ليسوا أكثر شراسة من قطاع الطرق الذين كانوا يجوبون هذه الطرق. ومن الذي تولى الإلف أولاً؟ قطاع الطرق!"

- "لا يهمني إذا كان قاطع طريق أو إلفي سيُمررني بسهم من خلف بعض الأدغال؟" قال جابي الرسوم ذو الرأس المُضمّد فجأة. "القش، إذا اشتعلت فيه النيران فوق رأسي في الليل، يحترق بنفس الطريقة. ما الفرق فيمن أشعل النار؟ تقول، يا سيدي، إن سكويا'تايل ليسوا أسوأ من قطاع الطرق؟ أنت تكذب. أراد قطاع الطرق الغنائم، لكن الإلف يسعون إلى دم البشر. ليس لدى الجميع دوقات، لكن لدينا جميعًا دم يجري في عروقنا. تقول إنها مُشكلة النبلاء، أيها الحاكم؟ هذا حماقة أكبر. ماذا عن الحطابين الذين أُطلق عليهم الرصاص في الخلاء، وصانعي القطران الذين قُطِّعوا إربًا في أشجار الزان، والفلاحين اللاجئين من القرى المُحترقة، هل آذوا غير البشر؟ لقد عاشوا وعملوا معًا، كجيران، وفجأة حصلوا على سهم في الظهر ... وأنا؟ لم أؤذِ في حياتي غير بشر وانظر، رأسي مفتوح بفأس قزم. ولولا الجنود الذين تتذمر منهم، لكنتُ مُلقى تحت شبر من العشب".

- "بالضبط!" ضرب الفارس ذو السترة الصفراء قبضته على الطاولة مرة أخرى. "نحن نحمي جلدك العفن، أيها الحاكم، من هؤلاء، كما تسميهم، الإلف المضطهدين، الذين، على حد قولك، لم ندعهم يعيشون. لكنني سأقول شيئًا مختلفًا - لقد شجعناهم أكثر من اللازم. لقد تسامحنا معهم، عاملناهم كبشر، كمتساوين والآن يطعنوننا في الظهر. نيلفجارد تدفع لهم مقابل ذلك، أراهن بحياتي أن الإلف المتوحشون من الجبال يُزوِّدونهم بالأسلحة. لكن دعمهم الحقيقي يأتي من أولئك الذين عاشوا دائمًا بيننا - من

الإلف، وأنصاف الإلف، والأقزام، والنوم، والهالفلينغ. هم الذين يُخبئونهم، ويُطعمونهم، ويُزوِّدونهم بالمتطوعين - "

- "ليس كلهم،" قال تاجر آخر، نحيف، ذو وجه رقيق ونبيل - لا يشبه بأي حال من الأحوال ملامح التاجر النموذجية. "غالبية غير البشر يُدينون هؤلاء السناجب، يا سيدي، ولا يريدون أي علاقة بهم. غالبيتهم مخلصون، ويدفعون أحيانًا ثمنًا باهظًا لهذا الإخلاص. تذكر عمدة بان آرد. كان نصف جنيٍّ يحث على السلام والتعاون. قتله سهمُ قاتل."

- "لا شك أنَّه موجَّهٌ من جار، ربما من بعضُ هالفلينغ أو قزمٍ يدعى أيضًا الولاء،" سخر الفارس. "إذا سألتني، لا أحد منهم مخلص! كل واحد منهم - مهلا هناك! من أنت؟"

جال جيرالت بنظره حوله: كانت سيري تقف خلفه مباشرةً، تُلقي بعينيها الزمرديتين الكبيرتين على الجميع، فيما يتعلق بقدرتها على التحرك بصمت، فقد أحرزتْ تقدمًا هائلاً بوضوح.

- "إنها معي"، أوضح جيرالت.

- "هممم..."، قيّم الفارس سيري بنظرة ثم التفت إلى التاجر ذو الوجه النبيل، معتبرًا إياه بوضوح الشريك الأكثر جدية في النقاش. "نعم، يا سيدي، لا تحدثني عن غير البشر الموالين. إنهم جميعًا أعداؤنا، لكن البعض منهم أفضل من غيرهم في التظاهر بخلاف ذلك. عاش أنصاف البشر والأقزام والغنوم بيننا لقرون - في نوعٍ من الانسجام، على ما يبدو. ولكن يكفي أن يرفع الإلف رؤوسهم، وسيمسك الآخرون أسلحتهم وينطلقون إلى الغابات أيضًا. أقول لك، كان من الخطأ التسامح مع الإلفيين الأحرار والدرياد، مع غاباتهم ومعاقلهم الجبلية. لم يكن ذلك كافيًا لهم، والآن يصرخون: "إنه عالمنا!

ارحلوا، أيها الغرباء!". بحق الآلهة، سنريهم من سيرحل، ومن أي عرق ستمحى آثاره. لقد ضربنا جلود النيلفجارديين والآن سنفعل شيئًا بشأن هذه العصابات المارقة".

- "ليس من السهل القبض على الإلف في الغابة"، قال الويتشر. "وهل أنطلق خلف غنوم أو قزم في الجبال، ما هو حجم هذه الوحدات؟"

- "عصابات"، صحح الفارس. "إنها عصابات، أيها الساحر. يمكن أن يصل عددها إلى مائة رأس، وأحيانًا أكثر. يطلقون على كل مجموعة اسم "كوماندو". إنها كلمة مقتبسة من الغنوم. وقولك إنه من الصعب القبض عليهم صحيح. من الواضح أنك محترف. مطاردتهم في الغابات والأدغال لا معنى لها. الطريقة الوحيدة هي قطع إمداداتهم، عزلهم، تجويعهم. القبض بحزم على غير البشر الذين يساعدونهم من رقابهم. أولئك من المدن والمستوطنات والقرى والمزارع..."

- "المشكلة هي"، قال التاجر ذو الملامح النبيلة، "أننا ما زلنا لا نعرف أي من غير البشر يساعدهم وأيهم لا يساعدهم".

- "إذن علينا أن نقبض عليهم جميعًا!"

- "آه"، ابتسم التاجر. "أفهم. لقد سمعت ذلك في مكان ما من قبل. القبض على الجميع من رقابهم ورميهم في المناجم، في معسكرات مغلقة، في المحاجر. الجميع. الأبرياء أيضًا. النساء والأطفال. أهذا صحيح؟"

رفع الفارس رأسه وضرب بيده على مقبض سيفه.

- "هذا صحيح، ولا طريق آخر!"، قال بحدة. "تشفق على الأطفال ولكنك مثل طفل في هذا العالم، أيها السيد العزيز. الهدنة مع نيلفجارد هشة للغاية، مثل قشرة البيضة.

إذا لم يكن اليوم فقد تبدأ الحرب من جديد غدًا، وأي شيء يمكن أن يحدث في الحرب. إذا هزمونا، فما الذي تظن أنه سيحدث؟ سأقول لك ما سيحدث - ستخرج عصابات الإلف من الغابات، ستخرج قوية وعديدة وهذه "العناصر الموالية لها" ستنضم إليها على الفور. هؤلاء الأقزام الموالون لك، أنصاف البشر الأصدقاء لك، هل تظن أنهم سيتحدثون عن السلام، عن المصالحة حينئذٍ؟ لا، يا سيدي. سيمزقون أمعاءنا. ستتعامل نيلفجارد معنا من خلال أيديهم. وسيغرقوننا في البحر، كما يعدون. لا، يا سيدي، يجب ألا نتساهل معهم. إما هم أو نحن. لا يوجد طريق ثالث!"

أصدر باب الكوخ صوتاً ووقف فيه جندي يرتدي مئزرًا ملطخًا بالدماء على عتبة الباب.

- "سامحوني على إزعاجكم"، قال بصوت أجش. "أي منكم، أيها السادة النبلاء، هو الذي أحضر هذه المرأة المريضة إلى هنا؟"

- "أنا "، قال الويتشر. "ماذا حدث؟"

- "تعال معي، من فضلك."

خرجوا إلى الفناء.

- "لا يبدو الأمر جيدًا معها، يا سيدي"، قال الجندي، مشيرًا إلى تريس. "ماء نار بالفلفل والملح الصخري أعطيتها إياه - لكنه لم ينفع. لا أفهم حقًا..."

لم يعلق جيرالت لأنه لم يكن هناك ما يقوله. كانت الساحرة، منحنية، دليلًا واضحًا على أن ماء النار بالفلفل والملح الصخري لم يكن شيئًا تستطيع معدتها تحمله.

- "قد يكون نوعًا من الطاعون". عبس الجندي. "أو ذاك، ما اسمه... زينتري. إذا كان سينتشر بين رجالنا..."

- "إنها ساحرة"، احتج الويتشر. "السحرة لا يمرضون..."

- "هذا صحيح"، أضاف الفارس الذي تبعهم بسخرية. "أما خاصتك، كما أرى، فتشع صحة جيدة. جيرالت، استمع إلي. المرأة بحاجة إلى مساعدة ولا يمكننا تقديم مثل هذه المساعدة. ولا يمكنني المخاطرة بانتشار وباء بين قواتي. أنت تفهم."

- "أفهم. سأغادر على الفور. ليس لدي خيار، يجب أن أعود إلى دايفون أو آرد كاراغ".

- "لن تصل بعيدًا. دوريات لديها أوامر بتوقيف الجميع. إلى جانب ذلك، الأمر خطير. ذهب السكوياتايل في ذلك الاتجاه بالضبط."

- "سأتدبر الأمر."

- "مما سمعت عنك" - لوى الفارس شفتيه - "لا شك لدي في أنك ستفعل. لكن تذكر أنك لست وحدك. لديك امرأة مريضة للغاية على كتفيك وهذا الوغد..."

رفعت سيري، التي كانت تحاول تنظيف حذائها الملطخ بالروث على درجة سلم، رأسها. نظف الفارس حلقه ونظر إلى الأسفل. ابتسم جيرالت باهتة. على مدى العامين الماضيين، كادت سيري تنسى أصولها وفقدت تقريبًا آدابها وأجوائها الملكية، لكن نظرتها، عندما أرادت، كانت تشبه إلى حد كبير نظرة جدتها. لدرجة أن الملكة كالانثي كانت بلا شك فخورة بحفيدتها.

- "بيبيه، ماذا كنت أقول..."، تمتم الفارس، وهو يسحب حزامه بإحراج. "جيرالت، يا سيدي، أعرف ما عليك فعله. اعبر النهر، جنوبًا. ستلحق بقافلة تتبع الطريق. الليل على وشك أن يحل ومن المؤكد أن القافلة ستتوقف للراحة. ستصل إليها بحلول الفجر."

- "أي نوعٍ من القوافل؟"

-"لا أعرف". هز الفارس كتفيه. "لكنها ليست قافلة تجارية أو قافلة عادية. إنها منظمة للغاية، جميع العربات متشابهة، جميعها مغطاة..."

...لا شك أنها قافلة تابعة لحاجب ملكي. سمحتُ لهم بعبور الجسر لأنهم يتبعون الطريق جنوبًا، على الأرجح نحو المخاضات على نهر ليكسيلا."

-"هممم..."، فكر الساحر في هذا، ناظرًا إلى تريس. "سيكون ذلك في طريقي. لكن هل سأجد مساعدة هناك؟"

- "ربما نعم"، قال الفارس ببرود. "ربما لا. لكنك لن تجدها هنا، هذا مؤكد."

لم يسمعوا أو يروه وهو يقترب، مستغرقين في الحديث، جالسين حول نار المخيم التي أضاءت بضوئها الأصفر جثةً قماش العربات المصفوفة في دائرة. رفع جيرالت فرسه بلطف وأجبرها على الصهيل بصوت عالٍ. أراد تحذير القافلة، التي أقامت معسكرًا لليل، وأراد تخفيف مفاجأة وجود زوار وتجنب رد فعل عصبي. كان يعلم من الخبرة أن آليات إطلاق النشاب لا تحب الحركات العصبية.

قفز المخيمون، وعلى الرغم من تحذيره، قاموا بحركات مضطربة عديدة. رأى على الفور أن معظمهم من الأقزام. هذا طمأنه إلى حد ما - فالأقزام، على الرغم من غضبهم الشديد، عادةً ما يطرحون الأسئلة أولاً في مواقف كهذه ثم يصوبون النشاب.

- "من هناك؟" صرخ أحد الأقزام بصوت أجش وبحركة سريعة ونشطة، انتزع فأسًا من جذع بجوار نار المخيم. "من يذهب هناك؟"

- "صديق." ترجل الويتشر.

- "أتساءل لمن"، زمجر القزم. "اقترب. ارفع يديك حتى نراها."

اقترب جيرالت، رافعًا يديه حتى يتمكن من رؤيتها حتى شخص مصاب بالرمد أو العمى الليلي.

- "اقترب أكثر."

أطاع. خفض القزم فأسه وأمال رأسه قليلاً.

- "إما أن عينيّ تخدعانني أو أنه الويتشر جيرالت من ريفيا. أو شخص يشبهه اللعنة."

اشتعلت النيران فجأة، وانفجرت بضوء ذهبي استخرج الوجوه والأشكال من الظلام.

- "ياربن زيغرين"، أعلن جيرالت مندهشًا. "لا أحد غير ياربن زيغرين شخصيًا، كاملًا مع لحيته!"

"ها!" لوح القزم بفأسه كما لو كانت غصنًا من الصفصاف. دار النصل في الهواء وقطع جذعًا بصوت مكتوم. "أوقفوا الإنذار! هذا حقًا صديق!"

استرخت المجموعة المتبقية بشكل واضح، واعتقد جيرالت أنه سمع تنهيدات عميقة من الارتياح. صعد القزم إليه، ممسكًا بيده. كانت قبضته تنافس بسهولة زوجًا من كماشات حديدية.

- "مرحبًا بك، أيها الويتشر"، قال. "أينما أتيت وأينما تذهب، مرحبًا بك. أيها الشباب! هنا! أتتذكر هؤلاء الشباب أيها الويتشر؟ هذا يانيك براس، وهذا كزافييه موران، وهنا باولي دالبرج وأخوه ريغان."

لم يتذكر جيرالت أيًا منهم، بالإضافة إلى أنهم جميعًا بدوا متشابهين، ملتحين، ممتلئين، مربعين عمليًا في ستراتهم السميكة المبطنة.

"كان هناك ستة منكم"، ضغط واحدًا تلو الآخر على الأيدي الصلبة والعقدية المعروضة عليه، "إذا كنت أتذكر بشكل صحيح."

"لديك ذاكرة جيدة"، ضحك ياربن زيغرين. "كان هناك ستة منا بالفعل. لكن لوكاس كورتو تزوج، واستقر في ماهاكام وترك الشركة، ياله من أحمق غبي. بطريقة ما لم نتمكن من العثور على أي شخص جدير بمكانه حتى الآن. يا للأسف، ستة هو العدد المناسب، ليس كثيرًا جدًا، وليس قليلًا جدًا. لأكل عجل، وشرب برميل، لا يوجد شيء مثل ستة..."

"كما أرى"، أومأ جيرالت برأسه مشيرًا إلى بقية المجموعة الواقفة مترددة بجوار العربات، "هناك ما يكفي منكم هنا لإدارة ثلاثة عجول، ناهيك عن كمية من الدواجن. ما هي هذه العصابة التي تقودها، ياربن؟"

"أنا لست المسؤول. اسمح لي أن أقدمك. سامحني، وينك، لعدم القيام بذلك على الفور، لكنني وأولادي نعرف جيرالت من ريفيا منذ فترة طويلة - لدينا عدد لا بأس به من الذكريات المشتركة. جيرالت، هذا المفوض فيلفريد وينك، في خدمة الملك هينسلت من آرد كاراغ، الحاكم الرحيم لكايدوين."

كان فيلفريد وينك طويلًا، أطول من جيرالت وتقريبًا ضعف طول القزم. كان يرتدي ملابس عادية وبسيطة مثل تلك التي يرتديها الحاجبون أو المراسلون المثبتون، ولكن كان هناك حدة في حركاته، وصلابة وثقة عرفها الساحر ويمكنه التعرف عليها بلا أخطاء، حتى في الليل، حتى في الضوء الضئيل لنار المخيم. هكذا يتحرك الرجال الذين اعتادوا على ارتداء الدروع والأحزمة المثقلة بالأسلحة. كان وينك جنديًا محترفًا. كان جيرالت على استعداد للمراهنة بأي مبلغ على ذلك. صافح اليد المعروضة وانحنى قليلاً.

- "هيا نجلس." أشار ياربن إلى الجذع الذي لا يزال فأسه القوي مغروسًا فيه. "أخبرنا ماذا تفعل في هذا الحي، جيرالت."

- "أبحث عن مساعدة. أنا أسافر في مجموعة من ثلاثة أفراد مع امرأة وشاب. المرأة مريضة. مريضة للغاية. لحقت بكم لأطلب المساعدة."

- "اللعنة، ليس لدينا طبيب هنا." بصق القزم على جذوع التسمية. "أين تركتموهم؟"

- "على بعد نصف فورلونغ من هنا، على جانب الطريق."

- "أنت تقود الطريق. أنتم هناك! ثلاثة خيول سرجوها من الخيول الاحتياطية! جيرالت، هل ستتحمل امرأتك المريضة البقاء على السرج؟"

- "ليس حقًا. لهذا السبب اضطررت لتركها هناك."

- "أحضروا جلد الغنم، والقماش، وعمودين من العربة! بسرعة!"

صرخ فيلفريد وينك، واضعًا ذراعيه، بصوت عالٍ.

- "نحن على الطريق"، قال ياربن زيغرين بحدة، دون النظر إليه. "لا ترفض المساعدة على الطريق."

* * *

- "تبًا!" أزال ياربن كفه عن جبين تريس. "إنها محمومة كفرن. لا يعجبني هذا. ماذا لو كانت مصابة بحمى التيفوئيد أو الزحار؟"

- "لا يمكن أن يكون السبب حمى التيفوئيد أو الزحار،" كذب جيرالت بإقناع، وهو يلفُّ أغطية الخيل حول المرأة المريضة. "السحرة لديهم مناعة ضد هذه الأمراض. إنه تسمم غذائي، لا شيء معدٍ."

- "همم... حسنًا، لا بأس. سأبحث في الحقائب. كان لديّ بعض الأدوية الجيدة للإسهال، ربما لا يزال هناك القليل منها."

"سيري،" تمتم الويتشر، وهو يناولها جلد خروف غير مربوط من الحصان، "اذهبي للنوم، بالكاد تقفين على قدميك. لا، ليس في العربة. سنضع تريس في العربة. استلقي بجوار النار."

"لا،" احتجت بهدوء، وهي تشاهد القزم يبتعد. "سأستلقي بجوارها. عندما يرونك تبعدني عنها، لن يصدقوك. سيعتقدون أنه معدٍ ويطردوننا، مثل الجنود في الحصن."

- "جيرالت؟" تأوهت تريس فجأة. "أين... نحن؟"

- "بين الأصدقاء."

- "أنا هنا،" قالت سيري، وهي تمسح على شعرها الكستنائي. "أنا بجانبك. لا تخافي. أتشعرين بالدفء هنا؟ نار المخيم مشتعلة وقزم سيحضر للتو بعض الدواء لـ... لمعدتك."

- "جيرالت،" شهقت تريس، وهي تحاول أن تفك نفسها من الأغطية. "لا... لا جرعات سحرية، تذكر..."

- "أتذكر. استلقي بسلام."

- "عليّ أن... يااااه..."

انحنى الويتشر دون كلمة، وحمل الساحرة مع شرنقتها من أغطية وأردية، وسار إلى الغابة، إلى الظلام. تنهدت سيري.

التفتت، فسمعت نهجانًا ثقيلاً. خلف العربة ظهر القزم، يحمل حزمة كبيرة تحت ذراعه. تألقت شعلة نار المخيم على نصل الفأس خلف حزامه؛ كما تألقت المسامير على سترته الجلدية الثقيلة.

- "أين المريضة؟" زمجر. "طارت على عصا مكنسة؟"

أشارت سيري إلى الظلام.

- "صحيح." أومأ القزم. "أعرف الألم وعرفت نفس الشكوى البغيضة. عندما كنت أصغر سنًا، كنت آكل كل ما تمكنت من العثور عليه أو اصطياده أو قطعه، لذلك أصبت بالتسمم الغذائي مرات عديدة. من هي، هذه الساحرة؟"

- "تريس ميريغولد."

- "لا أعرفها، لم أسمع بها من قبل. نادرًا ما أتعامل مع الإخوان على أي حال. حسنًا، ولكن من الأدب أن يعرف المرء بنفسه. اسمي ياربن زيغرين. وما اسمكِ، أيتها الوزة الصغيرة؟"

- "شيء آخر غير الوزة الصغيرة،" زمجرت سيري بنظرة حادة في عينيها.

ضحك القزم وكشف عن أسنانه.

- "آه." انحنى بمبالغة. "أطلب عفوك. لم أتعرف عليكِ في الظلام. هذه ليست وزة بل سيدة نبيلة. أنا أقع عند قدميكِ. ما هو اسم السيدة الشابة، إذا لم يكن سرًا؟"

- "ليس سرًا. أنا سيري."

- "سيري. أها. ومن هي السيدة الشابة؟"

"هذا،" رفعت سيري أنفها بفخر، "سر."

شخر ياربن مرة أخرى.

"لسان السيدة الشابة حاد كلسعة الزنبور. إذا تكرمت السيدة الشابة وسامحتني، فقد أحضرت الدواء وقليلًا من الطعام. هل ستقبله السيدة الشابة أم سترسل العجوز الوقح، ياربن زيغرين، بعيدًا؟"

- "أنا آسفة..." تراجعت سيري وخفضت رأسها. "تريس بحاجة حقًا إلى مساعدة، يا سيد... زيغرين. إنها مريضة جدًا. شكرًا لك على الدواء."

- "لا شيء." كشف القزم عن أسنانه مرة أخرى وربت على كتفها بود. "هيا، سيري، ساعديني. يجب تحضير الدواء. سنقوم بلف بعض الحبيبات وفقًا لوصفة جدتي. لا يوجد مرض يستقر في الأمعاء سيقاوم هذه الحبيبات."

فك الحزمة، وأخرج شيئًا يشبه قطعة من العشب ووعاء طيني صغير. اقتربت سيري، بدافع الفضول.

"يجب أن تعرفي، يا سيري،" قال ياربن، "أن جدتي كانت تعرف طبها بشكل لا يضاهى. لسوء الحظ، كانت تعتقد أن مصدر معظم الأمراض هو الكسل، والكسل يُشفى بشكل أفضل من خلال استخدام عصا. فيما يتعلق بي أنا وإخوتي، فقد استخدمت هذا العلاج بشكل رئيسي للوقاية. كانت تضربنا على أي شيء ولا شيء. كانت عجوزًا شريرة نادرة. وذات مرة، عندما أعطتني، من العدم، قطعة خبز مع دهن وسكر، كانت مفاجأة كبيرة لدرجة أنني أسقطتها في دهشة، وهي تتساقط. لذا أعطتني جدتي ضربًا، العجوزة الشريرة. ثم أعطتني قطعة خبز أخرى، ولكن بدون سكر."

- "جدتي،" أومأت سيري بتفهم، "ضربتني مرة أيضًا. بفرع شجرة."

- "فرع شجرة؟" ضحك القزم. "ضربتني جدتي ذات مرة بمقبض فأس. لكن يكفي من الذكريات، علينا أن نلف الحبيبات. هنا، قطعي هذا وشكليه على شكل كرات صغيرة."

- سيري: "ما هذا؟ إنه لزج وفوضوي... ياااااك... ما هذه الرائحة!"

-ياربن: "إنه خبز نخالة متعفن. دواء ممتاز. لفيه على شكل كرات صغيرة. أصغر، أصغر، إنه لساحر، وليس بقرة. أعطني واحدة. جيد. الآن سنقوم بلف الكرة في الدواء."

- سيري: "ياااااك!"

- ياربن: "أرائحته كريهة؟" قرّب القزم أنفه المقلوب من الوعاء الطيني. "مستحيل. فالثوم المهروس والملح المر لاينبغي أن تنبعث منهما رائحة كريهة، حتى لو كان عمرهما مائة عام."

- سيري: "إنها كريهة، ياااااااك. تريس لن تأكل هذا!"

- ياربن: "سوف نستخدم طريقة جدتي. أنتِ تعصرين أنفها وسأدفع الحبيبات إلى الداخل."

- همسَّ جيرالت وهو يظهر فجأة من الظلام حاملاً الساحرة بين ذراعيه: "ياربن، انتبه وإلا سأدهسك."

- ياربن: "إنه دواء!" استاء القزم. "إنه يساعد! عفن، ثوم..."

- "نعم،" تأوهت تريس بضعف من أعماق شرنقتها. "صحيح... جيرالت، من المفترض حقًا أن يساعد..."

- "أترى؟" دفع ياربن جيرالت بمرفقه، رافعًا لحيته بفخر وأشار إلى تريس، التي ابتلعت الحبيبات بتعبير مستشهد. "ساحرة حكيمة. تعرف ما هو جيد لها."

- "ما الذي تقولينه، ياتريس؟" انحنى الويتشر. "آه، فهمت. ياربن، هل لديك أي أنجليكا؟ أو زعفران؟"

- "سألقي نظرة، وأسأل من حولي. لقد أحضرت لك بعض الماء وقليلًا من الطعام-"

- "شكرًا لك. لكن كلاهما يحتاج إلى الراحة قبل كل شيء. سيري، استلقي."

- "سأقوم بعمل كمادة لتريس"

- "سأفعل ذلك بنفسي. ياربن، أريد التحدث معك."

- "تعال إلى النار. سنفتح قنينة"

- "أريد التحدث معك. لا أحتاج إلى جمهور. على العكس تمامًا."

- "بالطبع. أنا أستمع."

- "ما نوع هذا الموكب؟"

- رفع القزم عينيه الصغيرتين الثاقبتين إليه. "في خدمة الملك،" قال ببطء وتأكيد.

- "هذا ما اعتقدته." ثبت الساحر نظره عليه. "ياربن، أنا لا أسأل من باب الفضول غير المناسب."

- "أعرف. وأعرف أيضًا ما تعنيه. لكن هذا الموكب... همم... خاص."

- "إذن ما الذي تنقله؟"

- "سمك مملح،" قال ياربن عرضًا، وشرع في تزيين كذبه دون أن يطرف له جفن. "علف، أدوات، سروج، أشياء مختلفة للجيش. وينك هو مسؤول تموين لجيش الملك."

- "إذا كان هو مسؤول تموين فأنا كاهن،" ابتسم جيرالت. "لكن هذا شأنك - أنا لا أتطفل على أسرار الآخرين. لكن يمكنك أن ترى الحالة التي عليها تريس. دعنا ننضم إليكم، ياربن، دعنا نضعها في إحدى العربات. لبضعة أيام فقط. أنا لا أسأل إلى أين أنتم ذاهبون لأن هذا الطريق يتجه مباشرة إلى الجنوب دون تفرع حتى بعد ليكسيلا وهي رحلة عشرة أيام إلى ليكسيلا. بحلول ذلك الوقت ستنحسر الحمى وستكون تريس قادرة على ركوب حصان. وحتى لو لم تكن كذلك فسأتوقف في مدينة ما بعد النهر. عشرة أيام في عربة، مغطاة جيدًا، طعام ساخن... من فضلك."

- "أنا لا أعطي الأوامر هنا. وينك يفعل."

- "لا أعتقد أنك تفتقر إلى النفوذ عليه. ليس في موكب يتكون في المقام الأول من الأقزام. بالطبع يجب أن يضعك في اعتباره."

- "من هي تريس بالنسبة لك؟"

- "ما الفرق في هذا الوضع؟"

- "في هذا الوضع، لا يوجد فرق. سألت من باب فضول غير مناسب تولد من رغبتي في إطلاق شائعات جديدة تدور في الحانات. ولكن مهما كان الأمر، أنت منجذب بشدة إلى هذه الساحرة، جيرالت."

ابتسم الويتشر بحزن.

- "والفتاة؟" أشار ياربن برأسه إلى سيري وهي تتململ تحت جلد الخروف. "لك؟"

- "لي،" أجاب دون تفكير. "لي يا زيغرين."

كان الفجر رماديًا، رطبًا، وتنبعث منه رائحة مطر الليل وضباب الصباح. شعرت سيري أنها لم تنم أكثر من بضع دقائق، كما لو أنها استيقظت في اللحظة التي وضعت فيها رأسها على الأكياس المكدسة على العربة.

كان جيرالت يقوم بتسكين تريس بجوارها، بعد أن أحضرها من حملة قسرية أخرى إلى الغابة. تألقت السجادات التي تلف الساحرة بالندى. كان لدى جيرالت هالات سوداء تحت عينيه. عرفت سيري أنه لم يغمض عينيه للحظة. كانت تريس تعاني من حمى طوال الليل وعانت كثيرًا.

- "هل أيقظتك؟ آسف. نامي، سيري. ما زال الوقت مبكرًا."

- "ما الذي يحدث مع تريس؟ كيف حالها؟"

- "أفضل،" تأوهت الساحرة. "أفضل، لكن... اسمع، جيرالت... أود أن..."

- "نعم؟" انحنى الويتشر لكن تريس كانت نائمة بالفعل. استقام، وتمطى.

- "جيرالت،" همست سيري، "هل سيسمحون لنا بالسفر في العربة؟"

- "سنرى." عض شفته. "نامي قدر ما تستطيعين. ارتاحي."

* * *

شخص قفز من العربة. سمعت سيري صوت تعبئة المخيم - خيول تصهل، أرسان تُقرِع، أعمدة تُصدر صريرًا، عوارض العربة تصطك، وكلام ولعنات. ثم، بالقرب، صوت ياربن زيغرين الأجش وصوت الرجل الهادئ المسمى وينك. والصوت البارد لجيرالت. رفعت نفسها ونظرت بحذر من خلف القماش.

- "ليس لديّ أي محظورات قاطعة في هذا الشأن،" صرح وينك.

- "ممتاز." أشرق القزم. "إذن الأمر محسوم؟"

رفع المفوض يده قليلاً، مشيرًا إلى أنه لم ينتهِ بعد. صمت للحظة، وانتظر جيرالت ويارين بصبر.

"مع ذلك،" قال وينك أخيرًا، "عندما يتعلق الأمر بالوصول الآمن لهذه القافلة، فرأسي على المحك."

قال مرة أخرى ولم ينطق بشيء. هذه المرة لم يقاطعه أحد. لم يكن هناك شك في الأمر - كان على المرء أن يعتاد على الفترات الطويلة بين الجمل عند التحدث مع المفوض.

"من أجل وصولها الآمن،" تابع بعد لحظة. "ومن أجل وصولها في الوقت المناسب. قد يؤدي الاهتمام بهذه المرأة المريضة إلى إبطاء المسيرة."

"نحن متقدمون على الموعد المحدد على الطريق،" أكد له يارين، بعد توقف كبير. "نحن متقدمون على الوقت، وينك، يا سيدي، لن نتخلف عن الموعد النهائي. أما بالنسبة للسلامة... لا أعتقد أن رفقة الساحر ستضر بذلك. يقود الطريق عبر الغابة مباشرة حتى ليكسيلا، وعلى اليمين واليسار توجد غابة برية. والشائعات تقول إن جميع أنواع المخلوقات الشريرة تجوب الغابة."

"بالفعل،" وافق المفوض. وهو ينظر مباشرة إلى الساحر، بدا وكأنه يزن كل كلمة على حدة. "يمكن للمرء أن يصادف بعض المخلوقات الشريرة في غابات كايدوين، التي حرضت عليها مؤخرًا مخلوقات شريرة أخرى. يمكن أن تعرض سلامتنا للخطر. الملك

هينسلت، مع علمه بذلك، خوّلني لتجنيد متطوعين للانضمام إلى مرافقتنا المسلحة. جيرالت؟ هذا من شأنه أن يحل مشكلتك."

استمر صمت الساحر لفترة طويلة، أطول من خطاب وينك بأكمله، على الرغم من أنه كان متقطعًا بفترات توقف منتظمة.

"لا،" قال أخيرًا. "لا، وينك. دعنا نوضح هذا الأمر. أنا على استعداد لسداد المساعدة المقدمة للسيدة ميريغولد، ولكن ليس بهذه الطريقة. يمكنني تنظيف الخيول، وحمل الماء والحطب، وحتى الطهي. لكنني لن أنضم إلى خدمة الملك كجندي. من فضلك لا تعتمد على سيفي. ليس لدي أي نية لقتل هؤلاء، كما تسميهم، المخلوقات الشريرة بأمر من مخلوقات أخرى لا أعتبرها أفضل حالًا."

سمعت سيري ياربن زيغرين يهمس بصوت عالٍ ويسعل في كمه المطوي. حدق وينك في الساحر بهدوء.

"أرى،" قال بجفاف. "أنا أحب المواقف الواضحة. حسنًا إذن. زيغرين، تأكد من أن سرعة تقدمنا لا تتباطأ. أما بالنسبة لك، جيرالت... أعرف أنك ستثبت أنك مفيد ومساعد بطريقة تراها مناسبة. سيكون من المهين لكلينا إذا اعتبرت حسن نيتي بمثابة مقابل للمساعدة المقدمة لامرأة تعاني. هل هي أفضل اليوم؟"

أومأ الساحر برأسه إيماءة بدت، لسيري، أعمق وأكثر تهذيبًا من المعتاد. لم يتغير تعبير وينك.

"هذا يسعدني،" قال بعد فترة توقف طبيعية. "بإركابي السيدة ميريغولد على متن عربة في موكبي، أتحمل مسؤولية صحتها وراحتها وسلامتها. زيغرين، أعط الأمر بالمسيرة."

"وينك."

"نعم، جيرالت؟"

"شكرًا لك."

أحنى المفوض رأسه، بشكل أعمق وأكثر تهذيبًا، على ما يبدو لسيري، من التهذيب المعتاد والشكلي المطلوب.

ركض ياربن زيغرين على طول العمود، يُصدر الأوامر والتعليمات بصوت عالٍ، وبعد ذلك صعد إلى صندوق سائق العربة، صرخ وضرب الخيول باللجام. اهتزت العربة واصطكت على طول طريق الغابة. أيقظت الصدمة تريس، لكن سيري طمأنتها وغيرت الكمادة على جبينها.

كان لخشخشة العربة تأثير منوم وسرعان ما نامت الساحرة. وغفت سيري أيضًا.

عندما استيقظت كانت الشمس مرتفعة بالفعل. نظرت من بين البراميل والحزم. كانت العربة التي كانت فيها في مقدمة الموكب. العربة التي تليها كان يقودها قزم يرتدي منديلًا أحمر مربوطًا حول رقبته. من المحادثات بين الأقزام، جمعت أن اسمه هو باولي دالبرغ. بجانبه يجلس أخوه ريغان. رأت أيضًا وينك يركب حصانًا، بصحبة اثنين من الحاجبين.

روتش، فرس جيرالت، المربوطة بالعربة، استقبلتها بصهيل هادئ. لم تستطع رؤية كستنائها في أي مكان أو فرس تريس الأسمر. لا شك أنهما كانا في الخلف، مع خيول الموكب الاحتياطية.

كان جيرالت جالسًا على صندوق سائق العربة بجوار ياربن. كانا يتحدثان بهدوء، يشربان البيرة من برميل موضوعٍ بينهما. صقلت سيري أذنيها لكنها سرعان ما شعرت بالملل - كان النقاش يدور حول السياسة وكان بشكل رئيسي حول نوايا وخطط الملك هينسلت، وبعض الخدمة الخاصة أو المهام المتعلقة بمساعدة جاره سرًا، الملك ديماوند من أيديرن، الذي كان مهددًا بالحرب. أبدى جيرالت اهتمامًا بكيفية مساهمة خمس عربات من السمك المملح في مساعدة دفاع أيديرن.

ياربن، متجاهلاً التهكم في صوت جيرالت، أوضح أن بعض أنواع الأسماك كانت قيّمة للغاية لدرجة أن عدد قليل من حمولات العربات يكفي لدفع شركة مدرعة لمدة عام، وكل شركة مدرعة جديدة كانت مساعدة كبيرة. فوجئ جيرالت بأن المساعدة يجب أن تكون سرية للغاية، فرد عليه القزم بأن هذا هو سبب كون السر سرًا.

تقلبت تريس في نومها، وألقت الكمادة وتحدثت بشكل غير واضح مع نفسها. طلبت من شخص يُدعى كيفين أن يُبقي يديه لنفسه، وبعد ذلك مباشرة أعلنت أنه لا يمكن تجنب القدر. أخيرًا، بعد أن ذكرت أن الجميع، على الإطلاق، متحولون إلى حد ما، سقطت في نوم هادئ.

شعرت سيري أيضًا بالنعاس لكنها استجمعت قواها بسبب ضحكة ياربن، حيث ذكّر جيرالت بمغامراتهما السابقة. هذه المغامرة تتعلق بصيد تنين ذهبي لم يسمح لنفسه بالاصطياد بل عدّ عظام الصيادين ثم أكل إسكافي يُدعى غوتمنتشر.

بدأت سيري تستمع باهتمام أكبر.

سأل جيرالت عما حدث للمُقطّعين لكن ياربن لم يعرف. كان ياربن، بدوره، فضوليًا بشأن امرأة تُدعى ينيفر، الأمر الذي جعل جيرالت غير متعاون بشكل غريب. شرب

القزم المزيد من البيرة وبدأ يشكو من أن ينيفر لا تزال تحمل له ضغينة على الرغم من مرور سنوات قليلة منذ تلك الأيام.

"صادفتها في السوق في غورز فيلين،" روى. "بالكاد لاحظتني - بصقت مثل قطة شرسة وأهانت والدتي الراحلة بشكل فظيع. هربت بكل ما أملك من قوة، لكنها صرخت خلفي أنها ستلحق بي يومًا ما وتجعل العشب ينبت من مؤخرتي."

ضحكت سيري، متخيلة ياربن مع العشب. تمتم جيرالت شيئًا عن النساء وطبيعتهن المندفعة - وهو ما اعتبره القزم وصفًا خفيفًا للغاية للخُبث والعناد والانتقام.

لم يتناول جيرالت الموضوع وغفت سيري مرة أخرى.

هذه المرة استيقظت على أصوات مرتفعة. صوت ياربن على وجه الدقة - كان يصرخ.

"أوه نعم! إذن أنت تعلم! هذا ما قررته!"

"اهدأ،" قال الويتشر بهدوء. "هناك امرأة مريضة في العربة. تفهم، أنا لا أنتقد قراراتك أو تصميماتك..."

"لا، بالطبع لا،" قاطعه القزم بسخرية. "أنت فقط تبتسم بعلم عنهم."

"ياربن، أنا أحذرك، كصديق لصديق: كلا الجانبين يحتقر أولئك الذين يجلسون على الحياد، أو على الأقل يعاملونهم بشك."

"أنا لا أجلس. أنا أعلن بوضوح أنني في أحد الجانبين."

"لكنك ستبقى دائمًا قزمًا بالنسبة لهذا الجانب. شخص مختلف. غريب. بينما بالنسبة للجانب الآخر..."

توقف.

"حسنًا!" زمجر ياربن وهو يدير وجهه. "حسنًا، هيا، ماذا تنتظر؟ نادني بالخائن والكلب المقاد بحفنة من الفضة وطبق من الطعام الرديء ومستعد لأن يُحرّض ضد أقاربه المتمردين الذين يقاتلون من أجل الحرية. حسنًا، هيا، ابصقها. أنا لا أحب التلميحات."

"لا، ياربن،" قال جيرالت بهدوء. "لا. لن أبصق أي شيء."

"آه، لن تفعل؟" حرّك القزم الخيول. "لا تشعر بذلك؟ أنت تفضل أن تحدق وتبتسم؟ ولا كلمة لي، أليس كذلك؟ لكن كان بإمكانك أن تقولها لوينك! 'من فضلك لا تعتمد على سيفي.' يا له من قول متعجرف ونبيل وفخور! ضع تعجرفك في مؤخرة كلب، وكبريائك اللعين معه!"

"أردت فقط أن أكون صادقًا. لا أريد أن أتورط في هذا الصراع. أريد أن أبقى محايدًا."

"مستحيل!" صرخ ياربن. "من المستحيل أن تبقى محايدًا، ألا تفهم ذلك؟ لا، أنت لا تفهم أي شيء. أوه، انزل من عربتي، اركب حصانك، واغرب عن وجهي، مع حيادك المتغطرس. أنت تستفزني."

أدار جيرالت وجهه. حبست سيري أنفاسها ترقبًا. لكن الساحر لم يقل كلمة واحدة. وقف وقفز من العربة، بسرعة ونعومة ورشاقة. انتظر ياربن حتى يفك حصانه من السلم، ثم حرّك خيوله مرة أخرى، مزمجرًا شيئًا غير مفهوم، بدا مرعبًا تحت أنفاسه.

نهضت لتنزل أيضًا، وتجد كستنائها. استدار القزم وحدق بها بعين مترددة.

"وأنتِ مجرد مصدر إزعاج أيضًا، أيتها السيدة الصغيرة،" شخر بغضب. "كل ما نحتاجه هو سيدات وفتيات، اللعنة. لا يمكنني حتى أن أتبول من الصندوق - عليّ أن أتوقف العربة وأذهب إلى الأدغال!"

وضعت سيري يديها على وركيها، وهزت هامشها الرمادي ورفعت أنفها. "أهذا صحيح؟" صرخت غاضبة. "اشرب بيرة أقل، زيغرين، ولن تضطر إلى ذلك!"

- "شرابي ليس من شأنكِ، أيتها الثرثارة!"

- "لا تصرخ، تريس نامت للتو!"

- "إنها عربتي! سأصرخ إذا أردت!"

- "يالك من قزم قصير!"

- "ماذا؟ أيتها الوقحة الوقحة!"

- "قزم!"

- "سأريكِ القزم... يا إلهي! ببررررر!"

انحنى القزم للخلف، وسحب اللجام في اللحظة الأخيرة، تمامًا كما كان الحصانان على وشك القفز فوق جذع شجرة يسد طريقهما. وقف ياربن في الصندوق، وهو يسب باللغتين البشرية والقزمية، ويصفر ويزأر، وأوقف العربة. ركض الأقزام والبشر على حد

سواء، قافزين من عرباتهم، وساعدوا في قيادة الخيول إلى الطريق الخالي، وسحبهم من رؤوسهم وأرسانهم.

"تغفو، أليس كذلك ياربن؟" زمجر باولي دالبرغ وهو يقترب. "يا إلهي، لو كنت قد مررت فوق ذلك، لكان المحور قد انتهى، والعجلات تحطمت إلى الجحيم. اللعنة، ماذا كنت تفعل"

"اغرب عن وجهي، باولي!" صرخ ياربن زيغرين وضرب مؤخرة الخيول باللجام بغضب.

- "كنت محظوظًا،" قالت سيري، بلطف شديد، وهي تنزلق إلى الصندوق بجوار القزم. "كما ترون، من الأفضل أن يكون لديك فتاة-ساحرة على متن عربتك من السفر بمفردك. لقد حذرتك في الوقت المناسب. ولكن لو كنت تتبول في منتصف ذلك الصندوق واصطدمت بذلك الجذع، حسنًا، حسنًا. من المخيف التفكير فيما كان يمكن أن يحدث"

- "هل ستصمتين؟"

- "لن أقول أي شيء آخر. ولا كلمة."

استمرت أقل من دقيقة.

- "زيغرين، يا سيدي؟"

- "أنا لست سيدًا." دفعها القزم بمرفقه وكشف عن أسنانه. "أنا ياربن. هل هذا واضح؟ سنقود الخيول معًا، أليس كذلك؟"

- "صحيح. هل يمكنني الإمساك باللجام؟"

- "إذا كان عليكِ ذلك. انتظر، ليس هكذا. مرريه فوق إصبع السبابة وامسكيه بإبهامك، هكذا. نفس الشيء مع اليسار. لا تشديهما، لا تسحبيهما بقوة."

- "هل هذا صحيح؟"

"صحيح."

- "ياربن؟"

- "هاه؟"

- "ماذا يعني، 'البقاء محايدًا'؟"

- "أن تكون غير مبال،" تمتم على مضض. "لا تدعي اللجام يتدلى. اسحبي اللجام الأيسر أقرب إليكِ!"

- "وما يكون غير المبالاة؟ غير مبالٍ بماذا؟"

بصق القزم بعيدًا تحت العربة. "إذا هاجمنا السكويا'تايل، ينوي جيرالت الوقوف والنظر بهدوء بينما يقطعون حناجرنا. ربما ستقفين بجانبه، لأنه سيكون فصلًا عمليًا. موضوع اليوم: سلوك الويتشر في مواجهة الصراع بين الأجناس الذكية."

- "لا أفهم."

- "هذا لا يفاجئني على الإطلاق."

- "هل هذا هو سبب شجارك معه وغضبك؟ من هم هؤلاء السكويا'تايل على أي حال؟ هؤلاء... السناجب؟"

- "سيري،" عبث ياربن بلحيته بعنف، "هذه ليست أمورًا لعقول الفتيات الصغيرات."

- "آها، أنت غاضب مني الآن. أنا لست صغيرة على الإطلاق. سمعت ما قاله الجنود في الحصن عن السناجب. رأيت... رأيت جنيين ميتين. وقال الفارس إنهم يقتلون أيضًا. وأنه ليسوا مجرد جنود بينهم. هناك أقزام أيضًا."

- "أعرف" قال ياربن بامتعاض.

- "وأنت قزم."

- "لا شك في ذلك."

- "فلماذا تخاف من السناجب؟ يبدو أنهم يقاتلون البشر فقط."

- "الأمر ليس بهذه البساطة." أصبح جادًا. "لسوء الحظ."

ظلت سيري صامتة لفترة طويلة، وهي تعض شفتها السفلى وتجعد أنفها.

- "الآن أعرف،" قالت فجأة. "السناجب يقاتلون من أجل الحرية. وعلى الرغم من أنك قزم، فأنت خادم الملك هينسلت السري الخاص على مقود بشري."

شخر ياربن، ومسح أنفه على كمه وانحنى خارج الصندوق للتأكد من أن وينك لم يقترب أكثر من اللازم. لكن المفوض كان بعيدًا، منخرطًا في محادثة مع جيرالت.

- "لديكِ سمع جيد جدًا، يا فتاة، مثل حيوان المرموط." ابتسم على نطاق واسع. "أنتِ أيضًا ذكية بعض الشيء بالنسبة لشخص مُقدر له أن يلد ويطبخ ويغزل. تعتقدين أنكِ تعرفين كل شيء، أليس كذلك؟ هذا لأنكِ مُتَشَاقَية. لا تصنعي وجوهًا سخيفة. الوجوه

كهذه لا تجعلكِ تبدين أكبر سنًا، بل أقبح من المعتاد. لقد فهمتِ طبيعة السكويا'تايل بسرعة، أنتِ تحبين الشعارات. هل تعرفين لماذا تفهمينهم جيدًا؟ لأن السكويا'تايل هم أشقياء أيضًا. إنهم صغار لا يفهمون أنهم يتعرضون للتحريض، وأن شخصًا ما يستغل حماقتهم الطفولية من خلال إطعامهم شعارات عن الحرية."

- "لكنهم يقاتلون حقًا من أجل الحرية." رفعت سيري رأسها وحدقت في القزم بعيون خضراء واسعة. "مثل الحوريات في غابات بروكلون. إنهم يقتلون الناس لأن الناس... بعض الناس يؤذونهم. لأن هذه كانت بلدكم، بلد الأقزام والجن وهؤلاء... أنصاف البشر، الغنوم وغيرهم... والآن هناك بشر هنا، لذا فالجن—"

- "الإلف!" شخر ياربن. "إنهم - لكي نكون دقيقين - غرباء تمامًا مثلكم أيها البشر، على الرغم من أنهم وصلوا على متن سفنهم البيضاء قبلكم بألف عام. الآن يتنافسون مع بعضهم البعض لتقديم الصداقة لنا، فجأة أصبحنا جميعًا إخوة، الآن يشقون ويقولون: 'نحن، أيها الأقارب'، 'نحن، الأجناس الأكبر'. لكن من قبل، شي— همم، همم... من قبل، كانت سهامهم تصفر بالقرب من آذاننا عندما كنا..."

- "إذن أول من على الأرض كانوا الأقزام؟"

- "الغينوم، لأكون صادقًا. فيما يتعلق بهذا الجزء من العالم - لأن العالم ضخم بشكل لا يمكن تصوره، يا سيري."

- "أعرف. رأيت خريطة.."

- "لم يكن بإمكانكِ ذلك. لم يرسم أحد خريطة كهذه، وأشك في أنهم سيفعلون ذلك في المستقبل القريب. لا أحد يعرف ما يوجد وراء جبال النار والبحر العظيم. حتى

الإلف، على الرغم من أنهم يدعون أنهم يعرفون كل شيء. إنهم لا يعرفون شيئًا، أقول لكِ."

- "همم... لكن الآن... هناك بشر أكثر بكثير من... منكم."

- "لأنكم تتكاثرون مثل الأرانب." جز القزم على أسنانه. "لن تفعلوا شيئًا سوى ممارسة الجنس ليلًا ونهارًا، دون تمييز، مع أي شخص وفي أي مكان. ويكفي لنسائكم أن يجلسن على بنطلون رجل حتى تنتفخ بطونهن... لماذا احمررتِ هكذا، قرمزيًا كخشخاش؟ أردتِ أن تعرفي، أليس كذلك؟ لذا فقد حصلتِ على الحقيقة الصادقة والتاريخ الأمين لعالم يحكمه من يحطم جماجم الآخرين بكفاءة أكبر وينفخ بطون النساء أسرع. ومن الصعب تمامًا التنافس معكم أيها البشر في القتل كما هو الحال في ممارسة الجنس... "

- "ياربن،" قال جيرالت ببرود، وهو يقترب على روتش. "إكبح نفسك قليلًا، من فضلك، في اختيار كلماتك. وسيري، توقفي عن لعب دور سائقة العربة واعتني بتريس، تحققي مما إذا كانت مستيقظة وتحتاج إلى أي شيء."

- "لقد استيقظت منذ مدة طويلة،" قالت الساحرة بضعف من أعماق العربة. "لكني لم أكن أرغب في... مقاطعة هذه المحادثة الشيقة. لا تزعجهم، جيرالت. أود... أن أتعلم المزيد عن دور ممارسة الجنس في تطور المجتمع."

- "هل يمكنني تسخين بعض الماء؟ تريس تريد أن تغسل."

- "تفضلي،" وافق ياربن زيغرين. "زافيير، انزل القدر من النار، أرنبنا قد اكتفى. ناولني إياه، سيري. يا لكِ من فتاة، إنالدلو ممتلئ عن آخره! هل حملتِ كل هذا الوزن الثقيل من الجدول بمفردك؟"

- "أنا قوية."

انفجر الأكبر من الأخوين دالبرغ ضاحكًا.

- "لا تحكم عليها من مظهرها، باولي،" قال ياربن بجدية وهو يقسم بمهارة الأرنب الرمادي المشوي إلى حصص. "لا يوجد ما يضحك هنا. إنها نحيلة لكنني أستطيع أن أرى أنها فتاة قوية ومرنة. إنها مثل حزام جلدي: نحيف، لكن لا يمكن تمزيقه بين يديك. وإذا شنقت نفسك عليه، فسيتحمل وزنك أيضًا."

لم يضحك أحد. جلست سيري القرفصاء بجوار الأقزام المنتشرين حول النار. هذه المرة أشعل ياربن زيغرين و"أولاده" الأربعة نارهم الخاصة في المخيم لأنهم لم يعتزموا مشاركة الأرنب الذي اصطاده زافيير موران. بالنسبة لهم وحدهم كان هناك ما يكفي لقضمة واحدة، أو اثنتين على الأكثر، لكل منهم.

- "أضف بعض الخشب إلى النار،" قال ياربن، وهو يلعق أصابعه. "سيسخن الماء بشكل أسرع."

- "إن الاغتسال بالماء فكرة غبية،" صرح ريغان دالبرغ، وهو يبصق عظمة. "فهو يمكن أن يضرّك فقط عندما تكون مريضًا. وعندما تكون بصحة جيدة أيضًا، إذا أردتَ أن تعرف. أتتذكر شرايدر العجوز؟ طلبت منه زوجته ذات مرة أن يغتسل، وذهب شرايدر ومات بعد ذلك بوقت قصير."

- "لأن كلبًا مسعورًا عضه."

- "لو لم يغتسل، لما كان الكلب قد عضه."

- "أعتقد،" قالت سيري، وهي تتحقق من درجة حرارة الماء في القدر بإصبعها، "من المفرط الاغتسال كل يوم أيضًا. لكن تريس طلبت ذلك - حتى أنها بدأت في البكاء ذات مرة... لذلك جيرالت وأنا .."

- "نعرف." أومأ دالبرغ الأكبر. "لكن أن يفعل ويتشر ذلك... أنا مندهش باستمرار. مهلا، زيغرين، لو كانت لديك امرأة، هل كنت ستغسلها وتمشط شعرها؟ هل كنت ستحملها إلى الأدغال إذا اضطرت إلى..."

- "اصمت، باولي." قاطعه ياربن. "لا تقل أي شيء ضد ذلك الويتشر، لأنه رجل جيد."

- "هل أقول أي شيء؟ أنا فقط مندهش..."

- "تريس،" تدخلت سيري بوقاحة، "ليست امرأته."

- "أنا مندهش أكثر."

- "أنتَ أحمق أكثر، هذا ما تعنيه،" لخص ياربن. "سيري، اسكبي القليل من الماء ليغلي. سننقع المزيد من الزعفران وبذور الخشخاش للساحرة. لقد شعرت بتحسن اليوم، أليس كذلك؟"

- "ربما فعلت،" تمتم يانيك براس. "كان علينا فقط أن نوقف الموكب ست مرات من أجلها. أعرف أنه لا يجوز إنكار المساعدة على الطريق، وهو وغد يعتقد خلاف ذلك.

ومن ينكر ذلك سيكون وغدًا عظيمًا وابن زانية وضيع. لكننا بقينا في هذه الغابة طويلًا جدًا، طويلًا جدًا، أقول لكم. نحن نختبر القدر، اللعنة، نحن نختبر القدر أكثر من اللازم، أيها الأولاد. ليس آمنًا هنا. السكويا'تايل.."

- "ابصق هذه الكلمة، يانيك."

- "بصق، بصق. ياربن، القتال لا يخيفني، وقليل من الدم ليس شيئًا جديدًا، لكن... إذا وصل الأمر إلى قتال أهلنا... يا إلهي! لماذا يحدث هذا لنا؟ يجب نقل هذه الحمولة اللعينة بمائة فارس لعنة، وليس نحن! فليأخذ الشيطان هؤلاء المتذاكين من آرد كاراغ، عسى أن..."

- "اصمت، قلتُ لك. ومرر لي وعاء الكاشا. كان الأرنب وجبة خفيفة، اللعنة، علينا الآن أن نأكل شيئًا. سيري، هل ستأكلين معنا؟"

- "بالطبع."

لفترة طويلة، كل ما كان يُسمع هو صوت ضرب الشفاه والمضغ وصوت الملاعق الخشبية التي تصطدم بالقدر.

- "يا له من مرض،" قال باولي دالبرغ وأطلق تجشؤة طويلة. "لا يزال بإمكاني أن آكل المزيد."

- "أنا أيضًا،" أعلنت سيري وتجشأت أيضًا، مبتهجة بأخلاق الأقزام المتواضعة.

- "طالما أنها ليست كاشا،" قال زافيير موران. "لا أستطيع تحمل تلك الشوفان المطحون بعد الآن. لقد سئمت من اللحم المملح أيضًا."

- "إذن التهم العشب، إذا كانت لديك براعم ذوق حساسة كهذه."

- "أو انزِع لحاء البتولا بأسنانك. تفعل ذلك القنادس وتعيش."

- "قندس - الآن هذا شيء يمكنني أكله."

- "أما أنا، فسمكة." فقد باولي نفسه في الأحلام وهو يقضم قشرة مسحوبة من لحيته. "لديّ نزوة لسمكة، أستطيع أن أقول لكم ذلك."

- "فلنصطد بعض الأسماك."

- "أين؟" زمجر يانيك براس. "في الأدغال؟"

- "في الجدول."

- "يا له من جدول. يمكنك التبول إلى الجانب الآخر. أي نوع من الأسماك يمكن أن يكون هناك؟"

- "هناك أسماك." لعقت سيري ملعقتها نظيفة وأدخلتها في الجزء العلوي من حذائها. "رأيتها عندما ذهبت لجلب الماء. لكنها مريضة أو شيء من هذا القبيل، تلك الأسماك. لديها طفح جلدي. بقع سوداء وحمراء.."

- "سمك السلمون المرقط!" صرخ باولي، وهو يبصق فتات القشرة. "حسنًا، أيها الأولاد، إلى الجدول بسرعة مضاعفة! ريغان! انزع سروالك! سنحولها إلى مصيدة أسماك."

- "لماذا سروالي؟"

- "انزعه، بسرعة، وإلا سأضربك، أيها الأحمق! ألم تقل الأم عليك أن تستمع إليّ؟"

- "أسرع إذا كنت تريد الذهاب للصيد لأن الغسق قاب قوسين أو أدنى،" قال ياربن. "سيري، هل الماء ساخن بعد؟ اتركه، اتركه، ستحرقين نفسك وتتوسخين من القدر. أعرف أنكِ قوية لكن دعني—سأحمله."

كان جيرالت ينتظرهم بالفعل؛ كان بإمكانهم رؤية شعره الأبيض من خلال الفجوة في القماش الذي يغطي العربة من بعيد. صب القزم الماء في الدلو.

- "هل تحتاج إلى أي مساعدة، أيها الويتشر؟"

- "لا، شكرًا لك، ياربن. ستساعدني سيري."

لم تعد تريس تعاني من ارتفاع في درجة الحرارة، لكنها كانت ضعيفة للغاية. كان جيرالت وسيري، الآن، فعالين في تعريتها وغسلها. لقد تعلموا أيضًا كيفية تهدئة محاولاتها الطموحة، ولكن غير الواقعية في الوقت الحالي، لإدارة شؤونها بمفردها. لقد تعاملا مع الأمر بشكل جيد للغاية - كان يحمل الساحرة بين ذراعيه، وكانت سيري تغسلها وتجففها. شيء واحد فقط بدأ يفاجئ ويزعج سيري - تريس، في رأيها، كانت تتشبث بجيرالت بإحكام شديد. هذه المرة كانت تحاول حتى تقبيله.

أشار جيرالت برأسه إلى أكياس سرج الساحرة. فهمت سيري على الفور لأن هذا، أيضًا، كان جزءًا من الطقوس؛ كانت تريس دائمًا تطالب بتمشيط شعرها. عثرت على المشط وركعت بجانبها. تريس، وهي تخفض رأسها نحوها، وضعت ذراعيها حول الساحر. في رأي سيري، بإحكام شديد بالتأكيد.

- "أوه، جيرالت،" شهقت. "أنا نادمة للغاية... أنا نادمة للغاية على أن ما كان بيننا.."

- "تريس، من فضلك."

- "... كان يجب أن يحدث... الآن. عندما أتحسن... سيكون الأمر مختلفًا تمامًا... يمكنني... يمكنني حتى..."

- "تريس."

- "أنا أحسد ينيفر... أنا أحسدها عليك.."

- "سيري، اخرجي."

- "لكن.."

- "اذهبي، من فضلك."

قفزت من العربة مباشرة على ياربن الذي كان ينتظر، متكئًا على عجلة ويمضغ بنهم نصلة عشب. وضع القزم ذراعه حولها. لم يكن بحاجة إلى الانحناء ليفعل ذلك، كما فعل جيرالت. لم يكن أطول منها.

- "لا ترتكبي نفس الخطأ أبدًا، أيتها الفتاة-الويتشر الصغيرة،" تمتم، مشيرًا إلى العربة بعينيه. "إذا أظهر لك شخص ما شفقة وتعاطفًا وتفانيًا، إذا فاجأك بنزاهة الشخصية، فثمن ذلك ولكن لا تخلط بينه وبين... شيء آخر."

- "ليس من اللطيف التنصت."

- "أعرف. وهذا خطير. لقد تمكنتُ من القفز جانبًا عندما ألقيتِ الرغوة من الدلو. هيا، لنذهب ونرى عدد سمك السلمون المرقط الذي قفز إلى سروال ريغان."

- "ياربن؟"

- "هاه؟"

- "أنا معجبة بك."

- "وأنا معجب بكِ، يا صغيرة."

- "لكنك قزم. وأنا لست كذلك."

- "وما الفرق—آه، السكويا'تايل. أنتِ تفكرين في السناجب، أليس كذلك؟ إنها لا تمنحكِ أي سلام، أليس كذلك؟"

حررت سيري نفسها من ذراعه الثقيل.

- "ولا أنت،" قالت. "ولا أي من الآخرين. أستطيع أن أرى ذلك بوضوح."

لم يقل القزم شيئًا.

- "ياربن؟"

- "نعم؟"

- "من على حق؟ السناجب أم أنت؟ يريد جيرالت أن يكون... محايدًا. أنت تخدم الملك هينسلت على الرغم من أنك قزم. والفارس في الحصن صرخ بأن الجميع عدونا وأن على الجميع أن يكون... الجميع. حتى الأطفال. لماذا، ياربن؟ من على حق؟"

- "لا أعرف،" قال القزم ببعض الجهد. "أنا لستُ كلي العلم. أفعل ما أعتقد أنه صحيح. حمل السناجب أسلحتهم وذهبوا إلى الغابة. 'البشر إلى البحر'، يصرخون، غير مدركين أن شعارهم الجذاب أطعمهم به مبعوثو نيلفغارد. لا يفهمون أن الشعار لا يستهدفهم بل يستهدف البشر بوضوح، وأنه يهدف إلى إشعال الكراهية بين البشر، وليس تحفيز الإلفيين الشباب على القتال. لقد فهمتُ - لهذا السبب أعتبر تصرفات السكويا'تايل غبية إجرامية. ماذا أفعل؟ ربما في غضون بضع سنوات سيُطلق عليّ اسم الخائن الذي باع ويصبحون هم الأبطال... لقد شهد تاريخنا، تاريخ عالمنا، أحداثًا اتخذت هذا المنحى."

صمت، وعبث بلحيته قليلاً الأمر الذي أجبر سيري أن تظل صامتة أيضًا.

- "إليرينا..." تمتم فجأة. "إذا كانت إليرينا بطلة، إذا كان ما فعلته بطولة، فهذا سيئ للغاية. دعهم يسمونني خائنًا وجبانًا. لأنني أنا ياربن زيغرين، الجبان والخائن والمرتد، أقول إنه لا ينبغي لنا أن نقتل بعضنا البعض. أقول إنه يجب أن نعيش. نعيش بطريقة لا نضطر فيها، لاحقًا، إلى أن نطلب العفو من أي شخص. إليرينا البطلة... كان عليها أن تطلب. سامحني، توسلت، سامحني. إلى الجحيم مع ذلك! من الأفضل أن تموت على أن تعيش وأنت تعلم أنك فعلت شيئًا يحتاج إلى المغفرة."

صمت مرة أخرى. لم تطرح سيري الأسئلة التي كانت تضغط على شفتيها. شعرت بشكل غريزي أنه لا ينبغي لها ذلك.

- "علينا أن نعيش بجوار بعضنا البعض،" تابع ياربن. "نحن وأنتم، أيها البشر. لأننا ببساطة ليس لدينا أي خيار آخر. عرفنا ذلك منذ مائتي عام وكنا نعمل من أجله منذ أكثر من مائة عام. تريدين أن تعرفي لماذا انضممت إلى خدمة الملك هينسلت، ولماذا

اتخذت مثل هذا القرار؟ لا يمكنني أن أدع كل هذا العمل يذهب سدى. منذ أكثر من مائة عام ونحن نحاول التوصل إلى اتفاق مع البشر. أنصاف البشر، الغنوم، نحن، حتى الإلف - أنا لا أتحدث عن روسالكا والحوريات والسيلف، لقد كانوا دائمًا متوحشين, حتى عندما لم تكونوا هنا. اللعنة، استغرق الأمر مائة عام، لكننا، بطريقة أو بأخرى، تمكنا من عيش حياة مشتركة، بجوار بعضنا البعض، معًا. تمكنا من إقناع البشر جزئيًا بأننا لسنا مختلفين جدًا..."

- "نحن لسنا مختلفين على الإطلاق، ياربن."

- استدار القزم فجأة.

- "نحن لسنا مختلفين على الإطلاق،" كررت سيري. "بعد كل شيء، أنت تفكر وتشعر مثل جيرالت. ومثل... مثلي. نأكل نفس الأشياء، من نفس القدر. أنت تساعد تريس وأنا أفعل ذلك أيضًا. كان لديكِ جدة وكان لديّ جدة... قُتلت جدتي على يد النيلفغارديين. في سينترا."

- "وقُتلت جدتي على يد البشر،" قال القزم ببعض الجهد. "في بروج. خلال المذبحة."

- "فرسان!" صرخ أحد حراس وينك المتقدمين. "فرسان في الأمام!"

هرول المفوض إلى عربة ياربن واقترب جيرالت من الجانب الآخر.

- "اصعدي إلى الخلف، يا سيري،" قال بفظاظة. "انزلي من الصندوق واصعدي إلى الخلف! ابقي مع تريس."

- "لا أستطيع رؤية أي شيء من هناك!"

- "لا تجادلي!" زمجر ياربن. "اركضي إلى هناك وسرعان ما! وناوليني المطرقة. إنها تحت جلد الخروف."

- "هذا؟" رفعت سيري شيئًا ثقيلًا وقبيح المظهر، يشبه مطرقة بخطاف حاد منحني قليلًا في رأسه.

- "هذا هو،" أكد القزم. أدخل المقبض في الجزء العلوي من حذائه ووضع الفأس على ركبتيه. وينك، الذي بدا هادئًا، شاهد الطريق السريع بينما كان يحمي عينيه بيده.

- "سلاح الفرسان الخفيف من بان غلين،" خمّن بعد فترة. "ما يسمى بالراية الداكنة - أتعرف عليهم من عباءاتهم وقبعاتهم المصنوعة من فرو القندس. ابقوا هادئين. وابقوا متيقظين. يمكن أن تكون العباءات والقبعات المصنوعة من فرو القندس سريعة في تغيير أصحابها."

اقترب الفرسان بسرعة. كان هناك حوالي عشرة منهم. رأت سيري باولي دالبرغ، في العربة خلفها، يضع قوسين ونشاب جاهزين على ركبته وغطاهما ريغان بعباءة. زحفت سيري بخلسة من تحت القماش، مختبئة خلف ظهر ياربن العريض. حاولت تريس رفع نفسها، شتمت وانهارت على فراشها.

- "توقف!" صرخ أول الفرسان، ولا شك أنه قائدهم. "من أنتم؟ من أين وإلى أين تركبون؟"

- "من يسأل؟" رفع وينك نفسه بهدوء في السرج. "وبأي صفة؟"

- "جيش الملك هينسلت، أيها السيد الفضولي! الرقيب زيفيك يسأل، وهو غير معتاد على السؤال مرتين! لذا أجب بسرعة! من أنتم؟"

- "خدمة التموين لجيش الملك."

- "يمكن لأي شخص أن يدعي ذلك! لا أرى هنا أي شخص يحمل ألوان الملك!"

- "اقترب، أيها الرقيب، وتفحص هذا الخاتم."

- "لماذا تلوح بخاتم عليّ؟" عبس الجندي. "هل من المفترض أن أعرف كل خاتم، أو شيء من هذا القبيل؟ يمكن أن يكون لدى أي شخص خاتم كهذا. بعض العلامة الهامة!"

نهض ياربن زيغرين في العربة، ورفع فأسه وبحركة خاطفة دفعه تحت أنف الجندي. "وهذه العلامة،" زمجر. "أتعرفها؟ شمها وتذكر رائحتها."

سحب العريف اللجام بعنف وأدار حصانه. "أتهددني، يا هذا؟" صاح. "أنا؟ أنا في خدمة الملك!"

- "ونحن كذلك،" قال وينك بهدوء. "بل ونخدمه منذ مدة أطول منك في ذلك، أنا متأكد. أحذرك أيها الجندي أن لا تتمادى."

- "أنا في موقع حراسة هنا! كيف لي أن أعرف من أنتم؟"

- "لقد رأيت الخاتم،" تمتم المفوض السياسي ببطء. "وإذا لم تتعرف على العلامة الموجودة على الجوهرة، فإني أتساءل من أنت. ألوان وحدتك تحمل نفس الشعار، لذا يفترض بك أن تعرفه."

تمالك الجندي نفسه بوضوح، متأثرًا بلا شك بكلمات وينك الهادئة والوجوه الجادة والمصممة التي كانت تطل من عربات الحراسة.

"همم..." قال وهو يزيح قبعته المصنوعة من الفراء باتجاه أذنه اليسرى. "حسنًا. ولكن إذا كنتم حقًا من تدعون أنكم، فلن تمانعوا، على ما أعتقد، في أن ألقي نظرة لأرى ما تحملونه في العربات."

- "بل سنمانع بشدة." عبس وينك. "وبكل تأكيد. حمولتنا ليست من شأنك، أيها العريف. إضافة إلى ذلك، لا أفهم ما الذي تتوقع أن تجده هناك."

- "أنت لا تفهم." أومأ الجندي وهو يخفض يده نحو مقبض سيفه. "إذًا سأخبرك يا سيدي. الاتجار بالبشر ممنوع، ولا يوجد نقص في الأوغاد الذين يبيعون العبيد إلى النيلفغارديين. إذا وجدت بشرًا مكبلين في عرباتكم، فلن تقنعني بأنكم في خدمة الملك. حتى لو أريتني عشرة خواتم."

- "حسنًا،" قال وينك ببرود. "إذا كنت تبحث عن عبيد، تفضل انظر. لديك إذني."

اندفع الجندي مهرولًا إلى العربة في المنتصف، وانحنى من فوق سرجه ورفع الغطاء القماشي.

- "ما هذا في تلك البراميل؟"

- "ماذا تتوقع؟ سجناء؟" سخر يانيك براس، المترامي في صندوق العربة.

- "أسألك عما بداخلها، فأجبني!"

- "سمك مملح."

- "وفي تلك الصناديق هناك؟" اتجه المحارب إلى العربة التالية وركل جانبها.

- "حوافر،" أجاب بولي دالبرغ بحدة. "وهناك، في الخلف، جلود جاموس."

"أرى ذلك." لوح العريف بيده، وقرص على شفتيه إشارة لحصانه، ثم اتجه إلى مقدمة الركب وتفحص عربة ياربن. "ومن هذه المرأة المستلقية هناك؟"

ابتسمت تريس ميريغولد بوهن، ورفعت نفسها على مرفقها ورسمت إشارة قصيرة ومعقدة بيدها. "من أنا؟" سألت بصوت خافت. "ولكنك لا تراني على الإطلاق."

رمش الجندي بعينه بعصبية، وارتجف قليلًا. "سمك مملح،" قال مقتنعًا وهو ينزل الغطاء القماشي. "كل شيء على ما يرام. وهذا الطفل؟"

"فطر مجفف،" قالت سيري وهي تنظر إليه بصلف. صمت الجندي وتجمد فمه مفتوحًا.

- "ما هذا؟" سأل بعد برهة، عابسًا. "ماذا؟"

- "هل انتهيت من تفتيشك أيها المحارب؟" أبدى وينك اهتمامًا باردًا وهو يتقدم من الجانب الآخر للعربة. بالكاد استطاع الجندي أن يحول بصره عن عيني سيري الخضراوين.

"لقد انتهيت. سيروا في طريقكم، وليحفظكم الآلهة. ولكن كونوا على حذر. قبل يومين، قضى السكويا'تيل على دورية خيالة بأكملها بالقرب من ممر الغرير. كانت قوة كبيرة وضخمة. صحيح أن ممر الغرير بعيد من هنا، ولكن الإلف يسافرون عبر الغابة أسرع من الريح. تلقينا أوامر بتطويقهم، ولكن كيف لك أن تمسك بإلفي؟ الأمر أشبه بمحاولة الإمساك بالريح..."

- "حسنًا، كفى، لسنا مهتمين،" قاطعه المفوض السياسي بحدة. "الوقت يضيق ولا يزال أمامنا رحلة طويلة."

- "إلى اللقاء إذن. هيا، اتبعوني!"

"هل سمعت يا جيرالت؟" زمجر ياربن زيغرين وهو يراقب الدورية تبتعد. "هناك سنجاب دموي في المنطقة المجاورة. لقد شعرت بذلك. لدي هذا الشعور بالوخز في ظهري طوال الوقت كما لو كان هناك رامي سهام يصوب نحوي بالفعل. لا، اللعنة، لا يمكننا السفر بشكل أعمى كما كنا نفعل حتى الآن، نصفر ونحن نمشي، ونغفو ونضرط بنعاس. يجب أن نعرف ما ينتظرنا. استمع، لدي فكرة."

جذبت سيري حصانها الكستنائي بقوة ثم انطلقت تعدو، منحنية إلى الأمام في السرج. جلس جيرالت، الذي كان منغمسًا في الحديث مع وينك، فجأة منتصبًا.

- "لا تتهوري!" صاح. "يالك من فتاة مجنونة! أتريدين كسر عنقك؟ ولا تبتعدي كثيرًا..."

لم تعد تسمع المزيد - كانت قد انطلقت إلى الأمام بسرعة جنونية. لقد فعلت ذلك عن قصد، غير راغبة في الاستماع إلى التحذيرات اليومية. ليس بسرعة كبيرة، ليس بتهور كبير، سيري! باه-باه. لا تبتعدي كثيرًا! باه-باه-باه. كوني حذرة! باه-باه! تمامًا كما لو كنت طفلة، فكرت. وأنا في الثالثة عشرة تقريبًا، ولدي حصان كستنائي رشيق تحتي وسيف حاد على ظهري. وأنا لا أخاف من أي شيء!

والربيع هنا!

"مهلا، انتبهي، ستحرقين مؤخرتك!"

ياربن زيغرين. متعالم آخر. باه-باه!

أبعد، أبعد، بالعدو، على طول الطريق الوعر، عبر الأعشاب والشجيرات الخضراء، عبر البرك الفضية، عبر الرمال الذهبية الرطبة، عبر السرخس الريشي. اختفى أيل أسمر مذعور في الغابة، يومض بفانوس ذيله وعجزه الأبيض والأسود وهو يبتعد وثبًا. حلقت الطيور من الأشجار - طيور القيق الملونة وآكلات النحل، والعقعق الأسود الصارخ بذيوله المضحكة. تناثر الماء تحت حوافر حصانها في البرك والشقوق.

إلى الأمام، إلى الأمام! الحصان، الذي كان يجر خلف العربة ببطء شديد لفترة طويلة، حملها الآن بفرح ونشاط؛ سعيدًا بالسماح له بالانطلاق بسرعة، جرى بانسيابية، وعضلاته تتماوج بين فخذيها، وعرفُه الرطب يضرب وجهها. مد الحصان عنقه بينما أطلقت سيرى العنان له. إلى الأمام، أيها الحصان العزيز، لا تشعر باللجام، إلى الأمام، بالحصان الجامح، بالحصان الجامح، بسرعة، بسرعة! انطلق!

أبطأت ونظرت إلى الخلف. هناك، وحيدة أخيرًا. بعيدة أخيرًا. لن يوبخها أحد بعد الآن، أو يذكرها بشيء، أو يطالب بانتباهها، أو يهدد بأن هذه ستكون نهاية هذه الرحلات. وحيدة أخيرًا، حرة، مرتاحة ومستقلة.

أبطأ. ضباب خفيف. بعد كل شيء، لم تكن هذه مجرد رحلة ممتعة، بل كانت لديها مسؤوليات أيضًا. سيرى، بعد كل شيء، كانت الآن في طلعة استكشافية على ظهور الخيل، دورية، طليعة. ها، فكرت، وهي تنظر حولها، سلامة القافلة بأكملها تعتمد علي الآن. جميعهم ينتظرون بفارغ الصبر عودتي وتقريري: الطريق واضح وسالك، لم أر أحدًا - لا توجد آثار لعجلات أو حوافر. سأبلغ بذلك، وسيهز السيد وينك النحيف برأسه بجدية وعينيه الزرقاوين الباردتين، وسيكشف ياربن زيغرين عن أسنانه الصفراء

الشبيهة بأسنان الخيل، وسيصيح باولي دالبرج: "أحسنتِ، يا صغيرة!"، وسيبتسم جيرالت بخفة. سيبتسم، رغم أنه نادرًا ما يبتسم في الآونة الأخيرة.

نظرت سيرى حولها وسجلت ملاحظة ذهنية. شجرتان من البتولا مقطوعتان - لا مشكلة. كومة من الأغصان - لا شيء لا تستطيع العربات المرور به. صدع جرفه المطر - عقبة صغيرة، ستمر عجلات العربة الأولى فوقه، وستتبعها الأخريات في الأخاديد. مساحة خالية ضخمة - مكان جيد للراحة...

آثار؟ ما هي الآثار التي يمكن أن تكون هنا؟ لا يوجد أحد هنا. هناك الغابة. هناك طيور تصرخ وسط أوراق الشجر الخضراء الطازجة. ثعلب أحمر يركض على مهل عبر الطريق ... وكل شيء تنبعث منه رائحة الربيع.

انقطع المسار في منتصف التل، واختفى في الوادي الرملي، والتوى عبر أشجار الصنوبر الملتوية التي تشبثت بالمنحدرات. تخلت سيرى عن الطريق، ورغبة منها في فحص المنطقة من ارتفاع، صعدت المنحدر الشديد. وهكذا تمكنت من لمس الأوراق الرطبة ذات الرائحة الحلوة ...

ترجلت، وألقت بزمام حصانها على عقدة في شجرة، وتمشّت ببطء بين شجيرات العرعر التي غطت التل. على الجانب الآخر من التل كانت هناك مساحة مفتوحة، تحدق في كثافة الغابة مثل حفرة عضت من الأشجار - تركت، بلا شك، بعد حريق اشتعل هنا منذ زمن طويل جدًا، لأنه لم يكن هناك أي أثر لبقايا متفحمة أو محترقة، كان كل مكان أخضر بأشجار البتولا الصغيرة وأشجار التنوب الصغيرة. بدا الطريق، بقدر ما تستطيع العين أن ترى، واضحًا وسالكًا. وآمنًا.

مما يخافون؟ فكرت. السكوياتايل؟ لكن ما الذي يخيف؟ أنا لا أخاف منهم فلم أفعل بهم شيئًا.

الإلف. السناجب. سكوياتايل.

قبل أن يأمرها جيرالت بالمغادرة، تمكنت سيرى من إلقاء نظرة على الجثث في الحصن. تذكرت واحدة على وجه الخصوص - وجهه مغطى بشعر ملتصق بدم داكن، ورقبته ملتوية ومنحنية بشكل غير طبيعي. تم سحب شفته العليا إلى الخلف في تجهم بشع وثابت، وكشفت عن أسنان، بيضاء جدًا وصغيرة جدًا، غير بشرية. تذكرت حذاء الإلف، ممزقًا ويصل إلى الركبتين، ومربوطًا من الأسفل ومثبتًا في الأعلى بالعديد من الإبزيمات المصنوعة.

الإلف يقتلون البشر ويموتون في المعارك أنفسهم. يقول جيرالت يجب أن تظل محايدًا ... ويقول ياربن يجب أن تتصرف بطريقة لا تضطر معها إلى طلب المغفرة ...

ركلت تلة رمل، وفي شرود، غرست كعبها في الرمال. من ومن، من وماذا يجب أن يغفر المرء؟

السناجب يقتلون البشر. ونيلفجارد يدفع لهم ثمن ذلك. يستخدمهم. يحرضهم. نيلفجارد.

لم تنسَ سيرى - رغم أنها أرادت بشدة أن تنسى - ما حدث في سينترا. الترحال، اليأس، الخوف، الجوع والألم. اللامبالاة والثبات، الذي جاء لاحقًا، بعد فترة طويلة عندما عثر عليها الكهنة من عبر النهر وأخذوها معهم. تذكرت كل ذلك كما لو كان من خلال ضباب، وأرادت أن تتوقف عن تذكره.

لكنه عاد. عاد في أفكارها، إلى أحلامها. سينترا. صهيل الخيول والصيحات الوحشية، الجثث، النيران ... والفارس الأسود بخوذته المجنحة ... ولاحقًا ... أكواخ في عبر النهر ... مدخنة ملطخة باللهب وسط أنقاض متفحمة ... بجانبها، بجوار بئر لم يمسها سوء، قطة سوداء تلعق حرقًا فظيعًا على جانبها. بئر ... ذراع ... دلو ...

دلو مليء بالدماء.

مسحت سيرى وجهها، ونظرت إلى يدها، مندهشة. كانت راحة يدها مبللة. شمت الفتاة ومسحت دموعها بكمها.

الحياد؟ اللامبالاة؟ أرادت أن تصرخ. ويتشر ينظر بلا مبالاة؟ لا! يجب على الويتشر أن يدافع عن الناس. من الليشي، مصاص الدماء، المستذئب. وليس منهم فقط. يجب عليه أن يدافع عن الناس من كل شر. وفي عبر النهر رأيت ما هو الشر.

يجب على الويتشر أن يدافع وينقذ. أن يدافع عن الرجال حتى لا يتم شنقهم على الأشجار بأيديهم، ولا يتم غرسهم في الخوازيق وتركهم حتى الموت. أن يدافع عن الفتيات الجميلات من أن يتم نشرهن بين أوتاد مغروسة في الأرض. دافع عن الأطفال حتى لا يُذبحوا ويُلقوا في بئر. حتى قطة محترقة حية في حظيرة مشتعلة تستحق أن تُدافع عنها. لهذا السبب سأصبح ويتشر، ولهذا السبب لدي سيف، للدفاع عن أشخاص مثل أولئك الموجودين في سودين وعبر النهر - لأنهم لا يملكون سيوفًا، ولا يعرفون الخطوات، وأنصاف الدورات، والمراوغات، والرقصات. لم يعلمهم أحد كيف يقاتلون، فهم عزل وضعفاء في مواجهة المستذئب وناهب نيلفجارد. إنهم يعلمونني القتال حتى أتمكن من الدفاع عن الضعفاء. وهذا ما سأفعله. لن أكون محايدة أبدًا. لن أكون غير مبالية أبدًا.

أبدًا!

لم تكن تعرف ما الذي حذرها - سواء كان الصمت المفاجئ الذي حل على الغابة مثل ظل بارد،. لكنها في لحظة وبشكل غريزي - برد فعل تعلمته في غابات عبر النهر عندما هربت من سينترا، تسابقت مع الموت. سقطت على الأرض، وزحفت تحت شجيرة عرعر وتجمدت، بلا حراك. تمنت حينها أن لايصهل الحصان.

على الجانب الآخر من الوادي، تحرك شيء مرة أخرى؛ رأت خيالًا خافتًا ضبابيًا يظهر من بين الأوراق. نظر قزم بحذر من بين الشجيرات. بعد أن ألقى غطاء رأسه، نظر حوله للحظة، وأصغى، ثم تحرك بصمت وسرعة على طول التل. تبعه اثنان آخران ظهرا. ثم تحرك آخرون. كثيرون منهم. في صف واحد. كان نصفهم تقريبًا على ظهور الخيل، كانوا يركبون ببطء، مستقيمين في سروجهم، مركزين ومنتبهين.

للحظة رأتهم جميعًا بوضوح ودقة وهم، في صمت تام، يتدفقون عبر فجوة مشرقة في جدار الأشجار، مؤطرين على خلفية السماء - قبل أن يختفوا، ويذوبوا في الظلال المتلألئة للغابة البرية. اختفوا دون حفيف أو صوت، مثل الأشباح. لم يطرق حصان بحافره أو يصدر صهيلاً، ولم تنكسر غصين تحت قدم أو حافر. لم تصدر الأسلحة المعلقة عليهم أي صليل.

اختفوا لكن سيرى لم تتحرك. استلقت على الأرض تحت شجيرة العرعر، محاولة التنفس بهدوء قدر الإمكان. كانت تعلم أن طائرًا أو حيوانًا خائفًا يمكن أن يكشف مكانها، ويمكن أن يخاف طائر أو حيوان من أي صوت أو حركة - حتى أدنى، وأكثرها حذرًا. لم تنهض إلا عندما أصبحت الغابة هادئة تمامًا وعادت العقعق إلى الثرثرة بين الأشجار حيث اختفى الإلفيين.

نهضت لتجد نفسها في قبضة قوية. سقطت قفازة جلدية سوداء على فمها، وكتمت صرخة الخوف.

- "اصمتي."

- "جيرالت؟"

- "قلتُ اصمتي."

- "رأيتهم؟"

- "نعم لقد فعلت."

- "إنهم هم..." همست. "السكوياتايل. أليس كذلك؟"

- "نعم. بسرعة، عودي إلى الخيول. انتبهي لقدميكِ."

ركبوا بحذر وصمت المنحدر دون العودة إلى الطريق؛ ظلوا في الشجيرات. نظر جيرالت حوله، متيقظًا. لم يسمح لها بالركوب بشكل مستقل؛ لم يعطها زمام الحصان الكستنائي؛ قاد الحصان بنفسه.

"سيري،" قال فجأة. "لا كلمة واحدة عما رأيناه. ليس لياربن، ولا لونك. ولا لأي شخص. أتفهمين؟"

"لا،" تمتمت، وخفضت رأسها. "لا أفهم. لماذا لا ينبغي أن أقول أي شيء؟ يجب تحذيرهم. مع من نحن، جيرالت؟ ضد من نحن؟ من هو صديقنا ومن هو عدونا؟"

"سننفصل عن القافلة غدًا،" قال بعد لحظة صمت. "تريس تعافت تقريبًا وسنقول وداعًا ونذهب في طريقنا. لدينا مشاكلنا الخاصة، وهمومنا وصعوباتنا. حينها، آمل أنك ستتوقفين أخيرًا عن تقسيم سكان هذا العالم إلى أصدقاء وأعداء."

"سنكون... محايدين؟ غير مبالين، أليس كذلك؟ وإذا هاجموا..."

"لن يفعلوا."

"وإذا..."

"استمعي إليّ." استدار إليها. "لماذا تعتقدين أن حمولة حيوية كهذه من الذهب والفضة، مساعدة الملك هينسلت السرية لأيدين، يرافقها أقزام وليس بشر؟ رأيتُ قزمًا يراقبنا من شجرة بالأمس. سمعتهم يمرون بمخيمنا خلال الليل. لن يهاجم السكوياتايل الأقزام، سيري."

"لكنهم هنا،" تمتمت. "إنهم هنا. إنهم يتحركون، يحيطون بنا..."

"أعرف لماذا هم هنا. سأريكِ."

أدار الحصان فجأة وألقى بزمامه إليها. دفعت الحصان الكستنائي بكعبيها وتحركت أسرع، لكنه أشار لها بالبقاء خلفه. قطعوا الطريق ودخلوا الغابة البرية مرة أخرى. قاد الساحر، وسيري تتبعه. لم يتحدث أحدهما. لفترة طويلة.

- "انظري." أوقف جيرالت حصانه. "انظري، سيري."

- "ما الأمر؟" تنهدت.

- "شايرراويد."

أمامهم، بقدر ما تسمح به الغابة، ارتفعت كتل من الجرانيت والرخام المنحوتة بسلاسة ذات زوايا غير حادة، أكلتها الرياح، مزينة بأنماط تلاشت منذ زمن طويل بفعل الأمطار، وتشققت وتحطمت بفعل الصقيع، وانقسمت بجذور الأشجار. بين جذوع الأعمدة المكسورة، ومضت أقواس بيضاء، بقايا إطارات زخرفية متشابكة مع اللبلاب، وملفوفة بطبقة سميكة من الطحلب الأخضر.

- "أكانت هذه... قلعة؟"

- "قصرًا. لم يبنِ الإلفيون القلاع. انزلي، لن تتمكن الخيول من المرور في الأنقاض."

- "من دمر كل هذا؟ البشر؟"

- "لا، هم فعلوا. قبل أن يغادروا."

- "لماذا؟"

- "علموا أنهم لن يعودوا. حدث ذلك بعد صدامهم الثاني مع البشر، منذ أكثر من مائتي عام. قبل ذلك، كانوا يتركون المدن دون مساس عندما يتراجعون. اعتاد البشر البناء على الأسس التي تركها الجان. هكذا بنيت نوفيجارد، أوكسنفورت، وايزيما، تريتوغور، ماريبور وسيداريس. وسينترا."

- "سينترا؟"

أكد ذلك بإيماءة من رأسه، ولم يرفع عينيه عن الأنقاض.

- "غادروا،" همست سيري، "لكنهم الآن يعودون. لماذا؟"

- "لإلقاء نظرة."

- "على ماذا؟"

دون كلمة، وضع يده على كتفها ودفعها بلطف أمامه. قفزوا من على الدرج الرخامي، وهبطوا متمسكين بالبندق المرن، الذي اندلعت عناقيده من كل فجوة، كل صدع في الألواح المتشققة المغطاة بالطحالب.

- "كان هذا مركز القصر، توجد في وسطه نافورة."

- "هنا؟" سألتْ بدهشة، وهي تحدّق في الأدغال الكثيفة لأشجار النغت والبتولا البيضاء بين الكتل والألواح المشوهة. "هنا؟ لكن لا يوجد شيءٌ هناك."

- "تعالي."

لا بدّ أن مجرى الماء الذي يغذي النافورة قد غيّر مساره مراتٍ عديدة، بصبرٍ وثباتٍ جارفًا كتل الرخام وألواح المرمر التي غرقت أو سقطت لتشكّل سدودًا، مغيّرًا مرةً أخرى مسار التيار. ونتيجةً لذلك، انقسمت المنطقة بأكملها إلى أخاديد ضحلة. هنا وهناك، كانت المياه تتدفق فوق بقايا المبنى، تغسله من الأوراق والرمل والنفايات. في هذه الأماكن، كان الرخام والتيراكوتا والفسيفساء لا يزالون نابضين بالألوان، طازجين كما لو أنهم كانوا هنا منذ ثلاثة أيام، لا قرنين.

قفز جيرالت عبر التيار ودخل بين ما تبقى من الأعمدة. تبعته سيري. قفزا عن الدرج المهدّم، وانحنيا برأسيهما، ومشيا تحت القوس السليم من الممر، المدفون جزئيًا تحت كومة من التراب. توقف الويتشر وأشار بيده. تنهدت سيري بصوتٍ عالٍ.

من بين الأنقاض الملونة بالتيراكوتا المكسورة، نبتت شجيرة ورد ضخمة مغطاة بأزهار الزنبق الأبيض الجميلة. تأملّت قطرات الندى اللامعة كالفضة على البتلات. لوت الشجيرة فروعها حول لوح كبير من الحجر الأبيض، ومنها نظرتْ إليهم ملامح وجهٍ حزينٍ وجميل؛ لم تستطع الأمطار الغزيرة والثلوج تشويه أو مسح ملامحه الرقيقة والنبيلة. كان وجهًا لم تستطع أزاميلُ اللصوص الذين ينبشون الزخارف الذهبية والفسيفساء والأحجار الكريمة من المنحوتة البارزة تشويهه.

"إيليرين،" قال جيرالت بعد صمتٍ طويل.

"إنها جميلة،" همست سيري، وهي تمسك بيده. لم يبدُ أن الويتشر لاحظ ذلك. حدّق في المنحوتة وكان بعيدًا، بعيدًا في عالمٍ وزمانٍ مختلفين.

"إيليرين،" كرّر بعد حين. "المعروفة باسم إيريلينا عند الأقزام والبشر. قادتهم إلى المعركة قبل مائتي عام. كان شيوخُ الإلف ضد ذلك، عرفوا أنه ليس لديهم فرصة. وأنهم لن يتمكنوا من النهوض بعد الهزيمة. أرادوا إنقاذ شعبهم، أرادوا البقاء على قيد الحياة. قرروا تدمير مدنهم والتراجع إلى الجبال الوعرة التي لا يمكن الوصول إليها... والانتظار. يعيشُ الإلف طويلًا يا سيري. بمقياسنا الزمني هم خالدون تقريبًا. ظنوا أن البشر شيءٌ وسيمر، مثله مثل الجفاف، مثل الشتاء القارس، أو طاعون الجراد، الذي يتبعه المطر، والربيع، وحصادٌ جديد. أرادوا أن يصمدوا و البقاء على قيد الحياة. قرروا تدمير مدنهم وقصورهم، من بينها فخرهم - شايرراويد الجميلة. أرادوا أن يصمدوا في

وجه العاصفة، لكن إيريلينا... أثارت إيريلينا الشباب. حملوا السلاح وتبعوها في معركتهم الأخيرة اليائسة. وذُبحوا. ذُبحوا بلا رحمة."

لم تقل سيري شيئًا، وهي تحدّق في الوجه الجميل الساكن.

"ماتوا واسمها على شفاههم،" تابع الساحر بهدوء. "يردّدون تحدّيها، صرختها، ماتوا من أجل شايرراويد. لأن شايرراويد كانت رمزًا. ماتوا من أجل هذا الحجر والرخام... ومن أجل إيليرين. تمامًا كما وعدتهم، ماتوا بكرامة، ببطولةٍ وشرف. حافظوا على شرفهم لكنهم لم يجلبوا سوى الخراب نتيجة لذلك، حكموا على عرقهم بالفناء. شعبهم. أتتذكرين ما قاله لكِ ياربين؟ أولئك الذين يحكمون العالم وأولئك الذين ينقرضون؟ شرحه لكِ بفظاظة ولكن بصدق. يعيشُ الإلف طويلًا، لكن شبابهم فقط هم الخصْب، الشباب فقط هم من يستطيعون إنجاب النسل. وجميع شباب الإلف تقريبًا تبعوا إيريلينا. تبعوا إيليرين، الوردة البيضاء لشايرراويد. نحن نقف في أنقاض قصرها، بجوار النافورة التي كانت تستمع إلى مياهها في الأمسيات. وهذه... هذه كانت زهورها."

صمتت سيري. جذبها جيرالت إليه، وضع ذراعه حولها.

"هل تعرفين الآن لماذا كان السكويا'تايل هنا، هل ترين ما الذي أرادوا أن ينظروا إليه؟ وهل تفهمين لماذا يجب عدم السماح بذبح شباب الإلف والأقزام مرة أخرى؟ هل تفهمين لماذا لا يُسمح لكِ ولا لي بالاشتراك في هذه المذبحة؟ هذه الورود تزهر على مدار السنة. كان ينبغي أن تنمو بريًا الآن، لكنها أجمل من أي وردة في حديقة مُعتنى بها. يستمر الإلف في المجيء إلى شايرراويد، يا سيري. مجموعة متنوعة من الإلف من المتهورون والحمقى الذين يعتبرون الحجر المتصدع رمزًا، وكذلك العقلاء الذين

يعتبرون هذه الزهور الخالدة، التي تولد من جديد إلى الأبد، رمزًا. الإلف الذين يفهمون أنه إذا تم اقتلاع هذه الشجيرة من الأرض وحرقها، فلن تزهر ورود شايرراويد مرة أخرى. هل تفهمين؟"

أومأت برأسها.

"هل تفهمين ما هي هذه الحيادية التي تثيركِ؟ أن تكوني محايدًا لا يعني أن تكوني غير مبالٍ أو عديم الإحساس. ليس عليكِ أن تقتلي مشاعركِ. يكفي أن تقتلي الكراهية بداخلكِ. هل تفهمين؟"

"نعم،" همست. "أفهم. جيرالت، أنا... أود أن آخذ واحدة... واحدة من هذه الورود. لتذكيري. هل لي بذلك؟"

"خذي،" قال بعد تردد. "خذي، لكي تتذكري. لنذهب الآن. لنعد إلى القافلة."

ثبّتت سيري الوردة تحت رباط سترتها. فجأة صرخت بهدوء، رفعت يدها. سال خيط من الدم من إصبعها إلى أسفل كفها.

"هل وخزتِ نفسكِ؟"

"ياربين..." همست الفتاة، وهي تنظر إلى الدم الذي يملأ خط حياتها. "وينك... باولي..."

"ماذا؟"

"تريس!" صرخت بصوتٍ ثاقب لم يكن صوتها، ارتجفت بشدة ومسحت وجهها بذراعها. "بسرعة، جيرالت! علينا أن نساعد! إلى الخيول، جيرالت!"

"سيري! ماذا يحدث؟"

"إنهم يموتون!"

انطلقتْ بسرعةٍ يكادُ رأسها يلامس عنق الحصان وحثّتْ فرسها، تضرب بكعبيها وتصرخ. تطاير رمل طريق الغابة تحت الحوافر. سمعت صراخًا في المسافة، وشمّت رائحة الدخان.

اندفع حصانان نحوهما مباشرةً، يقطعان الطريق، يسحبان سرجًا وحبالًا وعمودًا مكسورًا خلفهما. لم تُبطئ سيري من سرعة حصانها الكستنائي وانطلقتْ بسرعةٍ كاملة، تطايرت رقائق من الزبد على وجهها. خلفها سمعت صهيل روش ولعنات جيرالت حيث اضطر إلى التوقف.

انعطفت حول منعطف في الطريق إلى مرج كبير.

كانت القافلة مشتعلة. من بين الأدغال، تطير سهامٌ ملتهبة نحو العربات كطيورٍ نارية، تخترق القماش وتغوص في الألواح. هاجم السكويا'تايل بصيحاتِ حربٍ وصراخ.

"ترييييسس!"

قفز الإلف بعيدًا عن طريق الخيول المسرعة. أمسكت سيري بأحدِهم بخفةٍ بركابها. وسمعت طنينًا حادًا، كافح حصانها وصهل وألقى بنفسه جانبًا. رأت سيري سهمًا مغروسًا بعمق، أسفلَ الكاهل مباشرةً، بجوار فخذها. أخرجت قدميها من الركاب، قفزت، انحنيت في السرج، قفزت بقوة وهبطتْ بنعومة على هيكل العربة المقلوبة، استخدمتْ يديها لتحافظ على توازنها وقفزت مرة أخرى، هبطتْ وركبتيها مثنيتين بجوار ياربين الذي كان يزمجر ويشهر فأسه. بجوارهم، على العربة الثانية، كان باولي دالبرج

يقاتل بينما كان ريجان، متكئًا للخلف وساندًا ساقيه على اللوح، يكافح للإمساك بالخيول المسخرة. كانت تصهلُ بشدة، تضربُ بحوافرها وتشدُّ العمود خوفًا من النار التي تلتهم القماش.

اندفعتْ نحو تريس، التي كانت ملقاة بين البراميل والصناديق المتناثرة، أمسكتها من ملابسها وبدأتْ في جرّها نحو العربة المقلوبة. أنت الأفعوانية، وهي تمسك برأسها فوق الأذن مباشرةً. بجوار سيري مباشرةً، قرقعت الحوافر فجأةٍ وشخرت الخيول - كان هناك إثنان من الإلف، يشهران سيوفهما، يضغطان بشدة على ياربين الذي يقاتل بجنون. دار القزم كقمةٍ وصدَّ ببراعةٍ الضربات الموجهة إليه بفأسه. سمعت سيري لعنات، أنين ورنين معدنٍ.

انفصلت مجموعة أخرى من الخيول عن القافلة المشتعلة واندفعت نحوهم، تجرُّ الدخان والنيران خلفها وتنثر الخرق المحترقة. تدلى سائق العربة خامدًا من الصندوق وكان يانيك براس يقف بجواره، بالكاد يحافظ على توازنه. بيدٍ كان يمسك بزمام الخيول، وبالأخرى كان يقطع نفسه عن إلفيين يمتطيان الخيل على جانبي العربة. كان سكويا"تايل ثالث، يواكب الخيول المسخرة، يطلق سهمًا تلو الآخر في جوانبها.

"اقفز!" صرخ ياربين، يصيح فوق الضوضاء. "اقفز، يانيك!"

رأت سيري جيرالت يلحق بالعربة المسرعة وبضربةٍ قصيرةٍ من سيفه أطاح بأحد الإلف من على سرجه بينما كان وينك، راكبًا في الجانب الآخر، يقطع سرج الآخر، بينما ألقى يانيك الزمام وقفز - مباشرة تحت حصان السكويا"تايل الثالث الذي كان يطلق النار على الخيول.. وقف الإلف في ركابيه وضربه بسيفه. سقط القزم. في تلك اللحظة،

اصطدمت العربة المشتعلة بأولئك الذين ما زالوا يقاتلون، ففرقتهم وشتتتهم. وبالكاد تمكنت سيري من سحب تريس من تحت حوافر الخيول الهائجة في اللحظة الأخيرة.

انفصلت العارضة بصدع، قفزت العربة في الهواء، فقدت عجلة وانقلبت، ناثرة حمولتها وألواحها المشتعلة في كل مكان.

جرت سيري الساحرة تحت عربة ياربين المقلوبة. ساعدها باولي دالبرج، الذي وجد نفسه فجأة بجوارها، بينما غطاهم جيرالت، دفع روش بينهما وبين السكويا'تايل المهاجم. في كل مكان حول العربة، كانت المعركة تغلي: سمعت سيري صراخًا، اشتباكًا بين النصال، شخير الخيول، قعقعة الحوافر. ياربين، وينك وجيرالت، محاصرين من جميع الجهات من قبل الإلف، الذين قاتلوا كالشياطين الهائجة.

فُصل المقاتلون فجأةً بمجموعة ريجان حيث كان يكافح مع نصف قزم يرتدي قبعة من فراء الوشق. كان نصف القزم جالسًا على ريجان ويحاول طعنه بسكين طويل.

قفز ياربين ببراعة على العربة، أمسك بنصف القزم من رقبته وركله خارجًا. أطلق ريجان صرخةً ثاقبة، أمسك بالزمام وضرب الخيول. اندفعت المجموعة، تدحرجت العربة وتسارعت في لمح البصر.

"استدر، ريجان!" زأر ياربين. "استدر! التف!"

استدارت العربة وانقضت على الإلف مرة أخرى، ففرقتهم. قفز أحدهم، أمسك بالحصان القائد الأيمن من رسنه لكنه لم يتمكن من إيقافه؛ قذفهُ الزخم تحت الحوافر والعجلات. سمعت سيري صرخةً لا تُطاق.

أعطى إلف آخر، يمتطي بجوارهم، ضربةً خلفية بسيفه. فانحنى ياربين، وارتطم النصل بالحلقة التي تدعم القماش وحملةُ الزخم إلى الأمام. انحنى القزم فجأة وبقوة ولوح بذراعه. صرخ السكويا'تايل، تصلب في السرج وسقط على الأرض. وبرزت مطرقة من بين لوحي كتفيه.

"هيا إذن، أيها الأوغاد!" زأر ياربين، وهو يدور بفأسه. "من أيضًا؟ ريجان! التف!"

انحنى ريجان، وهو يلوح بعرفه الملطخ بالدماء في الصندوق وسط صفير السهام، وعوى كمن أصابته لعنه، ضارباً الخيول بلا رحمة. بينما اندفعت المجموعة في دائرة ضيقة، وخلقوا حاجزًا متحركًا ينفث النيران والدخان حول العربة المقلوبة التي جرّت سيري تحتها تريس المغشي عليه.

ليس بعيدًا عنهم كان حصان وينك يرقص، حصانٌ بلون الفأر. كان وينك منحنيًا؛ رأت سيري ريشًا أبيض لسهم يبرز من جانبه. على الرغم من الجرح، كان يشق طريقه بمهارةٍ متجاوزًا إثنين من الإلف على الأقدام، يهاجمانه من كلا الجانبين. بينما كانت سيري تشاهد، أصابَهُ سهمٌ آخر في ظهره. انهار المفوض إلى الأمام على عنق حصانه لكنه بقي في السرج. اندفع باولي دالبرج لمساعدته.

تُركت سيري وحدها.

مدت يدها لسيفها. النصل الذي طوال تدريبها كان يقفز من ظهرها في لمح البصر لم يدع نفسه يُسحب لأي سبب من الأسباب؛ قاومها، علق في غمده كما لو كان ملتصقًا بالقطران. وسط الدوامة التي تغلي حولها، وسط الحركات السريعة جدًا التي كانت غير واضحة أمام عينيها، بدا سيفها غريبًا، بطيئًا بشكل غير طبيعي؛ بدا الأمر

كما لو أن دهورًا ستمر قبل أن يتم سحبه بالكامل. اهتزت الأرض ورتجفت. أدركت سيري فجأةً أنها لم تكن الأرض. كانت ركبتيها.

باولي دالبرج، وهو يُبقي الجنّ الذي يهاجمه بعيدًا بفأسه، جرَّ وينك الجريح على الأرض. مرَّ روش بجوار العربة، وألقى جيرالت بنفسه على الجنّ. فقد عصابته وتدفق شعره خلفه مع سرعته. اشتبكت السيوف. قفز سكويا'تايل آخر، على قدميه، من خلف العربة. تخلى باولي عن وينك، انتصب ولوح بفأسه. ثم تجمد.

أمامه وقف قزم يرتدي قبعة مزينة بذيل سنجاب، لحيته السوداء مضفرة في ضفيرتين. تردد باولي.

لم يتردد ذو اللحية السوداء للحظة في المهاجمة بكلتا يديه. دار نصل الفأس وسقط، مخترقًا عظمة ترقوته فأطلق بصرخةٍ بشعة. سقط باولي على الفور، بدون أنين؛ بدا الأمر كما لو أن قوة الضربة قد كسرت كلتا ركبتيه.

صرخت سيري.

قفز ياربين زيجرين من العربة. بينما دار القزم ذو اللحية السوداء محاولاً ضربه. تفادى ياربين الضربة بانعطافةٍ رشيقة، وضرب بشراسة ذو اللحية السوداء في الحلق، والفك والوجه، حتى أنه جدع أنفه. انحنى السكويا'تايل للخلف وانهار، نازفاً يضرب بيديه على الأرض ويمزق التراب بكعبيه.

"جيرالت!" صرخت سيري، تشعر بشيء يتحرك خلفها. تشعر بالموت خلفها.

لم يكن هناك سوى شكل ضبابي، وفي لمحة سريعة حاول مهاجمتها، لكن الفتاة - كالبرق - ردت بصدٍّ ومناورة قطريين تعلمتهما في كاير مورهين. صدت الضربة لكنها لم

تكن واقفة بثبات كافٍ، كانت مائلة جدًا إلى الجانب لتلقي القوة الكاملة. قوة الضربة أطاحت بها على هيكل العربة. وانزلق سيفها من يدها.

الجنّية الجميلة، طويلة الساقين، التي كانت ترتدي حذاءً طويلًا، تجهمت بشراسة، وألقت بشعرها بعيدًا عن غطاء رأسها المنخفض، ورفعت سيفها. تألق السيف بشكل مبهر، وتلألأت الأساور على معصمي السنجاب.

لم تكن سيري في حالةٍ تسمح لها بالحركة.

لكن السيف لم يسقط، لم يضرب. لأن الجنّية لم تكن تنظر إلى سيري، بل إلى الوردة البيضاء المثبتة على سترتها.

"إيليرين!" صرخت السنجاب بصوتٍ عالٍ كما لو كانت تريد أن تحطم ترددها بالصرخة. لكنها كانت متأخرة جدًا. جيرالت، دفع سيري بعيدًا، وشقها على نطاق واسع عبر صدرها بسيفه. تدفق الدم على وجه الفتاة وملابسها، وتناثرت قطرات حمراء على بتلات الوردة البيضاء.

"إيليرين..." أنَّت الجنّية بصوتٍ حاد، وهي تنهار على ركبتيها. قبل أن تسقط على وجهها، تمكنت من الصراخ مرة أخرى. بصوتٍ عالٍ، مطولًا، يائسًا:

"شايرراويد!"

عادت الحقيقة فجأة كما اختفت. من خلال الطنين الرتيب الباهت الذي ملأ أذنيها، بدأت سيري تسمع أصواتًا. من خلال الستارة المرتعشة الرطبة للدموع، بدأت ترى الأحياء والأموات.

"سيري،" همس جيرالت وهو راكع بجوارها. "استيقظي."

"معركة..." أنَّت، وهي تجلس. "جيرالت، ماذا—"

"انتهى كل شيء. بفضل القوات من بان جلين التي جاءت لمساعدتنا."

"لم تكن..." همست، وهي تغمض عينيها، "لم تكن محايدًا..."

"لا، لم أكن. لكنكِ على قيد الحياة. تريس على قيد الحياة."

"كيف حالها؟"

"أصابت رأسها عندما سقطت من العربة عندما حاول ياربين إنقاذها. لكنها بخير الآن. تعالج الجرحى."

ألقت سيري نظرتها حولها. وسط الدخان من العربات الأخيرة، التي كانت تحترق، تومضت صور ظلية لرجال مسلحين. وحولها صناديق وبراميل. بعضها تحطم وتناثرت محتوياته. كانت تحتوي على حجارة ميدانية عادية رمادية. حدقت بها، مندهشة.

"مساعدة لدماوند من إدين." ياربين زيجرين، الواقف بالقرب، جز على أسنانه. "مساعدة سرية وهامة للغاية. قافلة ذات أهمية خاصة!"

"كان فخًا؟"

استدار القزم، نظر إليها، إلى جيرالت. ثم نظر إلى الحجارة التي تتدفق من البراميل وبصق.

"نعم،" أكد. "فخ."

"من أجل السناجب؟"

"لا."

تم ترتيب الموتى في صفٍّ أنيق. كانوا مستلقين بجوار بعضهم البعض، غير مقسمين - جنّ، بشر وأقزام. كان يانيك براس بينهم. كانت الجنّية ذات الشعر الداكن والحذاء الطويل هناك. والقزم ذو لحيته السوداء المضفرة، التي تتلألأ بالدماء المجفف. وبجوارهم...

"باولي!" نشج ريجان دالبرج، وهو يحمل رأس أخيه على ركبتيه. "باولي! لماذا؟"

لم يقل أحد شيئًا. لا أحد. حتى أولئك الذين عرفوا لماذا. أدار ريجان وجهه المشوه، المبلل بالدموع، نحوهم.

"ماذا سأقول لأمنا؟" ناح. "ما الذي سأقوله لها؟"

لم يقل أحد شيئًا.

ليس بعيدًا، محاطًا بالجنود باللونين الأسود والذهبي لكايدوين، كان وينك مستلقيًا. كان يتنفس بصعوبة وكل نفس يجبر فقاعات من الدم على شفتيه. ركعت تريس بجانبه ووقف فارسٌ بدرعه اللامع فوقهما.

"حسنًا؟" سأل الفارس. "أيتها الساحرة؟ هل سيعيش؟"

"لقد فعلت كل ما بوسعي." نهضت تريس، عضت شفتيها. "لكن..."

"ماذا؟"

"لقد استخدموا هذا." أرتهم سهمًا برأس غريب وضربت به على برميل يقف بجانبهم. انقسم رأس السهم، وانقسم إلى أربع إبر شائكة تشبه الخطاف. لعن الفارس في سره.

"فريجارد..." تمتم وينك بصعوبة. "فريجارد، استمع.. "

قالت تريس بصرامة: "يجب ألا تتكلم! أو تتحرك! التعويذة بالكاد تصمد!"

"فريجارد،" كرر المفوض. انفجرت فقاعة من الدم على شفتيه وظهرت أخرى على الفور مكانها. "كنا مخطئين... الجميع كان مخطئًا. ليس ياربين... اشتبهنا به خطأً... أنا أضمنه. ياربين لم يخن... لم يخ .."

"اصمت!" صرخ الفارس. "اصمت، فيلفريد! هيا، أسرعوا الآن، أحضروا النقالة! نقالة!"

قال الويتشر بصوت أجش: "لا حاجة لذلك" .. كان يحدق في شفاه وينك التي توقفت عن إخراج المزيد من الفقاعات. أدارت سيري وجهها وضغطت به على جانب جيرالت.

انتصب فريجارد. لم ينظر ياربين زيجرين إليه. كان ينظر إلى الموتى. إلى ريجان دالبرج الذي كان لا يزال راكعًا على أخيه.

"كان ذلك ضروريًا، زيجرين،" قال الفارس. "هذه حرب. كان هناك أمر. كان علينا أن نكون متأكدين..."

لم يقل ياربين شيئًا. خفض الفارس عينيه.

"سامحنا،" همس.

أدار القزم رأسه ببطء، نظر إليه. إلى جيرالت. إلى سيري. إليهم جميعًا. البشر.

"ماذا فعلتم بنا؟" سأل بمرارة. "ماذا فعلتم بنا؟ ما الذي صنعتم بنا؟"

لم يجبه أحد.

كانت عينا الإلفية طويلة الساقين زجاجيتين وباهتتين. تجمدت شفتاها المشوهتان في صرخةٍ صامتة.

وضع جيرالت ذراعيه حول سيري. ببطء، نزع الوردة البيضاء، الملطخة بالبقع الداكنة، من سترتها، ودون كلمة، ألقاها على جثة السنجاب.

"وداعًا،" همست سيري. "وداعًا، يا وردة شايرراويد. وداعًا و..."

"وسامحينا،" أضاف الويتشر.

* * *

إنهم يجوبون الأرض، مُلِحّين ومتغطرسين، يُنصّبون أنفسهم كمُطارِدين للشر، وقاهري المستذئبين وصائدوا الأشباح، يبتزون المال من الساذجين، وبعد استلام أرباحهم الخسيسة، ينتقلون لنشر نفس الخداع في مكان قريب. أسهل سبيل يجدونه في أكواخ الفلاحين الشرفاء والبسطاء وغير الواعين الذين يُرجعون كلّ مصيبة وحدث سيئ إلى تعاويذ، ومخلوقات غير طبيعية ووحوش، وأفعال الأرواح الشريرة. بدلًا من التضرع إلى الآلهة، وبدلًا من تقديم القرابين الثمينة إلى المعبد، يكون هذا الأحمق مستعدًا لإعطاء آخر قرش له للويتشر الوضيع، معتقدًا أن الويتشر، المُبَدَّل عديم الدين، سيُغيّر مصيره وينقذه من سوء الحظ.

عن كتاب مونستروم، أو وصف الويتشر لمؤلف مجهول

* * *

ليس لديّ مأخذ ضد الويتشرز.. فليصطادوا مصاصي الدماء. طالما أنهم يدفعون الضرائب.

رادوفيد الثالث الجريء، ملك ريدانيا

* * *

إذا كنتَ تتوق إلى العدالة، فوظّف ويتشر.

كتابة على جدار كلية الحقوق، جامعة أوكسنفورت

الفصل الخامس

- "هل قلت شيئًا؟"

شمّ الولد الصغير قبعته المخملية كبيرة الحجم و التي كان بها ريشةُ دجاجٍ متدرجة مُعلّقةً بانحرافٍ إلى جانبها، ودفع بها إلى الخلف عن جبهته.

ثم أردف: "هل أنت فارس؟" كرّر، وهو يحدّق في جيرالت بعيونٍ واسعةٍ زرقاء كالسماء.

- "لا،" أجاب الساحر، مندهشًا من أنه شعر برغبةٍ في الإجابة. "لستُ كذلك."

- "لكن لديك سيف! والدي أحد فرسان الملك فولتيست. لديه سيف أيضًا. أكبر من سيفك!"

اتكأ جيرالت بمرفقيه على الحاجز وبصق في الماء الذي كان يدور في أعقاب السفينة.

- "أتحمله على ظهرك،" أصرّ الصغير المُخاطي. انزلقت القبعة على عينيه مرة أخرى.

- "ماذا؟"

- "السيف. على ظهرك. لماذا تحمل السيف على ظهرك؟"

- "لأن شخصًا ما سرق مجذافي."

فتح الصغير المُخاطي فمه وكأنه يطالب بالإعجاب بالفجوات المثيرة للإعجاب التي خلفتها أسنانه اللبنية.

- "ابتعد عن الجانب،" قال الويتشر. "وأغلق فمك وإلا سيدخله الذباب."

فتح الولد فمه على نطاقٍ أوسع.

- "أشيب الشعر وغبي مع ذلك!" زمجرت والدة الصغير المُخاطي، وهي امرأة نبيلة مُرتدية ملابس فاخرة، تسحب ذريتها بعيدًا من طوق القندس لعباءته. "تعال هنا، إيفريت! لقد أخبرتك مرات عديدة ألا تكون مُعتاداً على التحدث مع حثالة المارة!"

تنهد جيرالت، وهو يحدّق في الخطوط العريضة للجزر والجُزيرات التي تلوح في الضباب الصباحي. السفينة، التي كانت قبيحة مثل سلحفاة، سارت ببطءٍ بالسرعة المناسبة، أي سرعة سلحفاة - بسبب تيار الدلتا الكسول. كان الركاب، معظمهم من التجار والفلاحين، نائمين على أمتعتهم.

فتح الويتشر الدرج مرة أخرى وعاد إلى قراءة رسالة سيري.

"...أنام في قاعة كبيرة تُسمى دورميتوريوم وسريري كبيرٌ جدًا، أخبرك. أنا مع فتيات الوساطة. نحن اثنتا عشرة فتاة لكنني أكثر صداقة مع يوميد، كاتي وإيولا الثانية. بينما اليوم أكلتُ مرقًا والأسوأ هو أننا في بعض الأحيان نضطر إلى الصيام والاستيقاظ في وقت مبكر جدًا عند الفجر. أبكر من كاير مورهين. سأكتب الباقي غدًا لأننا سنقيم الصلوات قريبًا. لم يُصل أحدٌ هنا من كاير مورهين قط، أتساءل لماذا علينا ذلك هنا. لا شك في ذلك لأنه معبد.

جيرالت. قرأت الأم نينيك رسالتي وقالت إنه يجب عليّ ألا أكتب أشياء سخيفة وأكتب بوضوحٍ دون أخطاء. وعما أدرسه وأنني أشعر أنني بخير وبصحة جيدة. ولكني كنتُ

جائعةً لسوء الحظ، لكن قريبًا سيكون العشاء. وقالت الأم نينيك أيضًا اكتبي أن الصلاة لم تؤذ أحدًا حتى الآن، لا أنا ولا أنت بالتأكيد.

جيرالت، لديّ بعض وقت الفراغ مرة أخرى، لذا سأكتب أنني أدرس وأقرأ وأكتبُ الأحرف الرونية بشكل صحيح. والتاريخ. والطبيعة. والشعر والنثر. وأن أعبر عن نفسي جيدًا باللغة العامية واللغة القديمة. أنا الأفضل في اللغة القديمة، يمكنني أيضًا كتابة الأحرف الرونية القديمة. سأكتب شيئًا لك وسترى بنفسك. إيلين بلاث، فيانويد. هذا يعني زهرة جميلة، طفلة الشمس. ترى بنفسك أنني أستطيع. وأيضًا ..

يمكنني الكتابة الآن مرة أخرى لأنني وجدتُ قلمًا جديدًا لأن القلم القديم انكسر. قرأت الأم نينيك هذا وأثنت عليّ لأنه كان صحيحًا. أنني مطيعة، قالت لي أن أكتب، وأنه يجب ألا تقلق. لا تقلق، جيرالت.

مرة أخرى لديّ بعض الوقت، لذا سأكتب ما حدث. عندما كنا نطعم الدجاج الرومي، أنا وإيولا وكاتي، هاجمنا ديك رومي ضخم، كان عنقه أحمر وكان فظيعًا مرعبًا. في البداية هاجم إيولا ثم أراد مهاجمتي لكنني لم أخف لأنه كان أصغر وأبطأ من البندول على أي حال. تجنبته وفعلتُ دورة وضربته مرتين بمفتاح حتى هرب. لاتسمح لي الأم نينيك بحمل سيفي هنا، يا للأسف، لأنني كنتُ سأُظهر لذلك الديك الرومي ما تعلمته في كاير مورهين. أعرف بالفعل أنه في الأحرف الرونية القديمة سيُكتب كاير أ'مويرهين وهذا يعني حصن البحر القديم. لذا لا شك أن هذا هو سبب وجود الأصداف والقواقع هناك بالإضافة إلى الأسماك المطبوعة على الأحجار. بينما تُكتب سينترا بشكل صحيح زين'تريا. بينما اسمي يأتي من زيرييل لأن ذلك يعني الخطاف ويعني ذلك أن...

- قاطعه أحدهم: "هل أنت مشغول بالقراءة؟"

رفع رأسه.

- "أنا كذلك. إذن؟ هل حدث شيء؟ هل لاحظ أحدهم شيئًا؟"

- "لا، لا شيء،" أجاب الربان، وهو يمسح يديه على سترته الجلدية. "هناك هدوء على الماء. لكن هناك ضباب ونحن بالفعل بالقرب من جزيرة الرافعة ..."

- "أعرف. إنها المرة السادسة التي أبحر فيها بهذه الطريقة في قارب مليئ بالحشرات، بصرف النظر عن رحلات العودة. لقد عرفتُ الطريق. عيناي مفتوحتان، لا تقلق."

أومأ الربان برأسه وابتعد نحو المقدّمة، متخطيًا طرود وحزم المسافرين المكدسة في كل مكان. تزمج الخيول وتضرب حوافرها على ألواح سطح السفينة، مُحشورةً في وسط السفينة. كانوا في منتصف التيار، في ضباب كثيف. شقّ مقدمة السفينة سطح زنابق الماء، فارقةً بين تجمعاتها. عاد جيرالت إلى قراءته:

"...هذا يعني أن لديّ اسمًا إلفياً. لكنني لستُ جنّية بعد. جيرالت، هناك أيضًا حديث عن السناجب هنا. حتى الجنود يأتون أحيانًا ويسألون أسئلة ويقولون إنه يجب علينا ألا نتعامل مع الإلفيين الجرحى. لم أبح بكلمة لأي شخص عما حدث في الربيع، لاتقلق. وأتذكر أيضًا أن أتدرّب، لا تظن غير ذلك. أذهب إلى الحديقة وأتدرب عندما يكون لديّ وقت. ولكن ليس دائمًا، لأنه يتعين عليّ أيضًا العمل في المطبخ أو في البستان مثل جميع الفتيات. ولدينا أيضًا كمية هائلة من الدراسة. لكن لا يهم، سأدرس. بعد كل شيء، لقد درستَ أنت أيضًا في المعبد، أخبرتني الأم نينيك.

وأخبرتني أيضًا أن أي أحمق يمكنه أن يُشهر سيفًا، لكن فتاة الساحر يجب أن تكون حكيمة.

جيرالت، لقد وعدتَني بالمجيء. تعال. سيري الخاصة بك

ملاحظة: تعال، تعال.

ملاحظة ثانية. أخبرتني الأم نينيك أن أنهي بالثناء على ميليت الكبرى، لتكن بركتها ونعمتها دائمًا معك. ولا يحدث لك شيء. سيري

أود الذهاب إلى إيلاندر، فكر، وهو يُخبئ الرسالة. لكنه خطر. قد أقودهم إلى— يجب أن تتوقف هذه الرسائل. تستفيد نينيك من بريد المعبد، لكن مع ذلك... اللعنة، الأمر شديد الخطورة.

- "هممم... همم..."

- "ما الأمر الآن؟ أمررنا بجزيرة الرافعة؟"

- "وبدون أي حادث والحمد لله،" تنهد الربان.

- "ها، جيرالت، أرى أن هذه ستكون رحلة سلمية أخرى. في أي لحظة الآن سيصفو الضباب وعندما تطل الشمس، سينتهي الخوف. الوحش لن يظهر نفسه في ضوء الشمس."

- "هذا لن يقلقني على الإطلاق."

- "هذا ما أظنه." ابتسم الربان بسخرية. "الشركة تدفع لك مقابل الرحلة. بغض النظر عما إذا حدث شيء أم لا، يسقط قرش في كيسك، أليس كذلك؟"

- "تسأل وكأنك لا تعرف. ما هذا الحسد الذي يتحدث؟ أنني أكسب المال واقفًا متكئًا على الجانب، أشاهد طيور الزقزاق؟ وما الذي تُدفع أنت مقابله؟ نفس الشيء. مقابل كونك على متن السفينة. عندما يسير كل شيء على ما يرام، ليس لديك ما تفعله. أنت تتجول من المقدّمة إلى المؤخرة، تبتسم للنساء أو تحاول إغراء التجار لتناول مشروب. لقد تم توظيفي لأكون على متن السفينة أيضًا. فقط في حالة حدوث شيء ما. النقل آمن لأن هناك ويتشر على متن السفينة. تكلفة الويتشر مضمنة في سعر الرحلة، أليس كذلك؟"

سيخسرون. أعرفهم جيدًا. هذه هي السنة الخامسة التي أبحر فيها في الدلتا من أجلهم من فوم إلى نوفجراد، ومن نوفجراد إلى فوم. حسنًا، إلى العمل، أيها الساحر، يا سيدي. ستستمر في الاتكاء على الجانب وسأذهب في نزهة من المقدّمة إلى المؤخرة."

خفّ الضباب قليلاً. أخرج جيرالت رسالة أخرى من حقيبته، وهي رسالة تلقاها مؤخرًا من ساعي بريد غريب. كان قد قرأها حوالي ثلاثين مرة بالفعل.

"صديقي العزيز..."

لعن الويتشر في سره بهدوء، وهو ينظر إلى الأحرف الرونية الحادة والزاوية وحتى المرسومة بضربات قلم نشطة، والتي تعكس مزاج الكاتب بلا ريب. شعر مرة أخرى بالرغبة في محاولة عض مؤخرته غضبًا، عندما كان يكتب إلى الساحرة قبل شهر، قضى ليلتين متتاليتين يتأمل في أفضل طريقة للبدء. أخيرًا، قرر أن يبدأ بـ "صديقي العزيز". الآن حصل على ما يستحقه.

"صديقي العزيز، رسالتك غير المتوقعة - التي تلقيتها بعد ما يقرب من ثلاث سنوات منذ آخر مرة كنا قد رأينا بعضنا البعض – قد منحتني الكثير من الفرح. وفرحتي أكبر لأن شائعات مختلفة كانت تنتشر حول موتك المفاجئ والعنيف، ومن الجيد أنك أخيراً قد قررت دحضها بالكتابة إليّ؛ ومن الجيد أيضًا أنك قد تكتب لي مرة أخرى قريبًا جدًا. وأستشف من رسالتك التي أرسلتها أنك قد عشت حياة سلمية ومملة بشكل رائع، وخالية من كل إثارة. ففي هذه الأيام، تعتبر هذه الحياة امتيازًا حقيقيًا، يا صديقي العزيز، وأنا سعيدة لأنك قد تمكنت من تحقيقها.

لقد تأثرت بالقلق المفاجئ الذي تفضلت بإظهاره بشأن صحتي، يا صديقي العزيز أخبركم بأنني أشعر الآن أنني بخير؛ وقد خلفت فترة الوعكة الصحية تلك ورائي، وقد تعاملت مع تلك الصعوبات التي لن أُملّك القدرة على وصفها.

إن ما يقلقني ويُزعجني كثيرًا هو أن الهدية غير المتوقعة التي تلقيتها من القدر تجلب لك القلق أيضاً، وافتراضك بأن هذا يتطلب مساعدة مهنية صحيح تمامًا، على الرغم من أن وصفك للصعوبة - بشكل مفهوم تمامًا – هو وصف غامض، إلا أنني متأكدة من أنني أعرف مصدر المشكلة، وأنا أتفق مع رأيك بأن مساعدة ساحر آخر هي أمر ضروري للغاية.

أشعر بالفخر لكوني الشخص الثاني الذي تلجأ إليه، ماذا فعلت لأستحق أن أكون في مرتبة عالية في قائمتك؟

إطمئن، يا صديقي العزيز؛ وإذا كانت لديك نية في التماس مساعدة سحرة إضافيين، فتخلَّ عنها لأنه لا داعي لذلك، لأني سأغادر دون تأخير وأذهب إلى المكان الذي أشرت إليه بطريقة غير مباشرة ولكنه بالنسبة لي مكان معلوم. وغني عن القول أنني

سأغادر بسرية تامة وحذر شديد وسأخمن طبيعة المشكلة على الفور وسأفعل كل ما في وسعي لتهدئة المصدر المتدفق، سأحاول، عند القيام بذلك، ألا أبدو أسوأ من السيدات الأخريات اللاتي لجأت إليهن، أو لربما قد تلجأ إليهن عادةً بتوسلاتك. أنا، بعد كل شيء، صديقك العزيز. أقدر صداقتك القيمة وهي مهمة للغاية بالنسبة لي كي لا أُخيّب أملك، يا صديقي العزيز.

إذا ما كنت راغباً في السنوات القليلة القادمة في الكتابة إليّ، فلا تتردد لحظة واحدة. فرسائلك دائمًا ما تمنحني متعة لا حدود لها.

صديقتك ينيفر

كانت الرسالة تفوح منها رائحة الليلك والتوت البري.

لعن جيرالت مرة أخرى في سره.

إنقطع عن شروده بسبب الحركة على سطح السفينة وتأرجحت السفينة مما يشير إلى أنهم كانوا يقومون بتغيير مسارها. وبينما احتشد بعض الركاب على الجانب الأيمن. كان الربان يصرخ بالأوامر من المقدّمة؛ كانت السفينة تتحول ببطء وجهد نحو شاطئ تيميريا، تاركة الممر المائي وتفسح الطريق لسفينتين تلوحان في الضباب، راقب الويتشر ذلك بفضول.

كانت الأولى عبارة عن سفينة حربية ضخمة بثلاثة صواري يبلغ طولها مائة وأربعين ياردة على الأقل، تحمل علمًا أرجوانيًا بنسر فضي خلفها، وتعمل بأربعين مجدافًا بجد وبشكل إيقاعي، وقد انزلقت خلفها سفينة أصغر حجمًا ورشيقة مزينة بعلم أسود بشعار ذهبي-أحمر.

- "أوه، يا لها من تنانين ضخمة،" قال الربان الواقف بجوار الويتشر. "إنهم يدفعون موجة كبيرة، بالطريقة التي يشقون بها النهر."

- "مثير للاهتمام،" تمتم جيرالت. "السفينة الحربية تبحر تحت العلم الريداني لكن السفينة أصغر من إديرن."

- "من إديرن، بكل تأكيد،" أكد الربان."وتحمل علم حاكم هاج. لكن لاحظ، كلتا السفينتين لديهما عوارض حادة، مسودة تقترب من أربعة ياردات. هذا يعني أنهما لا يبحران إلى هاج نفسها - لن تعبرا المنحدرات والمياه الضحلة أعلى النهر. إنهما متجهان إلى فوم أو الجسر الأبيض. وانظر، هناك أسراب من الجنود على الأسطح. هؤلاء ليسوا تجارًا. إنهم سفن حربية، جيرالت."

"شخص مهم على متن تلك السفينة الحربية. لقد نصبوا خيمة على سطح السفينة."

"صحيح، هكذا يسافر النبلاء." أومأ القبطان برأسه، وهو ينظف أسنانه بشظية مقشرة من جانب السفينة. "من الأكثر أمانًا السفر عن طريق النهر. إن فرق الكوماندوز الإلفية تتجول في الغابات. ولا يوجد حتى الآن طريقة لمعرفة الشجرة التي سيصوب منها سهم عليك، ولكن على الماء لا يوجد خوف. فالإلف، مثل القطط، لا يحبون الماء. إنهم يفضلون الإقامة في الأحراش..."

- "يجب أن يكون شخصًا مهمًا حقًا. الخيمة فخمة."

- "صحيح، قد يكون كذلك. من يدري، ربما الملك فيزيمير نفسه يُفضّل النهر بحضوره؟ جميع أنواع الناس يسافرون بهذه الطريقة الآن... وبينما نحن نتحدث، في

فوم طلبت مني أن أبقي أذني مفتوحة في حال كان أي شخص مهتمًا بك، يسأل عنك. حسنًا، ذلك الضعيف هناك، أترونه؟"

- "لا تُشر .. يا قبطان..من هو؟"

- "كيف لي أن أعرف؟ اسأله بنفسك، إنه قادم. انظر فقط إلى تمايله! والماء هادئ كالمرآة، يا لبؤسه؛ لو كان ينتفخ قليلاً لكان على الأرجح على أربع، أيها الأخرق."

- اتضح أن "الأخرق" رجل قصير القامة ونحيف في عمر غير مؤكد، يرتدي عباءة صوفية كبيرة وغير نظيفة مثبتة بدبوس نحاسي دائري. تم استبدال دبابيسها، التي فقدت بوضوح، بمسمار معوج برأس مسطح. اقترب الرجل، ثم تنحنح وحدق بعينيه قصيرة النظر.

- "همم... هل لي شرف التحدث إلى جيرالت من ريفيا، الساحر؟"

- "نعم يا سيدي. تشرفت بك كذلك"

- "اسمح لي أن أقدم نفسي. أنا لينوس بيت، أستاذ ومحاضر في التاريخ الطبيعي في أكاديمية أوكسنفورت."

- "من دواعي سروري البالغة."

- "همم... لقد قيل لي أنك، يا سيدي، بتكليف من شركة مالاتيوس وغروك لحماية هذا النقل. على ما يبدو من خطر هجوم وحش ما. لعلي أتتساءل ماذا يمكن أن يكون هذا 'الوحش".

- "أتساءل أنا أيضًا." اتكأ الويتشر على جانب السفينة، وهو يحدق في الخطوط العريضة المظلمة للمروج المستنقعية على ضفة نهر تيميريا التي تلوح في الضباب. "وتوصلت إلى استنتاج مفاده أنني على الأرجح وظفت كإجراء احترازي ضد هجوم من قوة كوماندوز سكويا'تايل يُقال إنها تجوب المنطقة. هذه هي رحلتي السادسة بين فوم ونوفجراد ولم يظهر أي آشنا..."

- "آشنا؟ إنه إسم شائع. أفضل أن تستخدم المصطلحات العلمية. همم... آشنا... لا أعرف حقًا أي نوع تقصده ..."

- "أنا أفكر في وحش وعر وخشن الجلد يبلغ طوله أربعة ياردات يشبه جذعًا تنمو عليه الطحالب وله عشرة مخالب وفكوك مثل المناشير."

- "هذا الوصف يترك الكثير مما هو مرغوب فيه فيما يتعلق بالدقة العلمية. هل يمكن أن يكون أحد أنواع عائلة هايفيدرايدي **Hyphydridae**؟"

- "لا أستبعد الاحتمالية،" تنهد جيرالت. "الآشنا، على حد علمي، تنتمي إلى عائلة بغيضة بشكل استثنائي لا يمكن أن يكون أي اسم مسيئًا لها. أيها الأستاذ فيما يبدو أن أحد أفراد هذه العشيرة غير المتعاطفة هاجم سفينة الشركة قبل أسبوعين هنا، في الدلتا، في مكان ليس بالبعيد عن المكان الذي نحن فيه."

- "من يقول هذا"—أطلق لينوس بيت ضحكة صارخة—"هو إما جاهل أو كاذب. لا يمكن أن يحدث شيء كهذا. أعرف حيوانات الدلتا جيدًا، عائلة هايفيدرايدي **Hyphydridae** لا تظهر هنا على الإطلاق، ولا أي أنواع أخرى مفترسة أو خطيرة للغاية. فالملوحة الكبيرة والتكوين الكيميائي غير النمطي للمياه، خاصة أثناء المد العالي..."

- "أثناء المد العالي،" قاطع جيرالت، "عندما تمر موجة المد القادمة من قنوات نوفجراد، لا يوجد ماء - لاستخدام الكلمة بدقة - في الدلتا على الإطلاق. هناك سائل يتكون من البراز والصابون والزيت والفئران الميتة."

- "لسوء الحظ، لسوء الحظ." حزن الأستاذ. "تدهور البيئة... قد لا تصدق ذلك، ولكن من أكثر من ألفي نوع من الأسماك التي تعيش في هذا النهر قبل خمسين عامًا، لم يتبق سوى أكثر من تسعمائة بقليل. ياله من أمر محزن حقًا."

اتكأ كلاهما على الحاجز وحدقا في الأعماق الخضراء الموحلة. لا بد أن المد كان قادمًا بالفعل لأن رائحة الماء كانت تزداد قوة. وقد ظهرت الفئران الميتة الأولى.

- "لقد ماتت أسماك زعانف الثور الأبيض تمامًا." كسر لينوس بيت الصمت. "مات أيضاً سمك موسى، وكذلك الأفعى، والكيثارا، واللوش المخطط، والدايس أحمر البطن، والقد الصغير طويل اللحية، وسمك الملك بيكريل..."

على مسافة حوالي عشرين ياردة من جانب السفينة، اندفع الماء. للحظة، رأى كلا الرجلين عينة تزن عشرين رطلاً أو أكثر من سمك الملك بيكريل وهي تبتلع جرذًا ميتًا وتختفي في الأعماق، بعد أن أظهرت برشاقة زعنفة ذيلها.

- "ما هذا؟" ارتجف الأستاذ.

- "لا أعرف." نظر جيرالت إلى السماء. "بطريق ربما؟"

نظر إليه العالم عاضاً على شفتيه. "من المؤكد أنه لم يكن الآشنا الأسطوري الخاص بك! لقد قيل لي أن الويتشرز يمتلكون معرفة كبيرة ببعض الأنواع النادرة، لكنك، أنت

لا تكرر الشائعات والحكايات فحسب، بل إنك تسخر مني أيضًا بطريقة فظة للغاية... هل تستمع إليّ؟"

- "الضباب لن يزول،" قال جيرالت بهدوء.

- "هاه؟"

- "الرياح لا تزال ضعيفة. عندما نبحر إلى ذراع النهر، بين الجزر، ستكون أضعف. سيكون الضباب كثيفًا حتى نوفجراد."

- "لن أذهب إلى نوفجراد. سأنزل في أوكسنفورت،" أعلن بيت جافًا. "والضباب؟ من المؤكد أنه ليس كثيفًا لدرجة تجعل الملاحة مستحيلة؛ ما رأيك؟"

ركض الولد الصغير ذو القبعة الريشية بجانبهم واتكأ للخارج، محاولًا، بعصاه، اصطياد جرذ يرتطم بالقارب، اقترب جيرالت وانتزع العصا منه.

- "ابتعد. لا تقترب من الجانب!"

- صرخ الطفل باكياً: أميييييييي!!

- "إيفريت! تعال هنا على الفور!"

انتصب الأستاذ وحدق في الساحر بعيون ثاقبة. "يبدو أنك تعتقد حقًا أننا في خطر ما؟"

"أستاذ بيت،" قال جيرالت بأكبر قدر ممكن من الهدوء، "قبل أسبوعين، شيء ما سحب شخصين من سطح إحدى سفن الشركة. في الضباب. لا أعرف ما هو. ربما

كانت الهيفيدرا الخاصة بك أو أيًا كان اسمها. ربما كانت قد صغير طويل اللحية. لكنني أعتقد أنها كانت آشنا."

عبس العالم معلناً: "التخمين يجب أن يستند دائمًا إلى أسس علمية صلبة، وليس على الشائعات والقيل والقال. لقد قلت لك، الهيفيدرا، التي تصر على تسميتها آشنا، لاتظهر في مياه الدلتا. لقد تم القضاء عليها قبل نصف قرن بالتحديد بالمناسبة، بسبب نشاط أفراد مثلك مستعدين لقتل أي شيء لا يبدو صحيحًا على الفور، دون تفكير أو اختبارات أو ملاحظة أو مراعاة أهميته البيئية."

للحظة، شعر جيرالت برغبة صادقة في إخبار العالم بالمكان الذي يمكنه وضع الآشنا ومكانتها فيه، لكنه غير رأيه.

"أستاذ،" قال بهدوء، "أحد الذين سُحبوا من السطح كانت فتاة شابة حامل. أرادت تبريد قدميها المتورمتين في الماء. من الناحية النظرية، كان من الممكن أن يصبح طفلها، يومًا ما، مستشارًا لكليتك. ماذا لديك لتقوله عن هذا النهج للبيئة؟"

"إنه غير علمي؛ إنه عاطفي وذاتي. تخضع الطبيعة لقواعدها الخاصة، وعلى الرغم من أن هذه القواعد قاسية ووحشية، إلا أنه لا ينبغي تعديلها. إنه صراع من أجل البقاء!" انحنى الأستاذ على الحاجز وبصق في الماء. "ولا يمكن لأي شيء أن يبرر إبادة نوع ما، حتى لو كان مفترسًا. ماذا تقول عن ذلك؟"

"أقول إنه من الخطير الاتكاء هكذا. قد تكون هناك آشنا في مكان قريب. هل تريد أن تجرب صراع الآشنا من أجل البقاء على جلدك؟"

ترك لينوس بيت الحاجز وقفز بعيدًا فجأة. أصبح شاحبًا بعض الشيء لكنه استعاد على الفور ثقته بنفسه وضم شفتيه مرة أخرى.

- "لا شك أنك تعرف الكثير عن هذه الآشنا الخيالية، أيها الويتشر؟"

- "بالتأكيد أقل منك. لذا ربما يجب أن نستغل الفرصة؟ نورني، أيها الأستاذ، اشرح قليلاً عن معرفتك بالمفترسات المائية. سأستمع عن طيب خاطر، ولن تبدو الرحلة طويلة جدًا."

- "أتسخر مني؟"

- "على الإطلاق. أود بصدق ملء الفراغات في تعليمي."

- "همم... إذا كنت حقًا... لماذا لا؟ استمع إذن إليّ. عائلة **Hyphydridae**، التي تنتمي إلى رتبة **Amphipoda**، تشمل أربعة أنواع معروفة للعلم. اثنان يعيشان حصريًا في المياه الاستوائية. في مناخنا، من ناحية أخرى، يمكن للمرء أن يصادف - على الرغم من ندرة الآن - الهيفيدرا لونجيكودا الصغيرة نسبيًا والهيفيدرا مارجيناتا الأكبر إلى حد ما. الموطن الطبيعي لكلا النوعين هو المياه الراكدة أو المياه التي تتدفق ببطء شديد. الأنواع، في الواقع، مفترسة، وتفضل التغذي على المخلوقات ذوات الدم الحار... هل لديك ما تضيفه؟"

- "ليس الآن. أنا أستمع بأنفاس محبوسة."

- "نعم، همم... يمكن أيضًا العثور على ذكر، في الكتب العظيمة، للأنواع الفرعية **Pseudohyphydra**، التي تعيش في المياه المستنقعية في أنجرين. ومع ذلك، أثبت العالم بامبلر من ألدرسبرج مؤخرًا أن هذا نوع مختلف تمامًا، نوع من عائلة **Mordidae**.

يتغذى حصريًا على الأسماك والبرمائيات الصغيرة. وقد أُطلق عليه اسم Ichtyovorax bumbleri."

- "الوحش محظوظ،" ابتسم الويتشر. "هذه هي المرة الثالثة التي يُسمى فيها."

- "كيف ذلك؟"

- "المخلوق الذي تتحدث عنه هو ilyocoris، يُسمى cinerea في اللغة القديمة. وإذا ذكر العالم بامبلر أنه يتغذى حصريًا على الأسماك، فأفترض أنه لم يستحم قط في بحيرة مع ilyocoris. لكن بامبلر على حق في شيء واحد: الآشنا تشترك مع cinerea بقدر ما أشترك أنا مع ثعلب. كلانا يحب أكل البط."

- "ما هي cinerea؟" استشاط الأستاذ غضبًا. "إن cinerea مخلوق أسطوري! حقًا، إن قلة معرفتك تُخيّب أملي. حقًا، أنا مندهش حقاً .."

"أعرف،" قاطع جيرالت. "أفقد الكثير من سحري عندما يتعرف عليّ المرء بشكل أفضل. ومع ذلك، سأسمح لنفسي بتصحيح نظرياتك قليلاً، أستاذ بيت. لذا، عاشت الآشنا دائمًا في الدلتا ولا تزال تفعل ذلك. في الواقع، كان هناك وقت بدا فيه أنها انقرضت. لأنها كانت تعيش على تلك الفقمات الصغيرة..."

- "خنازير البحر النهرية،" صحح الأستاذ. "لا تكن جاهلاً. لا تخلط بين الفقمات... كانت تعيش على خنازير البحر وتم قتل خنازير البحر لأنها بدت مثل الفقمات. لقد وفرت جلودًا ودهونًا شبيهة بالفقمة. ثم، في وقت لاحق، تم حفر قنوات في أعالي النهر، وبناء سدود وحواجز. أصبح التيار أضعف؛ انسدت الدلتا ونمت عليها النباتات. وخضعت الآشنا لطفرة. لقد تكيفت."

- "هاه؟"

- "أعاد البشر بناء سلسلتها الغذائية. لقد زودوا المخلوقات ذوات الدم الحار مكان خنازير البحر. بدأت الأغنام والماشية والخنازير تُنقل عبر الدلتا. تعلمت الآشنا في لمح البصر أن كل سفينة أو طوف أو بارجة في الدلتا كانت، في الواقع، طبقًا كبيرًا من الطعام."

- "والطفرة؟ لقد تحدثت عن طفرة!. يبدو أن هذا السماد السائل"—أشار جيرالت إلى الماء الأخضر—"يناسب الآشنا. إنه يُعزز نموها. يمكن أن يصبح الشيء اللعين كبيرًا جدًا، على ما يبدو، لدرجة أنه يستطيع سحب بقرة من طوف دون أي جهد على الإطلاق. سحب إنسان من سطح السفينة لا شيء. خاصة سطح إحدى هذه الزوارق التي تستخدمها الشركة لنقل الركاب. يمكنك أن ترى بنفسك مدى انخفاضها في الماء."

تراجع الأستاذ بسرعة عن جانب السفينة، بقدر ما تسمح العربات والأمتعة.

- "سمعت صوتًا!" لهث، وهو يحدق في الضباب بين الجزر. "أيها الويتشر! سمعت..."

- "اهدأ. بصرف النظر عن صوت الرش، يمكنك أيضًا سماع صرير المجاديف في أقفالها. إنهم ضباط الجمارك من الشاطئ الريداني. ستراهم بعد لحظات وسيُحدثون ضجة أكبر من ثلاث أو حتى أربع آشنات."

ركض القبطان لاعناً بشكل بذيء حيث كان الولد الصغير ذو القبعة الريشية يعيق طريقه بينما كان الركاب والمراسلون، جميعهم متوترين للغاية، ويبحثون في ممتلكاتهم محاولين إخفاء أي بضائع مهربة.

بعد فترة قصيرة، اصطدم قارب كبير بجانب السفينة وقفز أربعة أفراد نشطين وغاضبين وصاخبين للغاية على متنها. أحاطوا بالربان، صرخوا بتهديد في محاولة لجعل أنفسهم ومناصبهم تبدو مهمة، ثم ألقوا بأنفسهم بحماس على الأمتعة وممتلكات المسافرين.

- "إنهم يتحققون حتى قبل أن نرسو!" اشتكى القبطان، وهو يقترب من الويتشر والأستاذ. "هذا غير قانوني، أليس كذلك؟ بعد كل شيء، نحن لسنا على الأراضي الريدانية بعد. ريدانيا على الضفة اليمنى، على بعد نصف ميل من هنا!"

- "لا،" عارض الأستاذ. "الحدود بين ريدانيا وتيميريا تمر عبر مركز تيار بونتار."

- "وكيف بحق الجحيم تقيس تيارًا؟ هذه هي الدلتا! الجزر، والأراضي الضحلة، والصخور تتغير باستمرار في تخطيطها، الممر المائي مُختلف كل يوم! إنها لعنة حقيقية! هيه! أيها الصغير المُخاطي! أترك خطاف القارب وإلا سأسمر مؤخرتك باللونين الأسود والأزرق! سيدتي المحترمة! انتبهي لطفلك! ياله من لعنة حقيقية!"

- "إيفريت! اترك هذا وإلا ستتّسخ!"

- "ماذا يوجد في ذلك الصندوق؟" صرخ ضباط الجمارك. "هيه، حلّ تلك الحزمة! عربة من هذه؟ أي عملة؟ هل هناك أي عملة، أقول؟ نقود تيميرية أو نيلفجاردية؟"

- "هذه هي الطريقة التي تبدو عليها الحرب الجمركية،" علق لينوس بيت على الفوضى بتعبير حكيم على وجهه. "أجبر فيزيمير نوفجراد على تقديم رسوم جمركية. وانتقم

فولتيست من تيميريا بـ رسوم جمركية مُضادة أعلى في وايزيما وغورس فيلين. كانت تلك ضربة عظيمة للتجار الريدانيين، لذا زاد فيزيمير الضريبة على المنتجات التيميرية. إنه يدافع عن الاقتصاد الريداني. فتيميريا تغرق بالبضائع الرخيصة القادمة من مصانع نيلفجاردية. لهذا السبب ضباط الجمارك حريصون للغاية. وإذا عبرتْ الكثير من بضائع نيلفجارد الحدود سينهار حتماً الاقتصاد الريداني إذ لا يوجد في ريدانيا عمليًا مصانع، ولن يتمكن الحرفيون من التعامل مع المنافسة."

- "باختصار،" ابتسم جيرالت، "تستولي نيلفجارد ببطء على ما لم تستطع أخذه بالسلاح ببضائعها وذهبها. ألا تدافع تيميريا عن نفسها؟ ألم يُغلق فولتيست حدوده الجنوبية؟"

- "كيف؟ والبضائع تأتي عبر ماهكام، وبروج، وفيردين والموانئ في سيداريس. إن الربح هو كل ما يهتم به التجار لا السياسيون. إذا أغلق الملك فولتيست حدوده، ستُثير نقابات التجار جلبةً رهيبة... "

- "أيوجد لدكم أي عملة؟" زمجر ضابط جمارك يقترب بعيون دامية. "أي شيء لتصريحه؟"

- "أنا عالم!"

- "كن أميرًا إذا أردت! أنا أسألك عما أحضرته معك؟"

- "اتركهم، بوراتيك،" قال قائد المجموعة، ضابط جمارك طويل القامة وعريض المنكبين وله شارب أسود طويل. "ألا تعرف الويتشر؟ تحياتي، جيرالت. هل تعرفه؟ هل هو عالم؟ إذن أنت ذاهب إلى أوكسنفورت، أليس كذلك، يا سيدي؟ بدون أمتعة؟"

- "صحيح. إلى أوكسنفورت. بدون أمتعة."

- أخرج ضابط الجمارك منديلًا ضخمًا ومسح جبهته وشاربه ورقبته. "وكيف تسير الأمور اليوم، جيرالت؟" سأل. "هل أظهر الوحش نفسه؟"

- "لا. وأنت، أولسن، هل رأيت شيئًا؟"

- "ليس لديّ وقت للنظر حولي. أنا أعمل."

- أعلن إيفريت وهو يتسلل دون صوت: "والدي، هو أحد فرسان الملك فولتيست! ولديه شارب أكبر من شاربك!"

- "ابتعد، أيها الولد،" قال أولسن، ثم تنهد بشدة. "هل لديك أي فودكا، جيرالت؟"

- "لا."

- "لكن لديّ." أخرج الرجل المتعلم من الأكاديمية قربة مسطحة من حقيبته، لقد فاجأهم ذلك جميعهم.

- "ولديّ وجبة خفيفة،" تفاخر القبطان وهو يلوح وكأنه من العدم. بـ "بربوط مُدخن!"

- "ووالدي..."

"أهرب، أيها الصغير المُخاطي."

جلسوا على لفائف من الحبال في ظل العربات المتوقفة في وسط السفينة، يرتشفون من القربة ويلتهمون البربوط بالتناوب. كان على أولسن أن يتركهم للحظات عندما اندلع جدال. بينما كان تاجر قزم من ماهكام يُطالب بضريبة أقل ويحاول إقناع ضباط

الجمارك بأن الفراء الذي يُحضره ليس لثعلب فضي ولكنه لقط كبير بشكل استثنائي.
أما والدة إيفريت ذلك الطفل الفضولي والمتطفل فلم ترغب في الخضوع للتفتيش على الإطلاق، إذا أحدثت جلبة صارخةً برتبة زوجها وامتيازات النبلاء.

انزلقت السفينة ببطء - وهي تجرّ خصلات من النينوفار المُجمّع، وزنابق الماء، وأعشاب البركة على جانبيها - على طول المضيق الواسع بين الجزر المُغطاة بالشجيرات. وأخذ طنين النحل الطنان بشكل مُهدّد يتزايد بين القصب، بينما كانت السلاحف تصدر صوتًا من حين لآخر. بينما وقفت مجموعة من طائر الكركي على ساق واحدة محدقة في الماء بهدوءٍ وكأنها تعلم بأنه لا فائدة من الانفعال فعاجلاً أم آجلاً ستسبح إليهم سمكة من تلقاء نفسها.

- قال القبطان بوت باج وهو يلعقُ جلدَ سمكةِ القُدّ: «وما رأيُك أنت يا جيرالت؟».
«رحلةٌ أخرى هادئة؟ أتعلمُ ماذا أقول؟ ذلك الوحشُ ليس أحمقَ. إنه يعلمُ أنك كامنٌ في انتظاره. اسمعْ هذه القصة التي حدثت في قريتنا، كان هناك نهرٌ، وفي ذلك النهر عاشتْ قضاعةٌ كانت تتسللُ إلى حظيرةِ الدجاج لتخنقُها. كانت ماكرةً لدرجة أنها لم تكن تتسللْ أبداً حين يكونُ أبي موجوداً في المنزل، أو أنا وإخوتي. كانت تظهرُ فقط حين يبقى جدي وحيداً. وجدي—اسمعْ جيداً—كان ضعيفَ الذهنِ قليلاً، وقد شلَّ المرضُ ساقيه. وكأن تلك القضاعة اللعينة كانت تعلمُ ذلك. حسناً، ذات يومٍ قررَ أبي...»

- صاح التاجر القزم من وسط السفينة وهو يلوح بجلد الثعلب: «عشرة بالمئة من القيمة! هذا ما أدينك به ولن أدفع فلساً إضافياً!».

زمجر أولسن غاضباً: «إذن سأصادر كل البضاعة! وسأخبر حراس نوفجراد ليُسجنوك أنت و"قيمتك" معاً! هيا يا بوراتِك، احسب له كل فلس! مهلاً، هل تركتَ شيئاً لي؟ أم أنك قد التهمتَ كل شيء ؟»

- أفسح جيرالت مكاناً له على الحبال: «اجلس يا أولسن، يبدو أن وظيفتك قد جعلتك متوتراً كما أرى.»

- تنهد ضابط الجمارك ثم ارتشف من القربة ومسح شاربه: «آه، لقد سئمت حتى أذنيّ، سأستقيل وأعود إلى إيديرن. أنا مواطن شريف من فنغيربيرغ، جئت مع أختي وزوجها إلى ريدانيا، لكنني سأعود الآن. أتعلم يا جيرالت؟ قررت الانضمام للجيش عندما سمعت أن الملك ديمافيند يجنّد قوات خاصة، إستغرق مني الأمر ستة أشهر من التدريب في المعسكر، ثم حصلت على راتب جندي يعادل ما أجنيه هنا ثلاث مرات، بما فيه الرشاوى. تباً هذا السمك مالحٌ جداً.»

- أكد القبطان بوت باج: «سمعتُ عن هذا الجيش الخاص، الذي يُجهز لمواجهة السنجابيين لأن الجيش النظامي عاجز عن مواجهة الكوماندوز الإلفي. ويُقال أنهم يطلبون بشكل خاص نصف الإلف. لكن المعسكر الذي يدربهم على القتال جحيم حقاً، يخرج نصفهم براتب جندي، والنصف الآخر يُحمل إلى المقبرة أمواتاً.»

- قال ضابط الجمارك: «وهكذا يجب أن يكون الجيش الخاص، إنه ليس وحدة عادية. إنهم ليسوا مجرد حَمَلة دروع يُعلَّمون أي طرف من الرمح يطعن، بل جيش يقاتل بشراسة لا مثيل لها!».

- «أأنت مقاتل شرس هكذا يا أولسن؟ ألا تخشى السنجابيين؟ أن يثقبوا مؤخرتك بسهامهم؟»

- «يالك من تافه! أنا أعرف كيف أستخدم القوس وقد حاربتُ نيلفغارد من قبل، فالإلف لا يُخيفونني.»

- ارتعش القبطان بوت باج: «يُقال أنه إذا وقع أحد حياً بأيدي السكويَتايل... فمن الأفضل له ألا يُولد لأنه سيتعرض لتعذيب مُروّع.»

- «آه، اصمت يا رجل! إنك تتكلم كالنساء، الحرب هي الحرب. تضرب العدو في مؤخرته، ويضربك بالمثل، حتى الإلف الأسرى لا يُعاملون بلطف عندنا، فلا تقلق.»

- ألقى لينوس بيت رأس السمكة وعمودها الفقري في الماء قائلاً: «تكتيك الإرهاب العنف يولد العنف، لقد ترسخت الكراهية في القلوب ... وسمّمت دماء الأقربون...»

قطب أولسن حاجبيه: «ماذا؟ تكلّم بلغة مفهومة يارجل!»

- «إنها أزمنة عصيبة تحل بنا.»

- وافقه القبطان بوت باج: «هذا صحيح، هناك حرب كبرى قادمة، فالغربان تملأ السماء يومياً، وكأنها تشم رائحة الجثث. لقد تنبأت العرافة إيثلين بنهاية العالم، سيأتي النور الأبيض، ثم الصقيع الأبيض. أو العكس، نسيتُ التفاصيل، والناس يتحدثون عن علامات في السماء ...»

- «ركز على الممر المائي بدل السماء، وإلا ستجنح سفينتك إلى المياه الضحلة. آه، نحن الآن بمحاذاة أوكسنفورت. انظروا، برميل الصرف يظهر!»

بدأ الضباب يخف، فظهرت تلال المستنقعات على الضفة اليمنى، وفوقها جزء من القناة المائية.

- تباهى الأستاذ رافضاً القربة: «هذا يا سادة، محطة تجريبية لتنقية الصرف الصحي. إنجاز علمي عظيم للأكاديمية، أصلحنا القناة الإلفية القديمة، وقنوات تصريف المياه، ومصيدة الرواسب. ما تسمونه "البرميل" هو مصيدة الرواسب. يا له من نجاح باهر..»

صاح أولسن محذراً وهو يختبئ خلف السور: «انحَنوا! العام الماضي عندما انفجر ذلك الشيء طارت الفضلات حتى جزيرة الكركي.»

اخترقت البارجة الجزر حتى اختفى برج مصيدة الرواسب في الضباب، وتنفس الجميع الصعداء.

- «ألا تسلك طريق فرع أوكسنفورت يا بوت باج؟» سأل أولسن.

- «سأتوقف أولاً عند خليج الجوز لأخذ تجار السمك من الجانب التيميري.»

- «همم...» خدش الضابط عنقه. «في الخليج... اسمع يا جيرالت، ألست في خلاف مع التيميريين؟»

- «لماذا؟ هل سأل أحد عني؟»

«بالضبط، وكما طلبت مني، لقد راقبتُهم، إن حراس تيميريا يسألون عنك زملائي في الجمارك، لقد أخبروني بذلك، هناك شيء مريب يا جيرالت.»

- قال لينوس بيت مذعوراً وهو ينظر إلى القناة: «الماء!!».

- أشار القبطان بوت باج إلى الطفل إيفريت الذي كان لا يزال يتجول قربهم: «ذلك الصغير الحقير!».

قطّب الضابط حاجبيه قائلاً: «إن ما أعنيه، إسمع، قال حراس تيميريا إن الأسئلة كانت غريبة، يعرفون أنك تبحر مع بارجات مالاشيوس وجروك. سألوا... إن كنت تبحر وحدك أو أن أحداً قد كان معك، لا تضحك! يتحدثون عن فتاة قاصر تم رؤيتها برفقتك!»

ضحك القبطان بوت باج بينما نظر لينوس بيت إلى الويتشر بنظرة اشمئزاز تليق بمن يوجه له القانون اتهاماتٍ بشأن فتاة صغيرة.

- تمخّط أولسن: «لهذا ظن الحراس أن الأمر خصومة شخصية، عائلة الفتاة أو خطيبها لكن المُحرّك الحقيقي هو نبيلٌ فصيح، ثري، يُدعى رينس أو شيء مشابه لذلك، إن لديه ندبة حمراء على خده الأيسر، أتعرفه؟»

نهض جيرالت قائلاً: «بوت باج، سأنزل في خليج الجوز.»

- «ماذا؟ وماذا عن الوحش؟»

- «هذه مشكلتك.»

قاطعه أولسن: "بالحديث عن المشاكل، أنظر إلى الميمنة يا جيرالت. عندما يُذكر الشيطان.»

انبثق من خلف إحدى الجزر وسط الضباب المتصاعد زورقٌ أسود يرفرف علمه الفضّي المُزيّن بالزنابق، كان يحمل طاقماً من حراس تيميريا من ذوي القبعات المدببة.

أسرع جيرالت إلى حقيبته وأخرج الرسالتين - رسالة سيري ورسالة ينيفير - ثم مزقهما إلى قصاصات صغيرة وألقى بها في النهر، راقبه ضابط الجمارك بصمت.

- «ماذا تفعل، هل لي أن أسأل؟»

- «لاشيء يا بوت باج، لاتنس الإعتناء بفرسي.»

تجهم أولسن: «أتريد أن... هل تنوي ..»

- «ما أنويه هو شأني، لا تتدخل وإلا ستندم، إنهم يرفعون علم تيميريا.»

- «تباً لعلمهم!» حرك الضابط سيفه إلى مكانٍ أيسر في حزامه، ومسح درعه المزخرف بصورة نسر على خلفية حمراء. «طالما أنا هنا كمفتش، فهذه أرض ريدانية، لن أسمح...»

- قاطعه الويتشر ممسكاً بكمه: «أولسن، قلت لك لا تتدخل، الرجل ذو الوجه المحروق ليس على الزورق، يجب أن أعرف من هو وماذا يريد، عليَّ مواجهته.»

- «أتريد أن يُقيدوك؟ لا تكن أحمقاً! إن كانت هذه خصومة خاصة، فحالما تتجاوز الجزيرة سيطير جسدك إلى النهر مُثقلًا بالمرساة! ستواجه سرطان البحر في القاع!»

- «هؤلاء حراس تيميريا، وليسوا قطاع طرق.»

- «حقاً؟ انظر إلى وجوههم! على أي حال، سأكشف حقيقتهم الآن.»

اقترب الزورق بسرعة، فألقى أحد الحراس الحبل بينما ثبت الآخر خطافاً في درابزين البارجة.

- «أنا القبطان هنا!» وقف بوت باج عائقاً أمام ثلاثة رجال قفزوا إلى السطح. «هذه بارجة شركة مالاشيوس وجروك! ماذا تريدون... »

دفعه أصلع ممتلئ الجسم بعنف بذراعه الغليظة.

- «جيرالد الملقب بجيرالد من ريفيا!» زأر محدقاً في القبطان، «هل هو هنا؟»

- «لا.»

- «هذا أنا» تقدم جيرالت متخطياً الحزم والأمتعة. «أنا جيرالت. ما الأمر؟»

- «إني أقبض عليك باسم القانون.» حدق الأصلع في الركاب «أين الفتاة؟»

- «أنا وحيد.»

- «أتكذب!»

- «مهلاً.» خرج أولسن من خلف الويتشر ووضع يده على كتفه. «إهدأوا أيها السادة لقد قبضتُ عليه بالفعل بتهمة التهريب، وسآخذه إلى حرس أوكسنفورت.»

- «ماذا؟» تجهم الأصلع. «وأين الفتاة؟»

- «لا يوجد فتيات هنا.»

تطلع الحراس إلى بعضهم في حيرة. ابتسم أولسن بريبة ولوى شاربه الأسود.

- «تعالوا معنا إلى أوكسنفورت،» قالها بسخرية. «قائد الحرس هناك سيحل الأمر. أعرف أنه يعرف قائدكم في الخليج جيداً. أظن أنكم تحملون الأختام الرسمية معكم، أليس كذلك؟»

ظل الأصلع يحدق فيه كالوحش.

- انفجر فجأة: «لا وقت لدي! سآخذه إلى ضفتنا فوراً! إبحثوا عن الفتاة!»

قال أولسن ببطء: «انتظر، أنت في مياه ريدانيا، هل لديك ما تعلن عنه؟ سنفتش الزورق، وإن وجدنا شيئاً... سيكون عليكم زيارة أوكسنفورت رغماً عنكم.»

ظهر الطفل إيفريت فجأة بجانب الأصلع: «والدي فارس! سيفه أكبر من سيفك!»

اختطفه الأصلع من طوق معطفه ورفعه في الهواء، ممسكاً سيفه عند عنقه.

- زأر بصوتٍ أجش: «تراجعوا! أو أذبح هذا الوغد!»

- «إيفرييييت!» صرخت النبيلة.

- قال جيرالت بهدوء: « يالها من أساليب غريبة لحراس تيميريا تثير الشكوك.»

- هز الأصلع الصبي الذي صار يصرخ كخنزير صغير: «اخرس! اقبضوا عليه! وأنتم، أعطوني الفتاة أو أذبحه!»

- قال أولسن ممسكاً سيفه : «اذبحه إذاً أهو إبن لي؟ وبعدها سنتحدث.»

- ألقى جيرالت سيفه على الأرض وأوقف البحارة: «لا تتدخلوا! أنا بين أيديكم، أطلق سراح الصبي»

- «إلى الزورق!» تراجع الرجل الأصلع نحو حافة البارجة دون أن يطلق سراح الطفل إيفريت، وأمسك بحبل: «فيتيك، قيدوه! والباقون، هيا إلى المؤخرة! إن تحرك أحد، يموت الولد!»

- زمجر أولسن: «هل فقدت عقلك يا جيرالت؟».

- «لا تتدخل!»

- صاحت الأم المكلومة: «إيفريييت!»

اهتز الزورق التيميري وابتعَد عن البارجة فجأة، وانفجر الماء باندفاع، وظهرت زعنفتان مخضرتان شائكتان تشبهان أطراف فرس النبي، وأمسكتا بالحارس الذي يمسك خطاف القارب وسحبتاه تحت الماء في لمح البصر.

صاح الحارس الأصلع بعنف:" أفلت الطفل، وتشبث بالحبال المتدلية من جانب الزورق"

سقط إيفريت في الماء الذي بدأ يتحول إلى اللون الأحمر. كان الجميع يصرخ - من على البارجة والزورق- كالممسوسين.

تحرر جيرالت من الرجلين اللذين حاولا تقييده، ضرب أحدهما في الذقن وألقاه في الماء بينما حاول الآخر مهاجمته بخطاف حديدي لكنه ترنح وسقط بين يدي أولسن بعد أن غرس سيفه في أضلاعه حتى المقبض.

قفز الويتشر فوق السور المنخفض قبل أن يطبق عليه الماء الكثيف بالطحالب.

سُمع لينوس بيت - محاضر التاريخ الطبيعي في أكاديمية أوكسنفورت- يصرخ: «ما هذا الكائن؟ أي فصيلة هذه؟ لا وجود لمثل هذا الحيوان!»

ظهر جيرالت بجانب الزورق التيميري، متجنباً بأعجوبة رمح الصيد الذي وجهه أحد رجال الأصلع نحوه. لم يكن لدى الحارس وقت لضربه مرة أخرى قبل أن يسقط في

الماء بسهم في حلقه. أمسك جيرالت بالرمح المُلقى، ودفع بقوة بقدميه ضد جانب الزورق، ثم غاص في الدوامة الهائجة وطعن بعنف في شيء ما، آملاً ألا يكون إيفريت.

«هذا مستحيل!» سمعت صيحات الأستاذ «هذا الكائن لا يمكن أن يوجد! على الأقل، لا ينبغي له!»

أنا أتفق مع هذا الرأي تماماً، فكر الويتشر وهو يطعن درع الإيشنا المُغطى بالنتوءات الصلبة بينما كانت جثة الحارس التيميري تتمايل بين فكي الوحش المنقاريين، تاركةً أثراً من الدم. لوحت الإيشنا بذيلها المسطح بعنف وغاصت إلى القاع، مُثيرةً سحابة من الطمي.

سُمع صراخ خافت. كان إيفريت يحرك الماء مثل جرو صغير، ثم أمسك بساقي الأصلع بينما محاولاً الصعود إلى الزورق عبر الحبال المتدلية إلا أن الحبل انقطع واختفى الاثنان تحت الماء بغطسةٍ غارقة.

انقض جيرالت في اتجاههما وغاص. والحقيقة أنه عثوره على طوق إيفريت المُغطى بالفراء كانت محض حظ، انتزع الفرو من بين الطحالب وسبح إلى السطح، وركل بقدميه سباحةً حتى وصل إلى البارجة.

«هنا يا جيرالت!» سُمعت أصواتاً متداخلة: «أعطيه هذا!»، «الحبل! أمسك بالحبل!»، «اللعنة!»، «إستخدم الخطاف!»، «ابني!».

انتزع أحدهم الصبي من بين ذراعيه ورفعه، وفي نفس اللحظة أمسك به آخر من الخلفوضربه في مؤخرة رأسه، ودفعه تحت الماء بجسمه الضخم. أفلت جيرالت من

رمح الصيد، التفت وأمسك بالمعتدي من حزامه. حاول الإمساك بشعره لكن دون جدوى. كان الأصلع.

ظهر الرجلان للحظة، كان الزورق التيميري قد ابتعد قليلاً، وأصبح جيرالت والأصلع المتشابكان في عناق بينهما، أمسك الأصلع بحلق جيرالت؛ غرس الويتشر إبهامه في عينه. صاح الحارس وأفلته وسبح بعيداً.

لم يستطع جيرالت السباحة، هناك شيء ما أمسك بساقه وسحبه إلى الأعماق. وبجانبه، طفت نصف جثة كالفَلّينة. حينها عرف ما يمسكه؛ لم يحتج إلى معلومات لينوس بيت التي صرخ بها من على البارجة:

- «إنه من المفصليات! رتبة البرمائيات! مجموعة الماندييولاتيسيماي!»

رفس جيرالت الماء بعنف، محاولاً تحرير ساقه من مخالب الإيشنا التي تجذبه نحو فكيها المطبقيْن بإيقاع. كان الأستاذ محقاً مرة أخرى. الفكان لم يكونا صغيرين أبداً.

- صاح أولسن «أمسك بالحبل! الحبل، أمسكه!» مر رمح صيد بجانب أذن الويتشر وانغرس في درع الوحش المغطى بالطحالب. لكن جيرالت أمسك بالرمح، ودفعه بقوة، قفز بعيداً، وركل الإيشنا بساقه الحرة. تحرر من المخالب الشائكة، تاركاً حذاءه وجزءاً من سرواله وجلداً كثيراً.

حلقت حراب كثيرة أخرى في الهواء، ورغم أن معظمها أخطأ الهدف فقد سحبت الإيشنا مخالبها، ولوحت بذيلها وغاصت برشاقة في الأعماق الخضراء.

أمسك جيرالت بالحبل الذي سقط على وجهه، وآلمه الخطاف في جنبه، كان هناك شبك معلق بحزامه. شعر بالأيادي تجذبه، صعد إلى الأعلى، وسُحب بأيدي كثيرة فوق

السور، حيث تدحرج على سطح السفينة مبللاً بالماء والطين والأعشاب والدم. تجمع الركاب والبحارة وضباط الجمارك حوله. أولسن والقزم صاحب فراء الثعلب كانا يطلقان السهام من على السور. إيفريت، الرطب والمغطى بالطحالب، كان يرتجف ويبكي بين ذراعي أمه، مُعلناً للجميع أنه لم يقصد ما فعل.

- صاح بوت باج بأذنه: «جيرالت! هل أنت ميت؟»

- بصق الويتشر الأعشاب البحرية قائلاً: «اللعنة... أنا أكبر من هذا النوع من المغامرات... أكبر...»

بجانبه، أطلق القزم وتر قوسه، فهتف أولسن مبتهجاً:

«مباشرة في البطن! أوه ها ها! طلقة رائعة يا صديقي الأشعر! هيّا يا بوراتك، أعِدْ له نقوده! يستحق خصماً ضريبياً على هذه الطلقة!»

- «توقفوا...» زفر جيرالت، محاولاً النهوض دون جدوى. «لا تقتلوهم جميعاً! أحتاج واحداً منهم حياً!»

- «تركناه،» طمأنه ضابط الجمارك. «لقد قتلنا الباقين. لكن الأصلع الذي كان يتشاجر معي هناك يسبح بعيداً، سأصطاده الآن. هاتوا الخطاطيف!»

«اكتشاف عظيم!» صاح لينوس بيت وهو يقفز بجانب البارجة. «نوع جديد تماماً غير معروف للعلم! فريدٌ تماماً! أشكرك يا ويتشر! من اليوم، سيُدعى هذا النوع في الكتب باسم... جيرالتيا ماكسيليوزا بيتي!»

- «يا أستاذ،» تَأوَّه جيرالت، «إن أردتَ حقاً شكري، فسَمِّهِ إيفريتيا.»

- «اسمٌ جميل،» وافق العالم مُبتسماً. «يا له من كائن فريد! لا شك أنه الوحيد في الدلتا...»

- «لا،» قاطعَه القبطان بوت باج بصرامة. «ليس الوحيد. انظروا!»

ارتعشت بعض من زنابق الماء قرب الجزيرة، وانقض جسدٌ طويل يشبه جذعاً متعفناً، يرفس بمخالبه وينقر بفكيه، صاح الأصلع مرعوباً وحاول الهرب، وأخذ يخبط الماء بذراعيه بعنف.

- همس بيت مبهوراً : «يا له من عيّنة! ... أطراف رأسية قابضة، أربعة أزواج من الكلابات... ذيل قوي... مخالب حادة...»

نظر الأصلع خلفه في هلع، وزاد صراخه. وانقضت الإيفريتيا ماكسيليوزا بيتي بأطرافها الحادة عليه ملوحة بذيلها بينما كان الرجل الأصلع يسبح بيأس.

- «ليخفف الماء عنه،» قال أولسن دون أن يخلع قبعته.

- نَقَّر إيفريت بأسنانه: «والدي، يسبح أسرع من ذلك الرجل!»

- زمجر الويتشر: «أبعدوا الطفل».

انفتحت مخالب الوحش وانطبق فكيه على بعضهما، شحب وجه لينوس بيت وأدار رأسه، ومالبث الأصلع أن اختنق بصرخة قصيرة، ثم اختفى تحت سطح الماء الدامي.

جلس جيرالت على السطح: «اللعنة، أنا أكبر من هذا... أكبر بكثير...»

* * *

ماذا يُقال بعد؟ دانديليون ببساطة عشق مدينة أوكسنفورت.

كانت أراضي الجامعة محاطة بجدار، وحول هذا الجدار حلقة أخرى، بلدة صاخبة تنبض بالحياة، بشوارعها الخشبية الملونة وسقوفها المدببة. مدينة تعيش على الأكاديمية وطلابها وأساتذتها، حيث تُحوَّل النظريات إلى تجارة وابتكارات. مئات الورش والدكاكين تبيع ما لا يُوجد في بقاع العالم الأخرى: مراهم سحرية، تمائم، إكسيرات، وأطعمة غريبة تفوح بروائح التوابل المجهولة.

مر الشاعر ببطء عبر الطين المزدحم، متفادياً الباعة الجائلين وصراخهم:

- «حبار مشوي!»

- «مرهم للبثور! فعال ومضمون!»

- «قطط سحرية تصطاد الفئران! اسمعوا مواءها!»

- «خلودات! جرعات حب! حتى الجثة ستنهض بنشاط!»

- «قلع أسنان! غير مؤلم تقريباً! بسعر زهيد!»

- «زهيد؟» سأل دانديليون وهو يعض حباراً قاسياً كالحذاء.

- «فلْسان لكل ساعة!»

ارتجف الشاعر وأسرع بحصانه. وعندما التفت خلسة. رأى الرجلين اللذين يتبعانه منذ قاعة المدينة يتظاهران بالاهتمام بأسعار الحلاق. لكنه عرف هدفهما الحقيقي.

مر بمبنى «برعم الوردة» الفاخر، حيث تُقدَّم خدماتٌ «مُتطورة» لا تُعرف خارج أوكسنفورت. حارب رغبته في الدخول ساعة... وانتصَر العقل. تنهد وواصل طريقه نحو الجامعة، محاولاً عدم الالتفات للحانات التي تُطلِق أصوات السُكر والمرح.

نعم، دانديليون قد أحب هذه المدينة.

عبر بوابة الفلاسفة إلى عالم آخر. هنا، حيث تُحفَظ الهندسة الإلفية بأنهارها الصغيرة وجسورها المزخرفة، يختفي صخب التجارة. طلابٌ يدرسون على المقاعد، أساتذةٌ يتناقشون بوقار، وقرد أورانغوتان هارب من حديقة الحيوانات يجلس على شجرة الحور.

لم يُضعْ الوقت وسار بسرعة عبر الممرات المعروفة. لقد درس هنا أربع سنوات، ثم درَّس الشعر عاماً قبل أن تهزمه روح الترحال. كانت الأكاديمية تحاول دائماً إغراءه بالعودة، لكن حب التنافس بين حريته وراحته كان أقوى.

التفت خلفه. الرجلان اللذان لم يشتريا أي نايات أو مزامير أو كمانات، كانا يسيران خلفه على بُعد، يُحدقان في قمم الأشجار وواجهات المباني باهتمام مُفرط.

أخذ الشاعر يُغني بلهفة، غيَّر اتجاهه نحو القصر الذي يضم كلية الطب والأعشاب الطبية. ازدحم الممر المؤدي للكلية بطالبات يرتدين عباءات خضراء باهتة مميزة. بدأ دانديليون يبحث بتركيز بين الوجوه بحثًا عن مألوف.

- «شاني!»

رفعت طالبة طب شابة بشعر كستنائي مقطوع أسفل أذنيها رأسها من كتاب تشريح ونهضت من مقعدها.

- «دانديليون!» ابتسمت وهي تضيق عينيها البندقيتين السعيدتين. «لم أرك منذ سنوات! تعال، سأقدمك لأصدقائي. إنهم يعشقون قصائدك!»

- «لاحقًا،» همس الشاعر. «انظري بحذر هناك يا شاني. أترين هذين الاثنين؟»

«جواسيس.» قزَّمت الطالبة أنفها المرفوع وزفرت بأنفاسٍ عالية، مما أدهش دانديليون - ليس للمرة الأولى - لسهولة تعرف الطلاب على عملاء السرايا والجاسوسية. كراهية الطلاب للأجهزة السرية كانت أسطورية، وإن كانت غير عقلانية. أراضي الجامعة كانت حرمًا مقدسًا، والطلاب والمحاضرين بمنأى عن المساءلة هنا - ورغم تطفل الجهاز، لم يجرؤ أحد على مضايقة الأكاديميين.

قال دانديليون متظاهرًا بمعانقة الطالبة ومغازلتها: «لقد كانوا يتبعونني منذ السوق، هل يمكنكِ فعل شيءٍ لي يا شاني؟»

- أمالت الفتاة عنقها الرشيق كغزالةٍ خائفة: «يعتمد على ما إذا كنتَ قد تورطتَ في حماقةٍ مجددًا...»

- «لا، لا،» طمأنها بسرعة. «أريد فقط إيصال معلومات ولا أستطيع مع هؤلاء القذَراء الملتصقين بكعبي ..»

- «هل أدعو الشباب؟ صرخة واحدة وسأخلصك منهم!»

«بحقك! أتريدين إشعال فتنة؟ المشكلة حول مقاعد غير البشر بالكاد انتهت، وتتوقين لمزيد؟ بالإضافة أني أكره العنف. سأتعامل مع الجواسيس. لكن إن استطعتِ...»

أدنَى شفتيه من شعرها وهمس بشيءٍ ما. اتسعت عينا شاني.

- «ويتشر؟ ويتشر حقيقي؟»

- «اخفضي صوتكِ، بحق الآلهة! هل ستفعلينها يا شاني؟»

- «بالطبع.» ابتسمت الطالبة بحماس. «فقط بدافع الفضول لأرى عن قرب الشهير.. »

«أهدئي! تذكري: لا تنطقي بكلمة لأحد.»

«سرٌ طبي.» ازدادت ابتسامتها جمالًا، بينما انتاب دانديليون رغبةٌ مفاجئة في تأليف أغنية عن فتياتٍ مثلها - لسنَ جميلاتٍ تقليديًّا لكن جمالهن يلازم الأحلام ليلًا بينما تُنسى الآلهات بعد دقائق.

- «شكرًا يا شاني.»

- «لا تقلق يا دانديليون. أراك لاحقًا.» بعد تقبيل خدود الوداع، انطلق الاثنان في اتجاهين متعاكسين - هي نحو الكلية، وهو نحو حديقة المفكرين.

مرَّ بمبنى كلية التكنولوجيا الحديث الكئيب، الملقب «ديوس إكس ماشينا» من الطلاب، واتجه نحو جسر جيلدنستيرن. لكنه لم يبتعد كثيرًا. كان رجلان يتربصان خلف زاويةٍ قرب تمثال نصفي برونزي لأول رئيس أكاديمية، نيكوديموس دي بوت. ككل جواسيس العالم، تجنبا التقاء الأعين، وكلاهما ببشرة شاحبة وخشنة حاولا جاهدين تزيينها بتعابين ذكية، فبدوا كقردةٍ مخبولين.

- « ديجكسترا يبلغك تحياته» قال أحد الجاسوسين. «هيا بنا ..»

- «وأنت كذلك،» ردَّ الشاعر بوقاحة. «يمكنكم الذهاب»

تطلَّع الجاسوسان لبعضهما ثم تظاهرا بالتركيز على كلمةٍ بذيئة مكتوبة بالفحم على قاعدة التمثال.

تنهد دانديليون: «كما توقعت،» قال ضابطًا عوده على كتفه. «إذن سأضطر لمرافقتكم؟ حسنًا. تقدموا وأنا خلفكم. في هذه الحالة، العمرُ قبل الجمال.»

* * *

ديجكسترا، رئيس جهاز الاستخبارات السري لملك ريدانيا فيزيمير، لم يكن يشبه الجاسوس النمطي، فقد ابتعد كل البعد عن الصورة النمطية للجاسوس القصير النحيل ذي العيون الفاحصة التي ترمق نظرات خاطفة من تحت قناع أسود.

كما يعرف دانديليون جيدًا، كان ديجكسترا يرفض ارتداء الأقنعة ويُفضِّل الملابس الزاهية الألوان، كان طوله يقارب السبعة أقدام، ووزنه يقترب من مئتي كيلوغرام، وعندما يطوي ذراعيه على صدره - وهو فعل كان يُمارسه ببهجة معتادة - بدا وكأن حوتَي عنبر يرقدان على ظهر حوت ضخم. ومن حيث الملامح ولون البشرة والشعر، بدا كخنزيرٍ نُظف حديثًا.

كان دانديليون يعلم قليلًا عن أشخاص يُخفي مظهرهم خداعًا كخداع ديجكسترا، فهذا العملاق الممتلئ الذي ينقل انطباعًا بالبلادة والخمول، كان يمتلك عقلًا حادًّا استثنائيًّا وسلطةً هائلة. كان المثل الشائع في بلاط فيزيمير يقول: "إذا أعلن ديجكسترا أنها الظهيرة بينما الظلام يخيم، فاعلم أن مصير الشمس أصبح في خطر".

لكن الشاعر اليوم كان لديه أسباب أخرى للقلق.

- قال ديجكسترا بنعاس وهو يطوي ذراعيه كحوتين: "دانديليون"، "أيها الأحمق متبلد الذهن. أيها الغبي المطبق. هل يجب أن تُفسد كل ما تلمسه؟ ألم تستطع، ولو لمرة واحدة في حياتك، أن تفعل شيئًا صحيحًا؟ أعلم أنك لا تستطيع التفكير بنفسك. أعلم أنك قاربت الأربعين، تبدو كثلاثيني، تتصرف كعشريني، وتفكر كطفلٍ في العاشرة. ولإدراكي هذا، أوصيك عادةً بتعليمات مفصلة. أخبرك ما عليك فعله، ومتى وكيف. لكنني أشعر دائمًا أنني أخاطب حائطًا صامتًا".

- ردَّ الشاعر متظاهرًا بالوقاحة: "أما أنا فلدي انطباعٌ دائمٌ أنك تتحدث لمجرد تحريك شفتيك ولسانك، إنتقل إلى صلب الموضوع، وتخلَّ عن الزخارف اللفظية والخطب العقيمة. ما قصدك هذه المرة؟"

كانوا جالسين حول طاولة بلوط ضخمة بين رفوفٍ مزدحمة بالكتب ولفائف الرق، في الطابق العلوي من مكاتب نائب المستشار، داخل غرفٍ أطلق عليها ديجكسترا اسم "كلية التاريخ المعاصر للغاية"، بينما أطلق عليها دانديليون اسم "كلية التجسس المقارن والتخريب التطبيقي".

كان الحاضرون أربعة: بالإضافة إلى ديجكسترا، كان هناك شخصان آخران - أحدهما أوري ريفين، السكرتير العجوز الدائم الشمّ لرئيس جواسيس ريدانيا، والآخر... لم يكن شخصًا عاديًا.

- "أنت تعرف جيدًا ما أقصده"، ردَّ ديجكسترا ببرودة. "لكن بما أنك تُصر على لعب دور الأبله، سأشرح لك بكلمات بسيطة. أو ربما تُفضل أن تتولى فيليبا المهمة؟"

التفت دانديليون نحو الشخص الرابع في الغرفة، الذي ظل صامتًا حتى الآن. فيليبا إيلهارت - التي لا بد أنها وصلت إلى أوكسنفورت حديثًا أو كانت تستعد للمغادرة فورًا

إذ لم تكن ترتدي فستانًا أو حليّها المفضلة من عقيق أسود، ولا حتى مكياجًا لافتًا. كانت ترتدي سترة رجالية قصيرة وسراويل ضيقة وحذاءً عاليًا - ما أسماه الشاعر "زيّ الميدان". شعر الساحرة الداكن، الذي اعتاد أن يتدفق بكثافة فوضوية، كان الآن مُسرَّحًا بانتظام ومربوطًا عند مؤخرة رقبتها.

- "دعونا لا نضيع الوقت"، قالت ذلك رافعةً حاجبيها المتساويين. "دانديليون محق. يمكننا الاستغناء عن البلاغة الفارغة حين تكون القضية بهذه البساطة والسطحية".

"آه، حتى لو كانت سطحية"، ابتسم ديجكسترا. "عميل نيلفغاردي خطير، كان من الممكن بكل بساطة إلقاؤه في أعمق زنزانة في تريتوجور، هرب ببساطة بفضل حماقة سطحية من اثنين يُدعيان دانديليون وجيرالت. رأيت أناسًا يُساقون إلى المشنقة لأسباب أقل سطحية. لماذا لم تُعلمني بكمينك يا دانديليون؟ ألم أوصِك بإبلاغي بكل نوايا الويتشر؟"

"لم أكن أعرف شيئًا عن خطط جيرالت"، كذب الشاعر بثقة. "أخبرتك أنه ذهب إلى تيميريا وسودين للقضاء على هذا رينس. وأخبرتك أيضًا أنه عاد. ظننت أنه استسلم. رينس تبخر في الهواء حرفيًا، الويتشر لم يجد أثرًا له - وهذا، إذا تذكر، أخبرتك به أيضًا..."

- قاطعَه الجاسوس بجليدية: "كذبت فالويتشر وجد آثار رينس جثثاً هامدة، حينها قرر تغيير خططه، وبدلًا من ملاحقة رينس، قرر انتظار أن يجدَه رينس، وانضم إلى بارجات شركة مالاشيوس وجروك كحارس. فعل ذلك عمدًا. علم أن الشركة ستعلن عن ذلك في كل مكان، وأن رينس سيسمع بالأمر ويحاول فعل شيء ما. وهكذا فعل رينس، السيد رينس الغامض المُحيِّر. السيد رينس الوقح الواثق الذي لا يكلف نفسه حتى باستخدام

أسماء مستعارة، السيد رينس الذي تفوح منه رائحة دخان مداخن نيلفغارد من مسافة ميل، ورائحة الساحر المتمرد. أليس كذلك يا فيليبا؟"

لم تؤكد الساحرة أو تنفي. ظلت صامتة، تراقب دانديليون بتحديقٍ حاد. أخفض الشاعر عينيه وتمتم مترددًا. لم تعجبه نظرات كهذه.

كان دانديليون يُصنف النساء - بما فيهن الساحرات - إلى: مُعجَبٌ بهن جدًا، مُعجَبٌ بهن، غير مُعجَبٍ بهن، وغير مُعجَبٍ بهن إطلاقًا. الفئة الأولى كن يُجبن دعوة الفراش بفرحٍ مستسلم، والثانية بابتسامةٍ راضية. أما الثالثة فكن يتصرفن بطرق غير متوقعة. أما الرابعة، فقد كن - في نظر الشاعر - من تجعل مجرد التفكير في تقديم مثل هذه الدعوة يُصيبه بقشعريرة في الظهر ورعشة في الركبتين.

فيليبا إيلهارت، رغم جاذبيتها البارعة، كانت بلا شك من الفئة "غير المُعجب بها إطلاقًا". بالإضافة إلى ذلك، كانت شخصيةً محورية في مجلس السحرة، وساحرة البلاط الموثوقة للملك فيزيمير. كانت ساحرة موهوبة للغاية، ويُشاع أنها إحدى القلائل التي أتقنت فن التحول الشكلي. بدت في الثلاثينيات، لكنها في الحقيقة كانت على الأرجح تجاوزت الثلاثمائة عام.

طوى ديجكسترا أصابعه الممتلئة فوق بطنه، وبدأ يحرك إبهاميه ببطء. ظلت فيليبا صامتة. بينما كان أوري ريفن يسعل حيناً، ويشُم، ويتململ، ويُعدل رداءه الفضفاض باستمرار والذي يشبه رداء الأستاذ الجامعي، لكنه بدا كما لو انتُشل من مكب نفايات.

"مع ذلك،" هدر الجاسوس فجأة، "أخفق ويتشرك في تقدير السيد رينس. نصب فخًا، لكنه - بغباءٍ فاضح - افترض أن رينس سيأتي شخصيًا. وفقًا لخطة الويتشر، كان على رينس أن يشعر بالأمان، و ألا يشم رائحة الفخ، وألا يكتشف رجال ديجكسترا

المُتربصين. لأنك - بتعليمات الويتشر - لم تُخبر ديجكسترا بالكمين. بينما كانت تعليماتك واضحة: إبلاغي بكل شيء. لكنك استهنتَ بها."

- انتفخ الشاعر بكبرياء: "أنا لست أحد مرؤوسيك، ولا ألتزم بتعليماتك. أتعاون معك أحيانًا طوعًا، بدافع وطني، لا أن أقف مكتوف الأيدي أمام التغييرات القادمة..."

- قاطعَه ديجكسترا ببرود: "أنت تجسس لمن يدفع، وتوشي بمن يمسك بخيوطك، وأنا أملك خيوطًا كثيرةً بحقك. فلا تتصنع البطولة."

- "لن أستسلم للابتزاز!"

- "أتراهن؟"

- رفعت فيليبا إيلهارت يدها:"يا سادة، لنكن جادين، من فضلكم. لنركز على صلب الموضوع."

- تمدد الجاسوس في كرسيه: "أنتِ محقّة، إسمعْ أيها الشاعر، ما حدث قد حدث، إن رينس حذر ولن ينخدع مجددًا، لكنني لا أستطيع السماح بتكرار هذا، لذلك أريد مقابلة الويتشر، أحضره إليّ، وتوقف عن التهرب من عملائي في المدينة، اذهب مباشرةً إلى جيرالت وأتِ به إلى الكلية، يجب أن أتحدث معه. وجهًا لوجه، دون شهود، ودون ضجيج أو اعتقال يلفت الأنظار. أحضره، هذه كل ما أطلبه منك الآن."

- كذب الشاعر بهدوء: "جيرالت رحل،".

إلتفت ديجكسترا نحو الساحرة. توقّع دانديليون أن تشعر بذبذبات سحرية تفحص أفكاره، لكنه لم يحس بشيء، فيليبا كانت تراقبه بعيون ضيقة، لكن لا شيء دلّ على استخدامها التعويذات.

- تنهد ديجكسترا متظاهرًا بالتصديق: "سأنتظر عودته إذن،، فالأمر مهم، لذا سأعدّل جدولي وأنتظره، وعندما يعود، أحضره، كلما كان ذلك أسرع، كان أفضل... للجميع."

- "قد أواجه صعوبةً في إقناعه،" عبس الشاعر. "هو يكره الجواسيس كرهًا عميقًا. رغم إدراكه أنهم يؤدون دورًا كأي وظيفة، إلا أنه يعتبرهم أوغادًا من أسفل السلم..."

- لوح الجاسوس بيده باستياء: "كفى،" "لا حاجة للخطب الرنانة."

قال دانديليون ساخراً: "أوافقك الرأي، لكن الويتشر رجل بسيط، صريح، يرفض التعاون مع الأجهزة السرية. وأنت لا تملك ما تُهدده به."

ابتسم ديجكسترا: "أنت مخطئ، أملك ذلك، فمشاجرته على البارجة قرب خليج الجوز كافية، أتعلم من كان أولئك الرجال؟ لم يكونوا تابعين لرينس."

- قال الشاعر باستخفاف: "هذا ليس جديدًا، إنهم مجرد أوغاد من حراس تيميريا. أرادوا اختطافه وبيعه لرينس. لكنهم فشلوا."

- سخر الجاسوس: "تهانينا على فطنتك، لكن الأمر أعقد من ذلك، زملائي في جهاز تيميريا السري كانوا وراء الهجوم، لقد قتل الويتشر عملاء تيميريا، ورئيسهم غاضب جدًا. هل أنت متأكد أنه رحل؟ أتمنى ألا يكون ذهب إلى تيميريا. فقد لا يعود أبدًا."

- "أهذا كل ما لديك ضده؟"

- "بالضبط. أستطيع تهدئة التيميريين... لكن ليس مجانًا. أين ذهب الويتشر؟"

- كذب الشاعر بسرعة : "إلى نوفجراد، باحثًا عن رينس."

- ابتسم ديجكسترا متجاهلًا الكذبة: "خطأ فادح، كان سيوفر عناءه لو تعاون معي، رينس ليس في نوفجراد، لكن عملاء تيميريا هناك بانتظاره. لقد أدركوا ما عرفته منذ فترة: أن جيرالت من ريفيا يملك إجاباتٍ على أسئلة تُقلق ممالك الشمال الأربع. الصفقة بسيطة: يأتي الويتشر هنا، يُجيب على أسئلتي... ويُترك في سلام، وأنا سأهدئ التيميريين وأضمن أمانه."

- "عن أي أسئلة تتحدث؟ ربما أستطيع الإجابة عليها؟"
- "لا تُضحكني يا دانديليون".

- قالت فيليبا إيلهارت فجأة: "مع ذلك ربما يستطيع؟ ربما يوفر علينا بعض الوقت؟ لا تنسَ يا ديجكسترا، شاعرنا متورط في هذه القضية حتى أذنيه، وهو هنا بينما الويتشر ليس كذلك. أين الطفلة التي شوهدت مع جيرالت في كيدوين؟ الفتاة ذات الشعر الرمادي والعيون الخضراء؟ تلك التي سألك عنها رينس في تيميريا عندما قبض عليك وعذبك؟ ماذا تعرف عنها؟ أين أخفاها الويتشر؟ إلى أين ذهبت ينيفير بعد استلامها رسالة جيرالت؟ أين تختفي تريس ميريجولد، ولماذا؟"

لم يتحرك ديجكسترا، لكن نظرة سريعة للساحرة كشفت لدانديليون أن الجاسوس مُتلكئ. الأسئلة التي طرحتها فيليبا جاءت مبكرة، وموجهة للشخص الخطأ. لكن المشكلة أن فيليبا لا تُوصف بالتهور.

- قال ببطء: "آسف، لا أعرف إجابات أيٍ من هذه الأسئلة، لو استطعت المساعدة لفعلت".

حدقت فيه فيليبا مباشرةً وهمست: "دانديليون، إن كنت تعرف مكان الفتاة، أخبرنا. أؤكد أننا نريد حمايتها فقط".

"لا أشك في ذلك،" كذب الشاعر. "لكنني حقًا لا أعرف ما تتحدثون عنه. لم أرَ الطفلة قط. وجيرالت.."

- قاطعه ديجكسترا : "جيرالت لم يثق بك، ولم يهمس لك بكلمة رغم فضولك. أتعلم لماذا؟ ربما لأن هذا ' الرجل البسيط' الذي يحتقر الجواسيس شعر بحقيقتك؟ دعيه يا فيليبا، إنه لا يعرف شيئًا. دوره الوحيد هو إحضار الويتشر عندما يظهر".

- رفع دانديليون رأسه ببطء: "بل يعتبرني صديقًا، تيقن من هذه الحقيقة واستخلص نتائجك".

- ابتسم الجاسوس: "حسنًا، لا تغضب. كنت أمزح، أإبتزاز بين رفاق؟ مستحيل. صدقني، لا أريد إيذاء الويتشر. ربما نتفق لصالحنا معًا؟ لذلك، يجب أن أراه، أحضره عندما يعود. أطلب منك ذلك بكل جدية".

- "فهمت 'جديتك"'.

- "أتمنى ذلك. اذهب الآن. أوري، أرِ الشاعر الباب".

- "وداعًا،" نهض دانديليون. "حظًا موفقًا.. تحياتي لك يافيليبا، وأنت يا ديجكسترا! المطارِدون الذين يلاحقوني... أوقِفهم".

- كذب الجاسوس: "بالطبع سأفعل، ألا تصدقني؟"
- كذب الشاعر: "بلى، أصدقك".

* * *

بقي دانديليون داخل الأكاديمية حتى المساء، يتفقد حوله بلا كلل، عدم رؤيته للمطارِدين أقلقه أكثر.

حضر محاضرة عن الشعر الكلاسيكي، ثم غفا خلال ندوة عن الشعر الحديث. أيقظه أساتذة يعرفهم، وانضم إلى نقاش فلسفي محتدم عن "أصل الحياة". مع حلول الظلام، كان نصف الحضور ثملًا، بينما يستعد الباقون للعراك. الفوضى ساعدته على التسلل.

انزلق إلى العلية، تسلق من فتحة النافذة، وانزلق عبر المزاريب إلى سطح المكتبة، ثم قفز إلى مسرح التشريح. من هناك، تسلل إلى الحديقة المجاورة للجدار، ووجد حفرةً قديمةً وسعها أيامَ كان طالبًا. عبر إلى شوارعِ أوكسنفورت.

اختبأ في الظل قرب إسطبل العربات، ثم تسلق سقف منزل نديمه في شرب الجعة فولفغانغ. أخيرًا، وصل إلى نافذة غرفة صغيرة مضاءة بمصباح زيتي.

- طرق النافذة وهمس: "جيرالت! افتح!"

- "انتظر... لا تدخل!"

دفع النافذة ودخل: "أليس لديك ضيفة؟"

لاحظ عباءة طالبة الطب الخضراء على الأرض. فتح فمه مندهشًا: "شاني! لي ..."

"لا تعليقات،" جلس الويتشر على السرير، بينما شدت شاني الغطاء حتى أنفها.

"بما أنك جئت عبر النافذة،" قال جيرالت وهو يلبس بنطاله، "فلابد أن الأمر مهم. وإلا سأرميك من حيث أتيت."

جلس الشاعر على الكرسي، محدقًا بشاني وهي تلبس قميصها خجلًا.

- قال دانديليون بجفاف: "إحزم أمتعتك، إن رحيلك ضروري... وفوري."

- "كم نسبة هذه الفورية؟"

- "استثنائية."

"شاني أخبرتني عن المطارِدين. هل خلصت منهم؟"

- "أنت لا تفهم شيئًا."

- "رينس؟"

- "أسوأ."

- "إذن... التيميريون؟ تريتوجور؟ ديجكسترا؟"

- "أَصَبْتَ."

- "هذا ليس سببًا كافيًا..."

- قاطعه دانديليون: "بل هو كافٍ لم يعودوا مهتمين برينس يا جيرالت. إنهم يطاردون الفتاة وينيفير. ديجكسترا يريد معرفة مكانهما، سيُجبرك على الكشف. أتفهم الآن؟"

- "أفهم ذلك، إذن سنهرب، هل يجب أن يكون عبر النافذة؟"

- "بالتأكيد. شاني، هل تستطيعين؟"

همدت طالبة الطب ثوبها بنفَسٍ هادئ:

- "لن تكون أول نافذة أتسلقها."

- "كنتُ متأكدًا،" حدق الشاعر فيها منتظرًا خجلاً يستحق القصائد، لكنه لم يرَ سوى ابتسامةٍ وقحة في عينيها البندقيتين.

انزلق بومٌ رمادي كبير إلى عتبة النافذة بلا صوت. صرخت شاني بهمس.

مدّ جيرالت يده نحو سيفه.

- قال دانديليون: "لا تكن سخيفًا، إنها فيليبا".

اختفت البومة، وحلّت محلها فيليبا إيلهارت في وضعٍ مُربك. قفزت الساحرة إلى الغرفة وهي تُمهّد شعرها وثيابها.

قالت ببرود: "مساء الخير، لقد عرّفني دانديليون."

- "جيرالت من ريفيا. شاني من كلية الطب. وهذه البومة التي تتبعتني ليست سوى فيليبا إيلهارت من مجلس السحرة، في خدمة الملك فيزيمير وفخر بلاط تريتوجور. للأسف، لدينا كرسيٌ واحد هنا."

- "يكفي"

جلست الساحرة في الكرسي الخشبي، وألقت نظرةً متفحصة على الحاضرين، توقفت عند شاني فترة أطول. لاحظ الشاعر احمرار وجنتي الطالبة المفاجئ.

- بدأت فيليبا بالحديث بعد صمت: "ما جئت لأجله يخص جيرالت وحده، لكن طلب مغادرة أيٍ منكم سيكون وقحًا، لذا..."

همست شاني مترددة: "أستطيع المغادرة".

- قال جيرالت: "لا .. لا أحد يغادر حتى تتضح الأمور. أليس كذلك، سيدتي؟"

- ابتسمت الساحرة: "إسمي فيليبا، لنستغنِ عن الرسميات، لا أحد يزعجني هنا... رغم أن بعض الحضور يُدهشني. شاني، أنت في السنة الثالثة للطب؟ سبعة عشر ربيعًا... عمرٌ جميل، ينيفير ستدفع الكثير لتعود لهذا العمر. ما رأيك يا جيرالت؟"

ابتسم الويتشر بمرارة: "لا شك أنكِ ستسألينها، ولا شك أنكِ ستستمتعين بذلك. انتقلي لصلب الموضوع من فضلك."

- أومأت الساحرة جادة: "أنت محق، فالوقت ضيق. دانديليون قد أخبرك أن ديجكسترا مكلف من الملك فيزيمير بإيجاد الفتاة، دوري كعضو في مجلسه هو منعه من ارتكاب الأخطاء... حتى لو اضطررت لتعطيل خططه."

- تحدث جيرالت ببطء: "إذن مجلس السحرة مهتم أيضًا بسيري؟ لماذا؟ ماذا تريدون منها؟"

- ضاقت عينا فيليبا: "ألا تعرف؟ أن تكون وصيًا عليها دون أن تدرك خطرها يجعلك غير مؤهل! أنا مندهشة كيف قررت حمايتها وأن تمنع الآخرين - الأكفاء - من ذلك، احذر، أو سيودي بك غرورك للهاوية!"

صمت دانديليون منتظرًا أن يذكر جيرالت دور ينيفير، لكن الويتشر صمت، الساحرة تعرف كل شيء.

- استمرت فيليبا بالحديث: "حماية أحدهم تعني تحمل مسؤولية أمان من لا يستطيعون حماية أنفسهم، إن تعرضت سيري للأذى ياجيرالت، فالمسؤولية عليك وحدك."

- "أعلم."

- "أخشى أنك لازلت تجهل الكثير."

احتدم جيرالت: "نوريني إذن، لماذا يريد الجميع انتزاعها مني؟ ماذا يريد مجلس السحرة؟ التيميريون؟ رينس ذلك المجرم الذي قتل ثلاثة أشخاص لاستخراج معلومات عنها؟ من هو رينس؟"

- قالت الساحرة: "لا أعرف، لكنني أرغب بمعرفته مثلك."

- قاطعتهم شاني فجأة: "هل لديه حرقٌ من الدرجة الثالثة على وجهه؟ إن كان كذلك، فأنا أعرفه. وأعرف أين هو."

ساد صمتٌ ثقيل، بينما بدأت قطرات المطر الأولى تُقرع المزراب خارج النافذة.

القتل هو القتل دائماً، بغض النظر عن الدافع أو الظروف. وعليه فإن كل من يقتل أو يستعد للقتل هو من الأشرار والمجرمين، بغض النظر عن هويتهم: سواء أكانوا ملوكاً أم أمراءً أم مشيرين أم قضاة. لا يحق لأي شخص يُفكر في العنف أو يرتكبه أن يعتبر نفسه أفضل من مجرم عادي. لأن طبيعة العنف تكمن في أنه يؤدي حتماً إلى الجريمة.

- تأملات في الحياة والسعادة والازدهار لـ نيكوديموس دي بوت

الفصل السادس

"دعونا لا نرتكب خطأً،" قال فيزيمير، ملك ريدانيا، وهو يمرر أصابعه المزينة بالخواتم عبر شعر صدغيه. "لا يمكننا تحمل ارتكاب هفوة أو خطأ الآن."

لم يقل المجتمعون شيئًا. ديمويند، حاكم إيدرن، كان متمدّدًا على كرسيه، يحدّق في القدح الذي يستقر فوق بطنه. فولتيست، سيد تيميريا وبونتار وماهاكام وسودين، والذي أصبح مؤخرًا الحامي الأعلى لمدينة بروغ، أدار رأسه نحو النافذة، مقدمًا جانبه النبيل للجميع. على الجانب الآخر من الطاولة جلس هينسلت، ملك كايدوين، وهو يجول بعينيه الصغيرتين الثاقبتين—التي تلمع من وجه كثيف اللحية كقاطع طريق—على المشاركين في المجلس. ميف، ملكة ليريا، كانت تلعب مفكرة بالياقوتات الضخمة في عقدها، لاويةً شفتيها الممتلئتين الجميلتين من حين لآخر في تعبير غامض.

"دعونا لا نرتكب خطأً،" كرر فيزيمير، "لأن الخطأ قد يكلفنا الكثير. دعونا نستفيد من خبرة الآخرين. عندما هبط أسلافنا على هذه الشواطئ قبل خمسمائة عام، أخفى الجان رؤوسهم في الرمال. قمنا بانتزاع البلاد منهم قطعة بعد أخرى، وكانوا يتراجعون، معتقدين في كل مرة أن هذه ستكون الحدود الأخيرة، وأننا لن نتقدم أكثر. فلنكن أكثر حكمة! لأنه الآن حان دورنا. الآن نحن الجان. نلفجارد على ضفاف ياروغا، وأسمع البعض يقولون: 'إذن، فليبقوا هناك.' أسمع: 'لن يتقدموا أكثر.' لكنهم سيفعلون، سترون ذلك. لذا أكرر، لا نرتكب الخطأ نفسه الذي ارتكبه الجان!"

كانت قطرات المطر تضرب زجاج النوافذ والريح تزمجر بشكل مخيف. رفعت الملكة ميف رأسها. خُيّل إليها أنها سمعت نعيق الغربان والغربان السوداء، لكنه كان مجرد صوت الريح. الريح والمطر.

"لا تقارننا بالجان،" قال هينسلت ملك كايدوين. "إنك تهيننا بمثل هذه المقارنة. الجان لم يكونوا يعرفون القتال، لقد تراجعوا أمام أسلافنا واختبأوا في الجبال والغابات. الجان لم يعاملوا أسلافنا بسودين. ولكننا أظهرنا لنيلفجارد ماذا يعني أن يفتعلوا نزاعًا معنا. لا تحاول تخويفنا بنيلفجارد، فيزيمير، ولا تنشر الدعاية. تقول إن نيلفجارد على ضفاف ياروغا؟ أقول لك إن نيلفجارد جالسة هناك كالفأر في الكنيسة، لأننا حطمنا عمودهم الفقري في سودين. هزمناهم عسكريًا، وقبل كل شيء، حطمنا معنوياتهم، لاأعلم إن كان صحيحًا أن إمير فار إمريس كان، في ذلك الوقت، ضد هذا العدوان بهذا الحجم، وأن الهجوم على سينترا كان من تدبير فصيل معادٍ له، لكنني أعتقد أنه لو هزمونا، لكان يصفق لهم، ويوزع الامتيازات والمكافآت عليهم. ولكن بعد سودين، فجأة، اتضح أنه كان ضد ذلك، وأن كل ما حدث كان بسبب عصيان قادته العسكريين، لقد سقطت رؤوس وتدفقت الدماء على المشانق، إن هذه حقائق مؤكدة، وليست شائعات، ثمانية إعدامات رسمية، والعديد من الإعدامات المتواضعة الأخرى، وهناك حالات وفاة طبيعية ظاهريًا لكنها غامضة، وعدد لا بأس به من الأشخاص الذين قرروا التقاعد فجأة، أقول لكم أيها السادة، لقد جن جنون إمير فار إمريس وكاد أن يقضي على قادته العسكريين، إذن، من سيقود جيشهم الآن؟ الرقباء؟"

"لا، ليس الرقباء،" قال ديمويند من إيدرن ببرود. "بل الضباط الشباب الموهوبون الذين انتظروا طويلًا مثل هذه الفرصة، والذين دربهم إمير منذ وقت طويل. أولئك الذين منعهم القادة القدامى من تولي القيادة ومنعوا ترقيتهم. القادة الشباب الموهوبون الذين بدأنا

نسمع عنهم بالفعل، أولئك الذين سحقوا الانتفاضات في متينا ونازاير، والذين قمعوا التمردات في إيبينج بسرعة، القادة الذين يفهمون أهمية المناورات الالتفافية، والغارات العميقة بسلاح الفرسان، والمسيرات السريعة للمشاة، وعمليات الإنزال البرمائية من البحر. إنهم يستخدمون تكتيكات الهجمات الساحقة في اتجاهات محددة، ويستخدمون أحدث تقنيات الحصار بدلاً من الاعتماد على السحر غير المؤكد، يجب ألا نستخف بهم. إنهم يتلهفون لعبور ياروغا وإثبات أنهم قد تعلموا من أخطاء قادتهم القدامى."

"إذا كانوا قد تعلموا شيئًا بالفعل،" قال هينسلت بتهكم، "فلن يعبروا ياروغا. مصب النهر على الحدود بين سينترا وفيردن لا يزال تحت سيطرة إيرفيل وحصونه الثلاثة القوية: ناستروغ، روزروغ، وبودروغ. لا يمكن الاستيلاء عليها بهذه السهولة، ولايوجد تقنية جديدة ستساعدهم هناك، إن جناحنا محمي بأسطول إيثين ملكة سيداريس، وبفضله نسيطر على الشاطئ. وكذلك بفضل قراصنة سكيلدج. يارل كراك أن كريت، إذا تذكرتم، فهما لم يوقعا هدنة مع نيلفجارد، وما زال يهاجمهم، ويضرم النيران في مستوطناتهم البحرية وحصونهم في المقاطعات. لقد أطلق النيلفجارديون عليه اسم ’تيرث يس مويري‘، الخنزير البحري. إنهم يخيفون به أطفالهم!"

"إخافة أطفال نيلفجارد،" ابتسم فيزيمير بسخرية، "لن تضمن لنا الأمان."

"لا،" وافق هينسلت. "لكن شيئًا آخر سيفعل ذلك. بدون السيطرة على المصب أو الساحل ومع جناح مكشوف، لن يكون إمير فار إمريس قادرًا على ضمان الإمدادات لأي فرق قد يرسلها عبر ياروغا، أي مسيرات سريعة، أي غارات فرسان؟ ياله من سخف. الجيش سيتوقف خلال ثلاثة أيام من عبور النهر. نصفه سيحاصر القلعة والبقية سيتشتتون ببطء لنهب المنطقة بحثًا عن العلف والطعام. وعندما تأكل فرسانهم معظم

خيولهم من الجوع، سنمنحهم سودين أخرى. تبًا، أتمنى لو يعبرون النهر! لكن لاتقلقوا، لن يفعلوا."

"لنفترض،" قالت ميف من ليريا فجأة، "أنهم لم يعبروا ياروغا، لنفترض أن نيلفجارد ستنتظر ببساطة. الآن فلنفكر: من سيستفيد من ذلك، أنحن أم هم؟ من منا يستطيع الانتظار دون فعل شيء ومن لا يستطيع؟"

"بالضبط!" التقط فيزيمير الحديث. "ميف، كما هو معتاد، لا تتكلم كثيرًا لكنها تصيب الهدف، أيها السادة، إمير لديه الوقت لكن نحن لا نملكه. ألا ترون ما يحدث؟ قبل ثلاث سنوات، حركت نيلفجارد حجرًا صغيرًا من الجبل، والآن هم بانتظار انهيار جليدي، يمكنهم ببساطة الانتظار بينما تنهال الحجارة الأخرى من السفح. لأن بعضهم رأى أن هذا الحجر الصغير كان صخرة لا يمكن تحريكها. ولكن بما أنه اتضح أن لمسة خفيفة كانت كافية لتحريكه، فقد ظهر آخرون وجدوا أن الانهيار سيكون لصالحهم، إن كوماندوز الإلف يجوبون الغابات من الجبال الرمادية إلى بريمرفورد، لم يعودوا مجرد مجموعة صغيرة من المقاتلين، بل هذه حرب. فقط انتظروا وسنرى الإلفيين الأحرار من دول بلاثانا ينهضون للقتال. سيتمرد الأقزام في ماهاكام ، وجنيات بروكيلون سيزدادن جرأة أكثر فأكثر، إنها حرب، حرب واسعة النطاق. حرب أهلية. حرب داخلية. بينما تنتظر نيلفجارد... في صالح من تعتقدون أن الوقت يعمل؟ مقاتلو السكويا'تل يبلغون الثلاثين أو الأربعين من العمر، ويعيشون ثلاثمائة عام! لديهم الوقت، ونحن لا نملكه!"

- اعترف هينسلت: "لقد أصبحت السكويا'تل شوكة حقيقية في خاصرتنا. إنهم يشلون تجارتي ونقلي، ويروعون الفلاحين... علينا وضع حد لهذا!"

"إذا أراد غير البشر هؤلاء الحرب، فسيحصلون عليها"، أضاف فولتيست من تيميريا. "لطالما كنت مؤيدًا للتفاهم المتبادل والتعايش، ولكن إذا كانوا يفضلون اختبار القوة، فسنرى من هو الأقوى. أنا مستعد. أتعهد بالقضاء على السناجب في تيميريا وسودين خلال ستة أشهر. لقد سالت دماء الإلف بالفعل على تلك الأراضي من قبل، لقد سفكها أجدادنا، أعتبر ذلك مأساة، لكن لا أرى بديلًا؛ المأساة ستتكرر. يجب قتال هؤلاء."

"جيشك سيتحرك ضد الإلف إذا أعطيت الأمر"، أومأ ديموند. "لكن هل سيتحرك ضد البشر؟ ضد الفلاحين الذين تتكون منهم مشاتك؟ ضد النقابات؟ ضد المدن الحرة؟ تحدث فيزيمير عن حجر واحد فقط في الانهيار الجليدي. نعم، نعم، أيها السادة، لاتحدقوا بي هكذا! تنتشر الأقاويل في القرى والمدن بأن الأراضي التي احتلتها نيلفجارد أصبحت حياة الفلاحين والحرفيين فيها أسهل، وأكثر حرية، وأكثر ثراءً، وأن نقابات التجار تحصل على المزيد من الامتيازات... تغمرنا البضائع القادمة من مصانع نيلفجارد. في بروج وفيردن، بدأت عملتهم تحل محل العملات المحلية. إذا جلسنا دون فعل شيء، فسننتهي، في صراع مع جيراننا، غارقين في محاولات قمع التمردات والاضطرابات، وتدريجيًا نُخضع بالقوة الاقتصادية لنيلفجارد. سننتهي، مختنقين في زوايانا الضيقة لأن—افهموا هذا—نيلفجارد تقطع طريقنا إلى الجنوب، ويجب أن نتوسع، وإلا فلن يكون هناك مكان لأحفادنا!"

ساد الصمت. تنهد فيزيمير من ريدانيا بعمق، وأخذ كأسًا من الطاولة وشرب منه جرعة طويلة. ضرب المطر النوافذ طوال فترة الصمت الطويلة، وعصفت الريح محركةً المصاريع بعنف.

- قال هينسلت أخيرًا :"كل هذه المخاوف التي نتحدث عنها هي من عمل نيلفجارد. إنهم مبعوثو إمير الذين يحرضون غير البشر، وينشرون الدعاية، ويدعون إلى أعمال الشغب. إنهم من يوزعون الذهب ويعدون الشركات والنقابات بالامتيازات، ويضمنون للبارونات والدوقات مناصب عليا في المقاطعات التي يخططون لإنشائها بدلاً من ممالكنا..."

- "الأمر نفسه يحدث في بلادي," وافق فولتيست. "تبًا، لقد ساد السلام لسنوات طويلة. منذ أن وضع جدي رجال الدين في مكانهم وأباد صفوفهم، بقي من تبقى منهم منشغلًا بأعمال مفيدة. درسوا الكتب، وغرسوا المعرفة في الأطفال، وعالجوا المرضى، واعتنوا بالفقراء والمعاقين والمشردين. لم يتدخلوا في السياسة. والآن، فجأة، استيقظوا وبدأوا بالصراخ بالخرافات أمام العامة—والعامة تصغي لهم وتصدق أنهم قد وجدوا أخيرًا سبب معاناتهم. تحملت الأمر لأنني أقل اندفاعًا من جدي، وأقل حساسية تجاه سلطتي الملكية وكرامتي منه. ولكن، أي نوع من الكرامة أو السلطة تكون تلك إن كان يمكن تقويضها بصراخ متعصب مجنون؟ ولكن صبري بدأ ينفد. مؤخرًا، أصبح الموضوع الرئيسي في خطبهم هو الحديث عن مُخلِّص سيأتي من الجنوب. من الجنوب! من وراء نهر ياروغا!"

- تمتم ديمويند: "اللهب الأبيض سيأتي، الصقيع الأبيض وبعده النور الأبيض. ثم سيولد العالم من جديد عبر اللهب الأبيض والملكة البيضاء... لقد سمعت ذلك أيضًا. إنه تحريف لنبوءة إثلين آيب أفينين، العرافة الإلفية. أمرت بالقبض على أحد رجال الدين الذين كانوا يرددون هذه الأقاويل في سوق فينغيربرغ، وسأل المحقق بلطف وباستفاضة عن مقدار الذهب الذي تلقاه هذا النبي من إمير لنشرها... لكنه ظل يثرثر عن اللهب الأبيض والملكة البيضاء... نفس الكلام حتى الرمق الأخير."

"احترس، ديمويند," عبس فيزيمير. "لا تجعل منهم شهداء. هذا بالضبط ما يسعى إليه إمير. يمكنك القبض على جميع عملاء نيلفجارد ممن تشاء، ولكن لا تضع يدك على رجال الدين، فالعواقب لا يمكن التنبؤ بها. لا يزالون يحظون بالاحترام ولهم تأثير كبير على الناس. لدينا ما يكفينا من المشاكل مع السناجب، ولا يمكننا المخاطرة بإثارة الشغب في مدننا أو الدخول في حرب مع فلاحينا."

- زمجر فولتيست: "تبا! لا تفعلوا هذا، لا تخاطروا بذلك، لا يجب علينا كذا، ولا يجب علينا كذا... هل اجتمعنا هنا فقط للحديث عن كل ما لا يمكننا فعله؟ هل لهذا السبب جلبتنا جميعًا إلى هاغي، ديمويند، لنشكو ضعفنا وعجزنا؟ لنفعل شيئًا أخيرًا! يجب أن يُتخذ إجراء! ما يحدث يجب أن يتوقف!"

"لقد كنت أقول ذلك منذ البداية." قال فيزيمير وهو يعتدل في جلسته. "أقترح اتخاذ إجراء."

- "أي نوع من الإجراءات؟"

- "ماذا يمكننا أن نفعل؟"

ساد الصمت مرة أخرى. كان الريح يزمجر، والنوافذ تصطدم بجدران القلعة.

- قالت ميف فجأة : "لماذا، تنظرون إلي جميعكم؟"

قال هينسلت وهو يشرب من كأسه: "نحن معجبون بجمالك."

- قال فيزيمير مؤيدًا: "أنا أرى ذلك أيضًا، ميف، نحن جميعًا نعلم أنك تجدين حلًا لكل شيء. لديك حدس المرأة، أنتِ امرأة حكيمة ..."

"توقف عن الإطراء." قالت ملكة ليريا وهي تشبك يديها في حجرها، ثم ثبتت نظرها على الأقمشة المعلقة على الجدران والتي تصور مشاهد صيد، كانت الكلاب، وهي تقفز ممتدة، ترفع أنوفها نحو خاصرة وحيد قرن أبيض يفر هاربًا.

فكرت ميف: "لم أرَ وحيد قرن حيًا قط. ولن أراه على الأرجح أبداً."

ثم واصلت بعد لحظة:

"الموقف الذي نحن فيه يذكرني بأمسيات الشتاء الطويلة في قلعة ريفيا ... كان هناك شيء ما يخيّم في الأجواء دائمًا. زوجي كان منشغلًا بالتفكير في كيفية الظفر بخادمة تشريف جديدة والقائد العسكري كان يخطط لإشعال حرب تجعله مشهورًا، والساحر كان يتخيل نفسه ملكًا، والخدم لم يكونوا في مزاج يسمح لهم بالخدمة، والمهرج كان كئيبًا، بائسًا، ومملًا بشكل لا يُطاق. حتى الكلاب كانت تعوي بحزن، والقطط تنام بلا اكتراث، غير مبالية بالفئران التي كانت تسرح على الطاولات. الجميع كان ينتظر شيئًا. الجميع كان يرمقني بنظرات غاضبة، وأنا... حينها... أريتهم. أريتهم جميعًا ما كنت قادرة على فعله، بطريقة جعلت الجدران نفسها تهتز واستيقظت الدببة الرمادية من سباتها الشتوي. وفي لحظة، تلاشت كل الأفكار السخيفة من رؤوسهم. فجأة، أدرك الجميع من يحكم هنا فعلًا".

ساد صمت ثقيل.

كانت الرياح تعصف بشكل أقوى، بينما كان الحراس يتبادلون التحيات بفتور فوق المتاريس الخارجية.

تساقطت قطرات المطر على زجاج النوافذ المثبتة بالرصاص، متحولة إلى إيقاع مجنون ومتسارع.

واصلت ميف ببطء، وهي تعبث بعقدها : "نيلفجارد تراقب وتنتظر ،نيلفجارد تراقبنا. هناك شيء يلوح في الأفق، وأفكار حمقاء بدأت تتسلل إلى بعض الرؤوس. إذن، لنرهم ما نحن قادرون عليه. لنرهم من هو الحاكم الحقيقي هنا. لنجعل جدران هذه القلعة العظيمة تهتز في سباتها الشتوي!"

- قال هينسلت بسرعة: "اقضوا على السناجب! لنبدأ حملة عسكرية كبرى. لنغرق غير البشر في بحر من الدماء! لتتدفق أنهار بونتار وجوينليك وبوينا بدماء الإلف من المنبع إلى المصب!"

- أضاف ديمويند بوجه متجهم: "أرسلوا حملة تأديبية لسحق الإلف الأحرار في دول بلاثانا! لتتحرك قوة تدخل نحو ماهكام، دعوا إرفيل من فيردن يحصل أخيرًا على فرصته لاجتثاث الحوريات في بروكيلون. نعم، مجزرة! وأي ناجين... إلى المعازل!"

- تابع فيزيمير بحماس: "أطلقوا كراش أن كرايت على سواحل نيلفجارد! ادعموه بأسطول إيثاين من سيداريس، ودعهم يعيثون فسادًا من الياروغا إلى إيبينغ! استعراض قوة..."

- هز فولتيست رأسه: "ليس كافيًا، كل ذلك ليس كافيًا بعد. نحن بحاجة إلى... أعرف ما نحتاج إليه."

- "إذن، أخبرنا!"

- "سينترا."

- "ماذا؟"

- "لاستعادة سينترا من النيلفجارديين. دعونا نعبر نهر ياروغا، ونكون أول من يهاجم. الآن، بينما لا يتوقعون ذلك. لنطردهم، ونعيدهم إلى ما وراء مارنادال."

- "كيف؟ لقد قلنا للتو إنه من المستحيل على جيش عبور ياروغا ..."

- "مستحيل على نيلفجارد. لكننا نحن نسيطر على النهر. نحن نملك المصب في قبضتنا، ومسارات الإمداد، وجانبنا محمي بواسطة سكيلغا، وسيداريس، والقلاع في فيردن. بالنسبة لنيلفجارد، عبور أربعين أو خمسين ألف رجل للنهر هو جهد هائل. لكن يمكننا أن نُمرّر عددًا أكبر بكثير إلى الضفة اليسرى. لا تحدق إلي يا فيزيمير. كنت تريد شيئًا يضع حدًا للانتظار؟ شيئًا مذهلًا؟ شيئًا يجعلنا ملوكًا حقيقيين مرة أخرى؟ هذا الشيء هو سينترا. سينترا ستوحدنا وتحكمنا معًا، لأن سينترا رمز. تذكروا سودين! لو لم يكن لمجزرة تلك المدينة واستشهاد كالانثي، لما تحقق ذلك النصر حينها. كانت القوى متساوية—لم يكن أحد يتوقع أن نسحقهم بتلك الطريقة. لكن جيوشنا انقضّت على حناجرهم كالذئاب، كالكلاب المسعورة، للانتقام من لبؤة سينترا. وهناك من لم يُخمد الغضب في قلوبهم بالدماء التي سُفكت في ساحة سودين. تذكروا كراش أن كريت، الخنزير البري للبحر!"

"هذا صحيح،" أومأ ديمويند. "لقد أقسم كراش على الانتقام الدموي من نيلفجارد. من أجل إيست تورسيخ، الذي قُتل في مارنادال. ومن أجل كالانثي. إذا هاجمنا الضفة

اليسرى، فسيدعمنا كراش بكل قوة سكيلغا. بحق الآلهة، هذه الخطة لديها فرصة للنجاح! أنا أدعم فولتيست! لا ننتظر، لنهاجم أولًا، لنحرر سينترا ونطارد هؤلاءِ الأوغاد إلى ما وراء ممر أمل!"

- زمجر هنسلت: "تمهلوا، لا تكونوا متسرعين في شد شعيرات الأسد، لأن هذا الأسد لم يمت بعد. هذا أولًا. ثانيًا، إذا كنا أول من يهاجم، فسنضع أنفسنا في موقع المعتدين. سنكون نحن من يكسر الهدنة التي وضعنا جميعًا أختامنا عليها. لن يدعمنا نيدامير وعصبته، ولن يدعمنا إيستراد ثايسن. لا أعرف كيف سيكون رد فعل إثاين من سيداريس. الحرب العدوانية سيعارضها أيضًا نقاباتنا، تجارنا، نبلاؤنا... وقبل كل شيء، السحرة. لا تنسوا السحرة!"

"السحرة لن يدعموا هجوماً على الضفة اليسرى"، أكد فيزيمير.

- "اتفاقية السلام كانت من صنع فيلجفورتز من روجيفين. من المعروف أن خطته كانت تحويل الهدنة إلى سلام دائم. فيلجفورتز لن يؤيد الحرب. وفصيل السحرة، صدقوني، سينفذ ما يريده. بعد سودين، أصبح الرجل الأهم في الفصيل لذا ليقل السحرة ما شاؤوا، فهو يعزف اللحن الرئيسي هناك."

"فيلجفورتز، فيلجفورتز!" استاء فولتست. "تضخم نفوذه أكثر من اللازم، هذا الساحر. مراعاة خططه—التي لا أعرفها أصلاً ولا أفهمها — بدأت تثير ضجري. لكن هناك حل، أيها السادة. ماذا لو كان نيلفغارد هي المعتدي؟ في دول أنجرا مثلاً؟ ضد إيدين وليريا؟ يمكننا ترتيب ذلك... تلفيق استفزاز بسيط... حادثة حدودية من صنعهم؟ هجوم على حصن حدودي مثلاً؟ سنكون مستعدين بالطبع وسنرد بحزم، بموافقة الجميع، بما فيهم فيلجفورتز وفصيل السحرة. وعندما يحول إمير فار إمريس نظره عن سودين ومناطق ما

وراء النهر، سيطالب سكان سينترا باستعادة أرضهم، كل أولئك اللاجئين الذين يتجمعون في بروج تحت قيادة فيسغيرد. ما يقارب ثمانية آلاف منهم مسلحون. هل هناك طليعة أفضل من ذلك؟ يعيشون على أمل استعادة وطنهم، يتوقون للقتال، مستعدون لضرب الضفة اليسرى. ينتظرون فقط صيحة الحرب."

- دعمت ميف حديثه: "صيحة الحرب ووعداً بدعمنا. لأن إمير يستطيع حشد ثمانية آلاف جندي في حامية حدوده؛ بهذا العدد لن يحتاج حتى لطلب تعزيزات. فيسغيرد يعلم هذا جيداً ولن يتحرك حتى يتأكد أن جيوشك، يا فولتست، مدعومة بقوات ريدانيا، ستتنزل خلفه على الضفة اليسرى. لكن الأهم أن فيسغيرد ينتظر 'شبل سينترا'. إذ يبدو أن حفيدة الملكة نجت من المذبحة. قيل إنها شوهدت بين اللاجئين، لكنها اختفت فجأة بغموض، المهجرون يصرون على البحث عنها... لأنهم يحتاجون من يحمل الدماء الملكية ليجلس على العرش المستعاد، أحدٌ من دم كالانثي."

- قال فولتست ببرود: "هذه سخافات! مرّ أكثر من عامين. لو كانت الطفلة حيةً لَوُجدت الآن، يمكننا نسيان تلك الأسطورة. كالانثي لم تعد موجودة بيننا، ولا وجود لـ'شبل سينترا'، ولا دماء ملكية تُعيد العرش. سينترا... لن تعود أبدًا كما كانت في عهد اللبوة، بالطبع لا يمكننا قول هذا لمهجّري فيسغيرد."

- ضيّقت ميف عينيها: "إذنْ ستُرسل مقاتلي سينترا للموت؟ في خط الهجوم؟ دون إخبارهم أن سينترا لن تُبعث إلا كدولة تابعة تحت حمايتك؟ أنت تقترح علينا جميعًا مهاجمة سينترا لمصلحتك الشخصية؟ استوليتَ على سودين وبروج، وتنهش في فيردن، والآن تشمّ رائحة سينترا، أليس كذلك؟"

- انفجر هينسيلت غاضباً: "إعترفْ يا فولتست! هل ميف محقة؟ ألهذا تحثّنا على هذه المغامرة؟"

- تجعد جبين حاكم تيميريا النبيل، وغضب: "كفى! لا تصوّرونني كمخادع يحلم بإمبراطورية. ماذا تقصدون بسودين وبروج؟ إيكهارد سودين كان أخًا غير شقيق لأمي. أتتفاجؤون أن الولايات الحرة قدّمت التاج لي بعد موته؟ الدم، لا الماء! نعم، فينزلاف بروج أقرّ بولائي طواعيةً و دون إجبار! فعل ذلك ليحمي أرضه، لأنه يرى رماح نيلفغارد تومض على الضفة اليسرى لياروغا!"

- تمطّقت ملكة ليريا في كلامها: "ونحن نتحدث عن الضفة اليسرى، الضفة التي سنضربها، وهذه الضفة هي سينترا. المدمرة، المحروقة، المحتلة... لكنها تبقى سينترا. أهلها لن يقدموا لك التاج، ولن يخضعوا. سينترا لن توافق أن تكون تابعة، الدم، لا الماء!"

- قال ديمافيند من إيديرن: "سينترا، حين نحررها، يجب أن تصبح تحت حماية مشتركة، إنها عند مصب ياروغا، وهو موقع استراتيجي خطير ولايمكن لنا أن نفقد السيطرة عليه."

- إعترض فيزيمير في غضب: "سينترا يجب أن تكون دولة حرة، حرة، ومستقلة وقوية، دولة تكون بوابة حديدية وحصنًا للشمال، وليست شريطًا من الأرض المحروقة التي يمكن لسلاح الفرسان النيلفجاردي التسابق على أرضها!"

- "هل من الممكن إعادة بناء سينترا بهذا الشكل؟ بدون كالانثي؟"

- قالت ميف بابتسامة: "لا تنزعج يافولتيست، لقد أخبرتك بالفعل، سكان سينترا لن يقبلوا أبدًا بحماية أو دماء أجنبية على عرشهم، وإذا حاولت فرض نفسك عليهم كحاكم، فستتحول الأمور ضدك. فيسيجيرد سيستعد مرة أخرى للمعركة، لكن هذه المرة تحت جناح إمهير. وفي يوم من الأيام، ستهاجم تلك القوات في طليعة هجوم نيلفجارد. كما وصفتها بدقة الآن."

- قال فيزيمير بسخرية: "فولتيست يعرف ذلك، لهذا السبب يبحث بجد عن لبوة سينترا، حفيدة كالانثي. ألا تفهم؟ الدم وليس الماء، التاج من خلال الزواج. يكفي أن يجد الفتاة ويجبرها على الزواج..."

- قال ملك تيميريا بغضب: "هل فقدت عقلك؟ لبوة سينترا قد ماتت ! أنا لا أبحث عن تلك الفتاة على الإطلاق، ولكن لو كنت... لم يخطر ببالي أبدًا إجبارها على فعل ذلك..."

- قاطعته ميف بابتسامة ساحرة: "لن تضطر إلى إجبارها، أنت لا تزال رجلاً قوي البنية ووسيمًا، يا ابن العم. ودم كالانثي يجري في جسد تلك الفتاة لبوة سينتر. دم حار جدًا. كنت أعرف كالي عندما كانت شابة، وعندما كانت ترى شابًا يعجبها كانت تقفز بحماس لدرجة أن الأغصان الجافة تحت قدميها كانت تشتعل نيرانًا. كما أن ابنتها بفيتا، والدة لبوة سينترا كانت تمامًا مثلها. لذا، لا شك أنها لاتختلف كثيراً عن أصولها. وبقليل من الجهد، يا فولتيست، لن تصمد الفتاة في المقاومة طويلاً أمامك وهذا ما تعتمد عليه، إعترف بذلك."

- ضحك ديماويند: "بالطبع يعتمد على ذلك، ملكنا لديه خطة ذكية لنفسه! نهاجم نحن الضفة اليسرى وقبل أن ندرك، سيجد فولتيست الفتاة، ليربح قلبها ويحصل على

زوجة شابة يضعها على عرش سينترا بينما يبكي شعبها فرحًا ويتبولون في سراويلهم من السعادة. لأنهم سيكون لديهم ملكة، دمٌ ولحمٌ من كالانثي. سيكون لديهم ملكة... رغم أنها ستكون زوجة الملك فولتيست."

- صرخ فولتيست متحولًا من اللون الأحمر إلى الأبيض بالتناوب: "ما هذا الهراءِ الذي تتفوه به! ما الذي حدث لك؟ لا يوجد ذرة من العقلانية في ثرثرتك!"

- قال فيزيمير بجفاف: "هناك الكثير من العقلانية لأني أعلم أن هناك من يبحث عن الطفل بجدية شديدة، من هو يافولتيست؟"

- "من الواضح! فيسيجيرد وسكان سينترا!"

- "لا، ليس هم. أو على الأقل، ليسوا وحدهم. هناك شخص آخر أيضًا. شخص يترك خلفه سلسلة من الجثث. شخص لا يتورع عن الابتزاز أو الرشوة أو التعذيب... وبما أننا نتحدث عن هذا، هل هناك سيدي يدعى رينس في أي من مقاطعاتك؟ آه، أرى من تعبيرات وجوهكم أنه إما ليس كذلك أو لا تعترفون بذلك وهذا يعود لنفس الشيء. أكرر: إنهم يبحثون عن حفيدة كالانثي، ويبحثون بطريقة تجعلكم تفكرون مرتين في نواياهم، من الذي يبحث عنها، أنا أتسآل؟"

- قال فولتيست وهو يضرب بقبضته على الطاولة: "اللعنة! لست أنا! ولم يخطر ببالي أبدًا أن أتزوج طفلةً من أجل عرش! بعد كل شيء، أنا.."

- ابتسمت ميف مرة أخرى: "بعد كل شيء كنت تنام سرًا مع البارونة لا فاليتي منذ أربع سنوات، أنتم تحبون بعضكم البعض مثل الحمام المنتظر مايؤخركم فقط هي وفاة البارون العجوز. ما الذي تنظرون إليه؟ نعرف جميعًا ذلك. لماذا تعتقد أننا ندفع أموالاً

لجواسيسنا؟ ولكن من أجل عرش سينترا، يا ابن العم، العديد من الملوك سيضحون بسعادتهم الشخصية..."

- قال هنسيلت وهو يخدش لحيته بصوت حاد: "انتظروا، تقولين العديد من الملوك، إذاً اتركي فولتيست في سلام للحظة، هناك آخرون، في وقتها أرادت كالانثي أن تمنح يد حفيدتها لابن إرفيل من فيردن. إرفيل قد يكون قد شم رائحة سينترا. وليس فقط هو..."

- تمتم فيزيمير : "هممم... صحيح، إرفيل لديه ثلاثة أبناء... وماذا عن الحاضرين هنا الذين لديهم أبناء ذكور؟ هاه؟ ميف؟ ألا تحاولين، بالمناسبة، أن تخدعينا؟"

- ابتسمت ملكة ليريا بشكل أكثر سحرًا :"يمكنك استبعادي، صحيح، إثنان من نسلي يجوبان العالم هذا إن لم يتم إعدامهم بعد. أشك أن أيًا منهما سيرغب فجأة في أن يكون ملكًا، لم يكن أي منهما مؤهلاً أو مهيأ لهذا الأمر. كلاهما كانا أغبى من والدهما، من كان يعرف زوجي الراحل سيفهم ما أعنيه."

- وافق ملك ردانيا : "هذه حقيقة، كنت أعرفه. هل أولادك حقًا أكثر غباء؟ اللعنة، كنت أعتقد أن الغباء لا يمكن أن يزداد... سامحيني، ميف..."

- "لا بأس، فيزيمير."

"من لديه أبناء آخرون؟"

- "أنت، هنسيلت."

- "ابني متزوج!"

- "وماذا عن السم؟ من أجل عرش سينترا، كما قال أحدهم هنا بحكمة، العديد سيضحون بسعادتهم الشخصية. سيكون الأمر يستحق ذلك!"

- "لن أسمح بمثل هذه التلميحات! واتركوني وحدي! هناك آخرون لديهم أبناء أيضًا!"

- "نييدامير من هينغفورس لديه اثنان. وهو أرمل بنفسه. وليس كبير السن. ولا تنسى إستيراد تايسن من كوفير."

- هز فيزيمير رأسه: "سأستبعدهم، تحالف هينغفورس وكوفير يخطط لوحدة سلالية مع بعضهم البعض. لا يهتمون بسينترا أو الجنوب. هممم... لكن إرفيل من فيردن... ليس بعيدًا عنه."

- قال ديماويند فجأة: "هناك شخص آخر قريب بنفس القدر"

- "من؟"

- تدخّل فيزيمير بلهجةٍ جادّة: "إمير فار إمريس، هُوَ غيرُ متزوّجٍ وأصغرُ منك سِنًّا يا فولتست. إنْ صحّ هذا... فإن ذلك سيُدَمِّرُنا بِقَسوةٍ! فالشعبُ والنبلاءُ في سينترا سَيَتْبَعونَ دمَ كالانثي دونَ تردّد. تخيّلوا لو امتلكَ إميرُ الفتاة؟ ستكونُ ملكةَ سينترا وإمبراطورةَ نيلفغاردَ معًا! هذهِ كارثةٌ لا تُحتمَل."

- قاطعَ هينسيلت بسُخريةٍ لاذعة: "إمبراطورة؟!". "هذا هراء يا فيزيمير! ما حاجةُ إميرَ للزواجِ وهوَ يمسكُ بسينترا كإحدى مُقاطعاتِه؟ إنّه جالسٌ على عرشِها بِكُلِّ أريحيةٍ!"

- صحّح فولتست بنفاذ صبر: "أولًا حُكمُ إميرَ لسينترا قائمٌ على قانونِ الغابِ، لا على الشرعيةِ فلو تزوّجَ هذه الفتاةَ، سيَكتَسِبُ شرعيةً كزوجٍ لوريثةِ العرشِ. هل تفهمونَ ذلك؟ عندها لن تَظهَرُ نيلفغاردُ كمحتلٍّ، بل كجارٍ شرعيٍّ نُضطرُّ لمراعاةِ وجودِه، كيفَ لنا عندئذٍ طردُهم من مَمَرّاتِ أميل الجبليّة؟ كيف نهاجمُ مملكةً عرشُها شرعيٌّ لِحفيدةِ 'لبوةِ سينترا'؟ أنا لا أبحثُ عنها، لكنّي أعلنُ الآنَ أنّني سأبدأُ البحثَ، لن نَسمحَ بالمخاطرةِ بوجودِها!"

- ارتسمَتْ سُخريةٌ على وجهِ هينسيلت: "هَل نُقرِّرُ الآنَ مَنْ سيتزوّجُها إنْ وجدناها؟ لنتركها لِفيسغيردَ كرايةِ حربٍ يُرَبِّطونها على عمودٍ خشبيٍّ — يَحمِلونها أمامَ جيوشِهم أثناءَ الهجومِ! لكن إنْ أردناها نَفعًا لنا جميعًا... فزوجُها يجبُ أنْ يَحمي مصالحَنا عندَ مصبِّ ياروغا. مَنْ مِنَ الحاضرينَ يَتَطَوَّعُ؟"

أجابتْ ميف بِابتسامةٍ عابثة: "لَستُ أنا .. أتنازلُ عن هذا الشَّرَفِ السّامي."

"لا أستبعد أولئك غير الحاضرين بيننا"، قال ديمافيند بجدية. "لا إيرفيل ولا نيدامير ولا آل ثيسن. وتذكّروا أن فيسغيرد قد يُفاجئكم ويُحوّل الراية المربوطة على عمودٍ لخدمة أغراضٍ غير متوقعة. سمعتم بزواج المركنطة؟ فيسغيرد عجوزٌ قبيح كروث البقر، لكن بجرعاتٍ كافية من الأعشاب، قد تُقعِدُه الفتاة فجأةً بحبٍّ جامح! هل ندخل الملك فيسغيرد في خططنا؟"

- تمتم فولتست "لا .. إنه ليس جزءً من خططي."

تردد فيزيمير قائلاً: "همم... ولا في خططي أيضاً، فيسغيرد هو مجرد أداةٌ لا شريك، هذا دوره في هجومنا على نيلفغارد لا أكثر. إضافةً إلى ذلك، إن كان إمير فار إمريس هو من يبحث بجنون عن لبوة سينترا، فلا يمكننا المخاطرة."

- أيده فولتست: "بالتأكيد، لا يجب أن تقع الفتاة في يد إمير ولا في أي يدٍ كانت - أي أيدٍ خاطئة - ... وهي حيةً."

تقطّبت ميف: "أتفكرون في قتل أطفال؟! .. إنه حلٌ قبيحٌ أيها الملوك ودنيء ومتطرّفٌ دون داع. أولاً، لنعثر على الفتاة فنحن لم نجدها بعد، وعندما نعثر عليها، سلّموها لي. سأحتفظ بها في قلعةٍ جبليةٍ بضع سنوات، ثم أزوجها لأحد فرساني، حين ترونها مجدداً، ستكون قد أنجبت طفلين وبطنها منتفخٌ هكذا."

- أومأ فيزيمير: "مما يعني—إن حسبتُ بشكل صحيح—ثلاثة مدّعين محتملين للعرش على الأقل؟ لا يا ميف، إنه قبيحٌ حقاً، لكن لبوة سينترا، إن كانت حية، يجب أن تموت لأسباب دولة، ما رأيكم أيها السادة؟"

انهمر المطر بعنفٍ على النوافذ، بينما عصفت الريح بين أبراج قلعة هاغ.

ساد صمتٌ ثقيل بين الملوك.

* * *

- ردّد المارشال :"فيزيمير، فولتست، ديمافيند، هينسيلت، وميف، لقد اجتمعوا في مجلسٍ سريٍّ بقلعة هاغ على نهر بونتار، وتداولوا بأمرهم خلف الأبواب المغلقة."

- قال الرجل النحيل ذو الشعر الأسود: "يا لها من رمزيةٍ مبطنة".

كان يرتدي جُبّةً من جلد الأيل عليها آثار دروع وبقع صدأ، وأكمل دون أن يلتفت: "ففي هذه القلعة - هاغ - قبل أربعين عامًا بالضبط، هزم فيرفوريل جيوش ميدل، وثبّت

سيطرته على وادي بونتار، ورسّخ الحدود الحالية بين إيديرن وتيميريا. واليوم، يدعو ديمافيند - ابن فيرفوريل - فولتست ابن ميدل إلى هاغ، مع فيزيمير من تريتوجور، وهينسيلت من أرد كاراي، والملكة الأرملة المرحة ميف من ليريا، يجتمعون الآن في سرية. هل تدرك ما يناقشونه يا كوهورن؟"

- أجاب المارشال بإيجاز: "أدرك" مقتصداً في الكلام لأنه كان يعلم أن الرجل الذي يُدير ظهره يُكْبِتُ أيّ ميلٍ للبلاغة أو التعليق على البديهيات.

التفت الرجل عن النافذة: "لم يدعوا إيثين من سيداريس"، وشبك يديه خلف ظهره، ثم تمشى ببطء نحو الطاولة وعاد، ثم أكمل: "ولا إيرفيل من فيردن. لم يُدعَ إيستراد ثيسن ولا نيدامير. مما يعني إما ثقةً مفرطةً بأنفسهم، أو شكوكًا تُنهشهم. ولم يدعوا أحدًا من مجلس السحرة... إنه أمرٌ يستحق التأمل."

- استدار فجأةً: "كوهورن .. إجعل السحرة يعلمون بهذا الاجتماع السري ليُدركوا أن ملوكهم لا يعتبرونهم أندادًا، يبدو أن شكوكًا تساور المجلس حول مكانتهم، فأكدها لهم!"

- "أمرُك مُطاع سيدي".

- "أهناك أية أخبارٌ من ريانس؟"

- "لا شيء."

توقف الرجل عند النافذة، محدقًا بالتلال الغارقة في المطر. انتظر كوهورن، وهو يعبث بقلادة سيفه بعصبية. كان يخشى أن يُجبر على الاستماع لمونولوجٍ طويل، فصاحب

النافذة يعتبر كلماته حوارًا راقيًا، والحوارَ امتيازًا ودليلَ ثقة. لكن المارشال، رغم علمه بهذا، كان يُبغِض سماع تلك الخُطب.

- "كيف تجد البلاد أيها الحاكم؟ هل أعجبك إقليمك الجديد؟"

ارتعد الرجل مُنْفَتِحًا على حين غرة. لم يكن يتوقع السؤال. لكنه لم يُطِل التفكير في الإجابة. التصنُّع أو التردد قد يكلفانه كثيرًا.

- "لا، سموّك. لم تعجبني هذه الأرض... إنها أرضٌ كئيبة."

- رد الرجل دون أن يلتفت: "كانت مختلفة يومًا وستعود مختلفة. سترى بعينك. وستشهد سينترا جميلةً مُشرقةً مرة أخرى يا كوهورن، أعدك بذلك. لكن لا تحزن، لن أُبقيك هنا طويلًا. سيخلفك آخر في حكم الإقليم، سأحتاجك في دول أنجرا، وستغادر فور إخماد التمرد. أريد شخصًا مسؤولًا هناك... مَنْ لا يستسلم للاستفزاز، الملكة الأرملة المرحة من ليريا أو ديمافيند... سيحاولون استفزازنا. ستقود الضباط الشباب لتهدئة حماسهم، لا تَستَجيبوا للاستفزاز إلا بأمري."

- "حاضرًا!"

انبعث صوت صليل الأسلحة والمسامير وهمسات مُتوتِّرة من الغرفة المجاورة، دقّ أحدهم الباب، التفت صاحب جُبّة الأيل عن النافذة مُومئًا بالموافقة، انحنى المارشال قليلًا ثم خرج.

عَاد الرجل إلى الطاولة، جلس وانحنى على الخرائط، دَرَسها طويلًا قبل أن يضع جبهته على كفّيه المتشابكتين. تَأَلّق الماس الضخم في خاتمه تحت ضوء الشموع كأنه ألف لهب.

- صدر صرير خافت من الباب: "سموّك!".

لم يتحرك الرجل. لكن المارشال لاحظ ارتعاش يديه من لمعان الماس. أغلق الباب بحذرٍ خلفه.

- "هل من أخبارٌ يا كوهورن؟ من ريانس ربما؟"

- "لا، سموك. لكن أنباءٌ سارّة. لقد نجحنا في قمع التمرد في المقاطعة وحطّمنا المتمردين، ولم ينجُ سوى قلّة هربوا إلى فيردن، وقد وأسرنا زعيمهم، الدوق ويندهالم من أتري."

- قال الرجل بعد صمتٍ قصير: "جيّد"، وأكمل وهو ما يزال منحنيًا على يديه: "ويندهالم من أتري... أصدِر أمرًا بإعدامه. لا... ليس قطع الرأس. اعدموه بطريقةٍ أخرى، مُثيرة للرعب، طويلة ومؤلمة وبالطبع علنًا، يجب أن يكون عبرةً تُرعب الآخرين. لكن أرجوك يا كوهورن، لا تُسهب في التفاصيل في تقريرك، لا أستمتع بذلك."

أومأ المارشال، وابتلع ريقه بصعوبة. هو أيضًا لم يجد متعةً في الأمر. لا متعة على الإطلاق، كان ينوي ترك مهمة الإعدام للمختصين، دون سؤالهم عن التفاصيل. والأهم، كان عازمًا على عدم الحضور.

- رفع الرجل رأسه، والتقط رسالة من الطاولة وكسر ختمها وقال: "ستحضر الإعدام شخصيًا، ورسميًا، بصفتك حاكم مقاطعة سينترا، وستمثلني شخصيًا، أنا لا أنوي المشاهدة، تذكر أن هذا أمرٌ .. يا كوهورن."

- "حاضرًا!" لم يحاول المارشال إخفاء ارتباكه، فالرجل الذي أصدر الأمر لا يسمح أبداً بإخفاء أي شيءٍ عنه، ونادرًا ما نجح أحدٌ في خداعه.

ألقى الرجل نظرةً عابرة على الرسالة وألقاها في النار.

- "كوهورن."

- "نعم، سموك؟"

- "إجعل السحرة يُنشئون قناة اتصال مع جهة الاتصال في ريدانيا .. لن أنتظر تقرير ريانس.. ليُنقلوا أوامري الشفهية لريانس فورًا: عليه أن يتوقف عن التلكؤ مع الوايتشر. لا أحد يُلاعب الويتشر، أنا أعرفه جيدًا... إنه أذكى من أن يقود ريانس إلى الدرب، عليه تنفيذ الاغتيال فورًا وإخراج الويتشر من اللعبة، ليقتله ثم يختفي منتظراً أوامري، إذا اعترض درب الساحرة ينيفير قبل ذلك، فليتركها. شعرةٌ واحدة من رأسها لا تُمسّ. هل حفظتَ هذا؟"

- "حاضرًا."

- "يجب أن يكون الاتصال مُشفّرًا ومُحصَّنًا ضد أي فكّ سحري، حذِّر السحرة مسبقًا بذلك فإن أخطؤوا وفُكَّت الشفرة فسأحملهم المسؤولية على ذلك."

- "حاضرًا." إتنظّر المارشال واقفًا بشكلٍ مستقيم.

- "ماذا أيضًا يا كوهورن؟"

- "الكونت... وصل بالفعل، سموك. حضر بناءً على أمرك."

- إبتسم: "أوصل؟ يالها من سرعة تستحق الإعجاب، آمل ألّا يكون قد أنهك حصانه الأسود الذي يُحسد عليه، دعه يدخل."

- "هل أبقى خلال الحديث، سموك؟"

- "بالتأكيد ياحاكم سينترا."

دخل الفارس القاعة بخطواتٍ قويةٍ تُصدر صليل درعه الأسود، توقف فجأةً، رفع رأسه بفخر، رمى عباءته السوداء المُلطخة بالطين عن كتفه، ووضع يده على مقبض سيفه الضخم، واستند بخصره على خوذته السوداء المزينة بأجنحة طائر جارح. نظر كوهورن إلى وجه الفارس: رأى كبرياء المحارب وَوَقاحَةَ الشاب، لكنه لم يرَ أثرًا لتجربة السنتين في السجن الذي كان مخرجُه الوحيد من المشنقة، ارتسمت ابتسامةٌ خفيفةٌ على شفتي المارشال، كان يعلم أن شجاعة الشباب المتهورة تنبع من نقص الخيال، لقد كان هو نفسه كذلك يومًا.

التفت الرجل الجالس إلى الطاولة، وضع ذقنه على يديه المتشابكتين، حدّق في الفارس. توتّر الشاب كوَترٍ مشدود.

- قال الرجل خلف الطاولة: "لكي تكون الأمور واضحةً، فالخطأ الذي ارتكبتَه في هذه المدينة قبل عامين لم يُغتَفر بعد، ولكن ستُمنح فرصةً أخيرة، ومصيرك يتوقف على تنفيذك للأمر الجديد."

لم يرمش الفارس، حتى ريشةٌ واحدةٌ في جناحي خوذته لم تتحرك.

- تابع الرجل "أنا لا أُعطي أوهامًا كاذبةً، فرصتك في النجاة من فأس الجلاد موجودةٌ فقط إن لم تُخطئ هذه المرة، إن فرص العفو الكامل ضئيلة، وفرصي في النسيان... معدومة."

لم يخفت بريق عيني الفارس، لكن كوهورن التقط ومضةً من التحدي فيها، "إنه لا يصدقه، إنه يخدع نفسه، ياله من خطأٍّ فادح."

- استأنف الرجل: "أنصتا جيدًا، أنت أيضًا يا كوهورن، فالأمر يخصكما معًا، سأصدر الأوامر بعد تفكيرٍ في صياغتها."

وقف المارشال مينو كوهورن - حاكم سينترا والقائد المستقبلي لجيش دول أنجرا - في وضع الاستعداد، يده على مقبض سيفه، تبعه الفارس بدرعه الأسود في الوقفة ذاتها. انتظر الاثنان، بصمت وصبر وبالطريقة التي ينتظر بها المرء أوامرَ إمبراطور نيلفغارد: إمير فار إمريس اللهب الأبيض الراقص على تلال جثث الأعداء.

* * *

إستيقظت سيري.

كانت مُستلقيةً، أو نصف جالسة، ورأسها مرتفع على عدة وسادات، ضمادات جبينها أصبحت دافئة ورطبة قليلًا. نزعتها عن وجهها، غير قادرة على تحمل ثقلها المُزعج ولسعتها على جلدها، وجدت صعوبةً في التنفس، حلقها جاف وأنفها مسدود تقريبًا بجلطات دم، لكن الجرعات والسحر أظهرا مفعولهما فالألم الذي انفجر في جمجمتها وأظلم رؤيتها قبل ساعات قد اختفى، تاركًا خلفه خفقانًا باهتًا وضغطًا على صدغيها.

بحذر، لمست أنفها بظهر يدها. لم يعد ينزف.

"يا له من حلم غريب"، فكرت "إنه أول حلم منذ أيام والأول الذي لم أشعر فيه بالخوف، الأول الذي لم يكن عني، كنتُ... مُراقبة. رأيتُ كل شيء كما لو كنتُ من الأعلى، من مكانٍ مرتفع... كأنني طائر... طائر ليلي...حلمٌ رأيتُ فيه جيرالت".

في الحلم، كان الليل. والمطر الذي شقّ سطح القناة، يطرق على أسقف الألواح الخشبية وأعشاش الأكواخ، يلمع على ألواح الجسور المُشاة ومقدّمات القوارب... وكان جيرالت هناك، لم يكن وحده بل كان معه رجلٌ يرتدي قبعة مضحكة بريشةٍ متدلية من البلل، وفتاة نحيلة بعباءة خضراء ذات قلنسوة... كان الثلاثة يمشون ببطء وحذر على جسرٍ مبلل... ورأيتهم من الأعلى. كأنني طائر. طائر ليلي...

- توقف جيرالت فجأة وسأل: "هل ما زال الطريق بعيدًا؟".

- أجابت الفتاة النحيلة وهي تنفض الماء عن عباءتها الخضراء: "لا، كدنا نصل"

قاطعها جيرالت: "... يا دانديليون، لا تتأخر وإلا ستفقدنا في هذه الأزقة المسدودة... وأين بحق الجحيم فيليبا؟ لقد رأيتها قبل قليل تحلق بجانب القناة... يا للطقس البائس! لنمضي، دلّينا الطريق يا شاني، أخبريني، من أين تعرفين هذا المُحتال؟ وما علاقتك به؟"

- "أبيع له أحيانًا أدويةً مسروقة من ورشة الكلية، لماذا تحدقين بي هكذا؟ بالكاد يستطيع والدي بالتبني دفع مصاريف تعليمي... أحتاج أحيانًا لقليل من المال... وهذا المُحتال، بفضل الأدوية الحقيقية، يعالج الناس... أو على الأقل لا يسممهم... حسنًا، لننطلق."

"يا له من حلم غريب"، فكرت سيري. "للأسف استيقظت. كنتُ أريد رؤية ما سيحدث... أريد معرفة ما الذي كانوا يفعلونه هناك. إلى أين يتجهون..."

من الغرفة المجاورة، انبعثت أصواتٌ أيقظتها. الأم نينيكي تتحدث بسرعة، يبدو عليها الغضب والانفعال.

"خنتَ ثقتي"، كانت تقول: "لم يكن يجب أن أسمح بذلك، كان عليّ توقع أن كرهك لها سيؤدي لكارثة، أعرفك جيدًا... أنت قاسية عديمة الرحمة، وفوق كل ذلك، اتضح أنك مهملة ولا تتحملين مسؤولية، تعذّبين تلك الطفلة بلا رحمة، وتُجبرينها على تجربة ما لا يمكنها تحمله، أنت بلا قلب ..حقًا .. بلا قلب يا ينيفير."

أصغت سيري باهتمام، تتوق لسماع رد الساحرة، صوتها البارد القاسي العذب، تتوقع سخريةً من حماية الأم المفرطة، لكن ينيفير أجابت بهدوءٍ شديد، لدرجة أن الفتاة لم تستطع تمييز الكلمات.

"سأعاود النوم"، فكرت وهي تلمس أنفها المؤلم المليء بالدم المتجلط. "سأعود لحلمي، سأرى ما يفعله جيرالت هناك، في الليل، تحت المطر، بالقرب من القناة..."

في الحلم، كانت ينيفير تمسك بيدها، تسيران في ممرٍ طويل مظلم بين أعمدة حجرية أو تماثيل. ظلامٌ كثيف، وشعورٌ بأن أحدًا يراقبهما، همساتٌ كحفيف الريح، الأبواب تفتح تباعًا أمامهما. لكن بابًا ضخمًا ظهر فجأة، وأدركت سيري أنه لا يجب فتحه. شيءٌ ما ينتظر خلفه... حاولت الهرب، لكن قبضة ينيفير كانت قوية.

- إن كنتِ خائفة، عودي.

- هذا الباب لا يجب فتحه.

- أعلم.

- لكنكِ ما زلتِ تقودينني إليه.

- إن كنتِ خائفة، عودي. ما زال لديكِ وقت.

- وأنتِ؟

- أما أنا... فليس لدي.

التفتت سيري. رغم الظلام، سمعت صوت حوافر، صليل دروعٍ سوداء، وخفق أجنحة طائر جارحٍ. صوتٌ يخترق جمجمتها:

"لقد ارتكبتِ خطأً. ظننتِ النجومِ المنعكسة على سطح البحيرة ليلًا هي السماء ذاتها."

استيقظت فجأة، تضغط على ضمادةٍ باردة. كانت غارقة في العرق، والألم يعود لصدغيها. جلست ينيفير بجانبها، شعرها الأسود يتدلى كعاصفة.

"حلمت..." همست سيري.

- "أعلم"، أجابت الساحرة بصوتٍ غريب. "لهذا أنا هنا. بجانبك."

* * *

خارج النافذة، كان حفيف المطر على أوراق الأشجار.

- زمجر دانديليون وهو ينفض الماء عن قبعته: "اللعنة! يبدو المنزل كحصنٍ حصين! لماذا يعزّز هذا المحتال نفسه هكذا؟"

كانت القوارب ترتطم ببعضها على ضفة القناة.

- شرحت شاني: "هذا الميناء مليء بالأوغاد فالجميع يعرف أن ميهرمان يعيش وحيدًا، لذا يحمي نفسه. أمتفاجئ أنت؟"

- قال جيرالت متأملاً المنزل المبني على ركائز في وسط القناة "بالطبع لا .. كيف نصل إلى الجزيرة؟ ربما نستعير قاربًا..."

- قاطعته الطالبة: "لا داعي لذلك فهناك جسرٌ متحرك."

هبطت بومةٌ رمادية ضخمة بلا صوت على درابزين السفينة، رفرفت بجناحيها، ثم تحولت إلى فيليبا إيلهارت، متجهمةً ومبتلة.

- تمتمت الساحرة بغضب: "لماذا أنا هنا أتوازن على قاربٍ مبلل وأخون الدولة؟ لو اكتشف ديجكسترا مساعدتي لكم... وهذا المطر اللعين! كم أكره الطيران تحت المطر. أهذا منزل ميهرمان؟"

- أكد جيرالت: "أجل"

من الناحية الأخرى للقناة، انبعثت أصوات غناء وشتائم. رجالٌ ثلاثة يتشاجرون بينما كان الثالث يتبول في القناة.

دونغ! دوى صوت الصفيحة الحديدية معلنًا طلب الدخول.

فتح ميهرمان نافذة صغيرة ممسكًا فانوسًا: "من يطرق في هذا الوقت؟ اذهبوا للجحيم أيها السكارى! لدي قوسٌ جاهز!"

- "أنه أنا، شاني!"

- "آه؟ الآنسة شاني؟ في منتصف الليل؟"

- "أنزل الجسر! جلبت ما طلبته!"

- "لماذا لا تأتين نهارًا؟!"

- "هناك عيون كثيرة نهارًا. أنزل الجسر قبل أن أغرق!"

بتمتمات غاضبة، فك ميهرمان القفل وأنزل الجسر المتحرك. لكن قبضةً مغطاة بقفاز فضي أسود اندفعت نحو رأسه، فأصابه دوارٌ رأى خلاله آلاف النجوم الساطعة.

* * *

في قبو مُعتق تنبعث منه رائحة النبيذ الفاسد، جلس رينس مع إخوة ميشيليت.

- "إذن نقتل رجلاً عاديًا بمئتي تاج؟" قال توبلانك بينما يشحذ سيفه.

أجاب رينس بوجهٍ مشوهٍ بحرق: "تم الإتفاق على ذلك"

تحركت ساق فلافيوس فجأةً ساحقةً صرصورًا كان يزحف على الأرض.

- أكد توبلانك: "لن يكون هناك مطاردة أو ثأر ..المال أولاً."

- "اتفقنا. لننطلق."

توابلانك ميشيليت، القاتل المحترف منذ سن الرابعة عشرة، لم تظهر على وجهه أي علامات دهشة مهما كانت طفيفة. لم يكن يتوقع أن يتمكن من التفاوض لأكثر من مائة وعشرين، أو مائة وخمسين على الأكثر. فجأة تأكد أنه قد حدد سعرًا منخفضًا جدًا للعقبة الخفية في هذه المهمة.

استعاد شارلاتان ميهرمان وعيه على أرضية غرفته، مُستلقيًا على ظهره، مقيّدًا كالخروف، كان ألم مؤخرة رأسه لا يُحتمل، وتذكر أنه عند سقوطه اصطدم رأسه بإطار

الباب، كان صدغه حيث ضُرب أيضًا كان يؤلمه. لم يستطع الحركة لأن حذاءً عاليًا مزودًا بأبازيم كان يضغط على صدره بقسوة.

نظر المحتال العجوز إلى الأعلى محدقًا، إن الحذاء يعود لرجل طويل بشعر أبيض كالحليب. لم يتمكن من رؤية وجهه - كان مختبئًا في الظلام الذي لم ينجح الفانوس الموضوعة على الطاولة في تبديده.

"ارحمني..." أنَّي، "أقسم بالآلهة... سأعطيك أموالي... كل شيء... سأريك أين تخبئ..."

- "أين رينس، يا ميهرمان؟"

ارتجف المحتال عند سماع الصوت. لم يكن رجلاً جبانًا، لكن هذا الصوت احتوى على كل ما يخافه... وأكثر.

بجهد إرادي خارق، تغلب على الخوف الزاحف في أحشائه كحشرة قذرة.

- "ماذا؟ من؟ ماذا تقول؟"

انحنى الرجل نحوَه، فرأى ميهرمان عينيه. نظرة جعلت أحشاءه تتدلى إلى حنجرته.

إنبعث صوت شاني الطالبة من الظلام: "لا تلعب، يا ميهرمان، قبل ثلاثة أيام، كان هنا رجل بمعطف من فراء المسك، قد شرب النبيذ، وتحرش بي. ألم تقل: 'اتركها يا سيد رينس، لا تخفها، أحتاج لعلاقات جيدة مع الأكاديميين'؟"

- أيتها الطالبة المغرورة! فكر المحتال. سأنتقم منك...

- "أي رينس؟" صرخ وهو يتلوى. "كيف أعرف أين هو؟"

انحنى الرجل الأشقر أكثر، مسحوبًا خنجرًا من حذائه. "إن لم تُخبرني الآن... سأطعمك لثعابين الماء... بدءًا بأذنيك."

ارتجف ميهرمان عند رؤية الشفرة الحادة. لكنه صمت. لو أخبرهم، كيف سيواجه رينس؟

- انبعث صوتٌ نسائي ناعم من الظلام: "لماذا نضيع الوقت؟". "دعيني أتعامل معه بطريقتي. سيتكلم بسرعة ليعض لسانه. أمسكوه."

صرخ المُحتال وتلوى في قيوده، لكن الرجل الأشقر ثبته بأرض الغرفة بركبته، وأمسك شعره ولف رأسه. جثت امرأة بجانبهما، فشَم رائحة عطرٍ وريش طائر مبلل، وشعر بلمسة أصابع على صدغه. أراد الصراخ لكن الرعب خنقه، فلم يُصدر سوى همسةٍ مبحوحة.

"أتريد الصراخ الآن؟" همس الصوت الناعم قرب أذنه كقطّة راضية. "مبكرٌ جدًا يا ميهرمان. لم أبدأ بعد. لكنني سأشق أخاديدَ في دماغك، وعندها ستعرف معنى الصراخ الحقيقي."

* * *

"إذن،" قال فيلغفورتز بعد سماع التقرير، "بدأ ملوكنا يفكرون باستقلالية. تحولوا من التكتيك إلى الاستراتيجية في وقت قصير؟ كم هو مثير هو هذا الأمر. في سودين، كانوا

يصرخون ويلوّحون بسيوفهم كهمج. واليوم، في قلعة هاغ، يقررون مصير العالم. توقعت هذا."

- أكد أرتود تيرانوفا: "نعلم ذلك لهذا نحن هنا."

"شكرًا لتذكيركم،" ابتسم الساحر، بينما تأكدت تيسايا دي فريس داخليًا أنه يعرف كل الحقائق مسبقًا. لم تنبس بكلمة، رتبت أكمامها الدانتيل بتساوٍ تحت نظرات تيرانوفا المستاءة وضحك فيلغفورتز.

- "ما موقف المجلس من هذا؟"

- رد تيرانوفا: "نريد رأيك أولًا".

- ابتسم فيلغفورتز: "لنبدأ بالطعام أولًا فالجو عاصف بالخارج. ليديا، هل تتفضلين؟"

ظهرت ليديا فان بريديفورت من خلف الستارة كشبحٍ شفاف، وابتسمت بعينيها لتيسايا التي ردت التحية ببرودة. بينما انحنى تيرانوفا باحترامٍ مبالغ.

أثناء العشاء، التهم تيرانوفا بشراهة، بينما تلاعبت تيسايا بأدوات المائدة بحثًا عن التناظر المثالي، وشربت بالقليل، وكذلك فيلغفورتز. أما ليديا، فلم تلمس طعامًا.

- قال تيرانوفا أخيرًا :"حسنًا، فيلغفورتز، ما رأيك في تصرفات الملوك؟ المجلس يريد موقفًا موحدًا."

- رد الساحر بينما كانت ليديا تقدم له البروكلي: "يسعدني أن رأيي مهم لهذا الحد".

- صب تيرانوفا نبيذًا أكثر: "لم نقل ذلك، نريد سماع الآراء قبل الاجتماع."

لننتقل إلى الورشة، اقترحت ليديا عبر التخاطر، فشرب تيرانوفا كأسه دفعة واحدة.

- مسح فيلغفورتز أصابعه قائلاً: "فكرة ممتازة، حمايتي من التنصت السحري أقوى هناك، إحمل القنينة يا أرتود."

- "لن أرفض. إنه نبيذي المفضل."

انتقلوا إلى الورشة. لم تستطع تيسايا مقاومة إلقاء نظرة على طاولة العمل المثقلة بالقطارات والبوتقات وأنابيب الاختبار والبلورات وأدوات سحرية عديدة. كلها مُحاطة بطلاء سحري، لكن تيسايا دي فريس كانت رئيسة السحرة لا يوجد حاجز لا تستطيع اختراقه. وكانت فضولية بعض الشيء لمعرفة ما كان الساحر يعمل عليه مؤخرًا. اكتشفت تركيب الأجهزة المستخدمة حديثًا في لمحة. كانت تخدم في كشف الأشخاص المختفين عبر رؤية نفسية بطريقة "البلورة، المعدن، الحجر". إما كان الساحر يبحث عن شخص ما أو يحل مشكلة نظرية. كان فيلغفورتز معروفًا بحبه لحل مثل هذه الألغاز.

جلسوا في كراسي من الأبنوس المنحوت. ألقت ليديا نظرة على فيلغفورتز، التقطت الإشارة من عينيه وخرجت فورًا. تنفست تيسايا تنهيدة خفيفة.

الجميع عرف أن ليديا فان بريديفورت تحب فيلغفورتز منذ سنوات بصمت وعناد. الساحر - بلا شك - عرف هذا أيضًا لكنه تظاهر بعدم الملاحظة. ليديا جعلت الأمر أسهل بعدم إظهار مشاعرها أبدًا، حتى لو استطاعت الكلام. كانت فخورة جدًا. فيلغفورتز أيضًا لم يفعل شيئًا لأنه لم يكن يحبها. الوضع كان ميئوسًا منه لكنه مستقر، وهذا أرضاهما كليهما.

- كسر الساحر الشاب الصمت: "إذن.. أعضاء المجلس قد احتارت عقولهم حول خطط الملوك؟ دون داع، يجب تجاهل خططهم ببساطة."

- توقف أرتود تيرانوفا والكأس في يده اليسرى وقارورة النبيذ في اليمنى قائلاً: "عذرًا؟" "أفهمك للأمر صحيحًا؟ ألن نفعل شيئًا؟ أسنسمح بذلك .."

- قاطعه فيلغفورتز: "لقد فعلنا بالفعل، لأن أحدًا لم يطلب إذننا، ولن يطلب. أكرر، يجب التظاهر بعدم المعرفة. هذا هو الحل العقلاني الوحيد."

- "إن خططهم تهدد بحرب واسعة النطاق."

- "ما نعرفه عن خططهم جاء من مصدر غامض ومشكوك فيه. حتى لو كانت صحيحة، فما زالت في مرحلة التخطيط. وإن تجاوزوها... سنتصرف وفقًا لذلك."

- عبس تيرانوفا: "تقصد أن نرقص على إيقاعهم؟".

- التقت عينا فيلغفورتز به: "نعم، أرتود، سترقص على إيقاعهم، أو ستغادر حلبة الرقص. لأن منصة الفرقة عالية جدًا لتخبر الموسيقيين بما يعزفون. أدرك هذا أخيرًا، إن ظننت أ، هناك حلاً آخر فأنت مخطئ، أنت تخلط بين النجوم المنعكسة على سطح البحيرة والسماء ذاتها."

كانت تيسايا تفكر بأن مجلس السحرة سينفذ أوامره المتنكرة على شكل نصيحة، نحن جميعًا بيادق على رقعة شطرنجه، ارتقى، نما، حجبنا بلمعانه، أخضعنا. بيادق في لعبة قواعدها مجهولة لدينا.

ضبطت تيسايا أكمامها غير المتساوية مرة أخرى.

- قالت ببطء: "خطط الملوك دخلت مرحلة التنفيذ، في كيدوين وإيديرن بدأ هجوم على السكوايتيل، دماء الإلف الصغار تسيل، وصل الأمر لاضطهاد غير البشر، وهناك حديث عن مهاجمة إلف دول بلاثانا والجبال الرمادية، هذه مذابح جماعية. هل نقول لجديمدايث وإنيد فيندابير أن نقف مكتوفي الأيدي؟"

التفت فيلغفورتز نحوها ، فكرت تيسايا، الآن ستغير تكتيكك، وستسمع صوت النرد على الطاولة، وستغير النغمة.

لم يحط فيلغفورتز بصره عن عينيها.

- قال باختصار: "أنتِ محقة، الحرب مع نيلفغارد أمر، لكننا لا نستطيع السكوت عن مذابح غير البشر، أقترح عقد مؤتمر عام، يشمل كل السحرة حتى درجة الماجستير الثالثة، بمن فيهم مستشاري الملوك منذ سودين، في المؤتمر سنعيدهم لصوابهم ونأمرهم بكبح ملوكهم."

- قال تيرانوفا: "أؤيد هذا، لنذكرهم بولائهم الأول، حتى بعض أعضاء مجلسنا ينصحون الملوك الآن: كاردوين، فيليبا إيلهارت، فركارت، رادكليف، ينيفير"

عند الاسم الأخير، ارتجف فيلغفورتز داخليًا.

لكن تيسايا – رئيسة السحرة – التقطت الفكرة القافزة من طاولة العمل إلى الكتابين الموضوعين عليها، كلا الكتابين كانا خفيين تحت طلاء سحري. ركزت الساحرة واخترقت الحاجز.

"آين إيثلينسبيث"، نبوءة إيثلين إيغلي ابنة أفينين، العرافة الإلفية. نبوءة نهاية الحضارة، الدمار، عودة الهمجية مع زحف الجليد من حدود التجمد الأبدي. والكتاب الآخر... قديم جدًا... آين هين إيتشير... الدم القديم... دم الإلف!

- "تيسايا؟ ما رأيكِ؟"

- عدّلت الساحرة خاتمها الذي انقلب: "أؤيده .. أؤيد خطة فيلغفورتز، لندعو لمؤتمرٍ بأسرعِ ما يمكن."

وتواردت خواطرها "معدن، حجر، بلورة... أتبحث عن ينيفير؟ لماذا؟ وما علاقتها بنبوءة إيثلين؟ أو بدم الإلف القديم؟ ما الذي تحيكه يا فيلغفورتز؟"

- قالت ليديا فان بريديفورت عبر التخاطر: "أعذريني، دخلت بلا صوت.

- نهض الساحر قائلاً: "عذرًا، هذه رسالةٌ طارئة كنت أنتظرها منذ البارحة، ستأخذ دقيقة."

تثاءب أرتود، كتم تجشؤًه ومد يده نحو القنينة. نظرت تيسايا إلى ليديا التي ابتسمت بعينيها. النصف السفلي من وجه ليديا كان وهميًا.

قبل أربع سنوات، وبإشراف فيلغفورتز، شاركت ليديا في تجارب على قطعة أثرية ملعونة من مقبرة قديمة، فانفجرت القطعة ومات ثلاثة سحرة على الفور، بينما الرابع عينيه وعقله. لكن ليديا نَجَت بحروق وفك مشوه وحنجرة مُتحورة تقاوم كل محاولات العلاج. منذ ذلك الحين، يخفي وهمٌ سحري قوي تشوهات وجهها.

- وضع فيلغفورتز الرسالة جانبًا: "همم... شكرًا ليديا."

- الرسول ينتظر ردًا.

- "لن يكون هناك رد."

- فهمت. لقد جهزت غرفًا لضيوفك.

- "شكرًا. تيسايا، أرتود، اعتذروني على الانقطاع. لنكمل."

كانت تيسايا تفكر "نحن لم نكن نكمل أي شيء، لكني أصغي جيدًا. فذات يومٍ ستذكر أخيرًا ما يهمك حقًا".

- بدأ فيلغفورتز ببطء: "آه، تذكرت ما أردت قوله، أنا أفكر في أعضاء المجلس الأقل خبرة - فركارت وينيفير. فركارت مستشار فولتست في تيميريا. لكن من ترتبط ينيفير به؟ قلت يا أرتود إنها تخدم الملوك."

- قالت تيسايا بهدوء: "أرتود بالغ .. تعيش ينيفير في فينجربيرغ، قد يستشيرها ديمافيند أحيانًا، لكنها لا تعمل معه دائمًا."

- "كيف حال بصرها؟ أكل شيء على ما يرام؟"

- "نعم."

- "جيد. كنت قلقًا... لقد حاولت الاتصال بها لكنها اختفت، لا أحد يعرف أين."

"حجر، معدن، بلورة... كل ما تلبسه ينيفير نشطٌ ولا يمكن كشفه بالرؤى النفسية، لن تجدها بهذه الطريقة، عزيزي. إذا أرادت الاختفاء، فلن يعثر عليها أحد".

- قالت بتؤدة وهي تضبط أكمامها: "اكتب لها، أرسل الرسالة بالبريد العادي، ستصلها حتمًا، وسترد أينما كانت."

- تدخل أرتود: "ينيفير تختفي غالبًا لشهور، أسبابها تافهة عادة..."

نظرت تيسايا إليه شاحبة. سكت الساحر. ابتسم فيلغفورتز بخبث.

- "بالضبط، هذا ما ظننته، كانت ذات يوم مرتبطة بويتشر... جيرالت، إن لم أكن مخطئًا. لم تكن مجرد علاقة عابرة. يبدو أنها كانت متورطة بعمق..."

جلسة تيسايا مستقيمة، قبضت على مسندي الكرسي.

- "لماذا تسأل عن هذا؟ هذه أمور شخصية. لا تعنينا."

- ألقى فيلغفورتز نظرة على الرسالة المهملة على المنضدة: "بالتأكيد لا تعنينا. لكنني لاأسأل بدافع الفضول، بل قلقي على الحالة العاطفية لعضو في المجلس، أتساءل عن رد فعل ينيفير عند سماعها خبر... مقتل جيرالت، أتظن أنها ستتخطى الأمر دون أن تقع في كآبة أو حداد مبالغ فيه؟"

- ردت تيسايا ببرودة: "لا شك في ذلك، خاصةً أن مثل هذه الأخبار وصلتها مرارًا واتضح دائمًا أنها إشاعات."

- أكد تيرانوفا: "صحيح، هذا الويتشر، أو أيًا كان اسمه، يعرف كيف يحمي نفسه، وهو مُحوَّل وراثي، آلة قتل مبرمجة على الفتك لا الاستسلام. أما ينيفير، فلا نبالغ في

عواطفها المزعومة، نعرفها جيدًا. كانت تلعب بالويتشر، هذا كل شيء، لقد إنجذبت للموت الذي يلاحقه، وعندما يحين أجله، ستنتهي القصة."

- علقت تيسايا بجفاف: "في الوقت الحالي .. الويتشر لا يزال حيًا."

ابتسم فيلغفورتز وألقى نظرة أخرى على الرسالة أمامه.

- "أحقًا؟ لا أظن ذلك"

* * *

ارتجف جيرالت قليلًا وابتلع ريقه. صدمة الجرعة السحرية الأولية خفت، وبدأ تأثير المرحلة الثانية يظهر عبر دوخة خفيفة ترافق تكيف بصره مع الظلام.

تسارع التكيف. الظلام الليلي العميق تلاشى، وتحولت الأشياء حوله إلى درجات رمادية تتضح تدريجيًا. في الزقاق المؤدي إلى القناة - الذي كان قبل لحظات أسود كقطران - أصبح يرى الآن الجرذان تتسلل بين القنوات، وتستنشق البرك والشقوق. سمعه أيضًا اشتد بفضل جرعة الويتشر. شبكة الأزقة الخالية التي كان يملأها صوت المطر، بدت الآن تنبض بالحياة: عواء قطط متشاجرة، نباح كلاب عبر القناة، ضحكات السكارى في حانات أوكسنفورت، وزمارة بعيدة تعزف لحنًا مرحًا. حتى البيوت النائمة بدت حية: شخير النائمين، خوار الثيران، شهيق الخيول. من إحدى البيوت القصية، انبعثت أنات امرأة متوجعة في خضم لقاء حميمي.

تصاعدت الأصوات. أصبح يسمع كلمات الأغاني البذيئة، ويعرف اسم عشيق المرأة. من منزل ميهرمان على القناة، انطلق هذيان المحتال الذي حولته فيليبا إيلهارت إلى أحمق بلا رجعة.

لقد اقترب الفجر، وتوقف المطر، وبدأت الرياح تبدد السحب، وبدأ الأفق الشرقي يضيء.

فرت الجرذان فجأة في الزقاق التي كانت تختبئ بين الصناديق والقمامة، وسمع الويتشر خطوات، أربعة أو خمسة رجال لكنه لم يستطع الجزم، نظر لأعلى فلم يجد فيليبا.

غير تكتيكه فورًا، إذا كان رينس بين القادمين، ففرص الإمساك به ضئيلة، سيضطر لقتل الحراس أولًا، وهو ما لا يريده. أولًا: الجرعة تجعله لا يتردد في القتل. ثانيًا: سيهرب رينس.

اقتربت الخطوات. خرج جيرالت من الظلال.

برز رينس من الزقاق، تعرف الويتشر عليه فورًا - رغم أنه لم يره من قبل. الحرق الذي تركته ينيفير يختبئ تحت ظل قلنسوته.

كان وحيدًا. حراسه بقوا مختبئين في الزقاق. فهم جيرالت السبب: رينس عرف من ينتظره عند منزل المحتال. اشتبه في كمين، ومع ذلك جاء ترى السبب؟

سمع بعدها صليل سيوف تُسحب من أغمادها.

حسنًا، فكر. إذا كان هذا ما تريده...

- همس رينس: "مُتعةٌ أن أطاردك، تظهر حيثُ نريدك طوعًا."

- رد الويتشر بهدوء: "ينطبق عليك أيضاً، جئتَ حيثُ أردتك."

لقد عذبتَ ميهرمان ليعترف عن الجُعل، ليريك مكاني، لكنه لم يعلم أن الجُعل يُرسل إنذارًا مع الرسالة، أنت لاتعلم بأني قد وزعتُ العديد من هذه الجعلات، علمتُ أنك ستصادف أحدها يومًا."

ظهر أربعة رجال من زاوية الزقاق. تحركوا بخفة، سيوفهم ممسوكة لتجنب لمعان النصل، الويتشر رآهم بوضوح، لكنه لم يبدِ ذلك. حسنًا أيها القتلة...

- تابع رينس دون أن يتحرك: "انتظرتك، وها أنت هنا، سأطهّر الأرض من نجاستك أيها المُتحوَّل القذر."

- أنت مجرد أداة، بلطجي مُستأجر لتنفيذ الأعمال القذرة: "تعتزم؟ من وظفك أيها التابع؟"

- "أتريد أن تعرف الكثير أيها المُحوَّل؟ وتسميني تابعًا؟ أتعلم ما أنت؟ كومة قذارة على الطريق يجب إزالتها كي لا يتسخ حذاء أحدهم، لا، لن أخبرك من هو، رغم أنني أستطيع، لكن سأخبرك شيئًا آخر لتفكر فيه في طريقك إلى الجحيم. أعرف أين أجد ذلك اللقيط الذي كنت تحميه، وأعرف أين أجد ساحرتك ينيفير، رعاتي لا يهتمون بها، لكني أحمل ضغينة شخصية ضدها، وبمجرد أن أنتهي من أمرك، سألاحقها. سأجعلها تندم على حيلتها بالنار. نعم، ستندم طويلًا."

- ابتسم الويتشر بسخرية: "لم يكن عليك قول هذا." ، لقد بدأ يشعر بنشوة القتال التي أثارتها الجرعة. "قبل هذه الكلمات، كان لديك فرصة للنجاة، الآن لن تعيش."

اهتزت ميداليته بقوة محذرة من هجوم سحري، فقفز جانبًا، وسحب سيفه بلمعان، محوّلاً موجة الطاقة السحرية القاتلة بشفرته المنقوشة بالرونية. تراجع رينس، رافعًا ذراعه

لإطلاق تعويذة، لكن الخوف تملكه. بدلًا من المحاولة ثانية، فر هاربًا في الزقاق. لم يستطع الويتشر ملاحقته - فقد انقض عليه الأربعة الذين ظنوا أنهم مختبئون، ولمعت السيوف.

كانوا محترفين. أربعتهم. خبراء يعملون كفريق. هاجموا ثنائيين، من اليمين واليسار. اختار جيرالت ثنائي اليسار. النشوة اختلطت بالغضب.

قام الأول بهجوم وهمي من اليمين ليفسح المجال لشريكه. دار جيرالت في دوامة، تجنب الهجوم، وضرب الآخر من الخلف بقوة - من القفا حتى الظهر. الدم نَزَف كالنافورة على الحائط.

الثنائي التالي افترقا لهجوم متزامن. تدخل جيرالت بينهما، مما أربك تزامنهما. أحدهما ارتد بخفة، بينما تعثر الآخر. ضربة سيف قوية قطعت عموده الفقري. صرخة مرعوبة صدعت الأزقة.

الباقيان هاجماه بضراوة. لكنه صد الضربات بصعوبة، ثم شن هجومًا مضادًا. ضربة عمياء من الخلف شقت بطن أحدهم. الأخير حاول ضربة خاطفة، لكن جيرالت دار بسرعة، وطعنه في العينين.

سمع صرخة شاني المرعوبة من على الجسر: "دعني أذهب! هناك جرحى! أنا طبيبة!"

- كان صوت دانديليون باهتًا: "لا يمكنك مساعدتهم، ليس بعد سيف الويتشر..."

ركعت امرأة بجانب توبلانك ميشيليت الذي يحتضر. رائحة عطر وريش مبلل. صوت ناعم يهمس: "كل شيء سيكون بخير. من أرسلكم؟ من قدمكم لرينس؟"

تذوق توبلانك الدم في فمه. لم يعد يشعر بالألم. الأرض الباردة تحت خده، والظلام يزحف رويداً.. لم يعد يشعر بأي شي.

"أخبرني،" استمر الصوت الهادئ يكرر. "أخبرني يا بني."

أغمض توبلانك ميشيليت - القاتل المحترف منذ الرابعة عشرة - عينيه وابتسم ابتسامة ملطخة بالدم. همس بما يعرفه. وعندما فتح عينيه، رأى خنجرًا رفيع النصل بمقبض ذهبي صغير.

"لا تخف،" قال الصوت الهادئ بينما لامس رأس الخنجر صدغه. "هذا لن يؤلمك."

حقًا، لم يؤلم.

أدرك جيرالت الساحر في اللحظة الأخيرة أمام البوابة، بعد أن ألقى سيفه، كانت يداه حرتين، فأصابعه الممتدة في القفزة تشبثت بحافة عباءة رينس، ففقد رينس توازنه، وانحنى للخلف، انتزع عباءته بعنف وحرر نفسه. لكنه تأخر.

عاجله جيرالت بضربة على كتفه اليمنى، ثم ضرب عنقه بيده اليسرى. ترنح رينس لكنه لم يسقط. قبض عليه جيرالت وضغط بقبضته تحت أضلاعه. أنّ الساحر وانحنى. أمسكه جيرالت من صدره، دار به وألقاه أرضًا. تحت ركبته، مد رينس ذراعه ليطلق تعويذة. لكن قبضة جيرالت سددت ضربة قوية على فمه. انشققت شفتاه كحبات الكشمش الأسود.

قال بصوت أجش :"لقد استلمت هدية من ينيفير، الآن ستحصل على هديتي."

ضربه مرة أخرى فارتد رأس الساحر، ونضح الدم على جبهة وجنتي الويتشر، شعر جيرالت بالدم لكنه لم يهتم. كان غاضبًا.

- "من أرسلك؟ من وظفك؟"

بصق رينس دمًا تجاهه. ضربه جيرالت مرة أخرى.

البوابة السحرية اشتعلت بقوة، فيضان من النور غمر الزقاق. شعر جيرالت بالطاقة تنبض منها حتى قبل أن تهتز ميداليته تحذيرًا.

استمد رينس الطاقة من البوابة. من أصابعه الممدودة نبتت مسامير فولاذية طولها ست بوصات، اخترقت صدر جيرالت وكتفه بانفجار طاقة. ارتد جيرالت إلى الخلف في قفزة تشنجية، شعر بأسنانه تتحطم.

حاول رينس النهوض لكنه ترنح نحو البوابة. أخرج جيرالت خنجرًا من حذائه. لكن شيئًا ما قبض عليه من الخلف - أشعة ضوء من فيليبا إيلهارت شلت حركته.

شاهد رينس يترنح نحو البوابة ويختفي في نورها الحليبي، انطفأت البوابة، تاركة خلفها الظلام الدامس.

"لماذا يا فيليبا؟" التفت جيرالت إليها وهي تمسك بخنجر مغموس في جمجمة توبلانك.

- "أنت تعرف السبب."

- أدار سيفه نحوها: "نعم، الآن بتُ أعرف."

- تراجعت فيليبا: "أنت جريح ، الجرعة تخدر ألمك لكنك تنزف، هل هدأت كفاية لأعالجك؟ لا تقترب! لا أريد إيذاءك لكن..."

- صرخ دانديليون وهو يحتضن شاني الباكية: "فيليبا! هل جُننتِ؟"

- قال الويتشر بجهد: "لا .. إنها عاقلة تمامًا. وتعلم جيدًا ما تفعله، لقد استغلتنا منذ البداية، خانتنا، خدعتنا ..."

- كررت فيليبا إيلهارت: "اهدأ .. لن تفهم، ولا تحتاج أن تفهم، فعلت ما كان يجب فعله، لا تطلق عليّ لقب خائنة، فقد فعلت هذا كي لا أخون قضيةً أعظم مما تتخيل. قضية عظيمة تفرض التضحية بالفروع من أجلها دون تردد."

- ترنح الويتشر للأمام متجاهلًا دانديليون: "و قضيتك العظيمة..." "هي رجل جريح طُعن بدم بارد بعد أن أخبرك بما تريدين، بينما حُرمت أنا من المعرفة. قضيتك هي رينس الذي سمحتِ له بالهروب كي لا يفشي اسم راعيه. كي يستمر في القتل. قضيتك هي تلك الجثث التي لم تكن ضرورية. بل دعني أصحح: إنها مجرد فروع صغيرة!"

- "علمتُ أنك لن تفهم."

- "حقًا، لا أفهم. ولن أفهم أبدًا. لكنني أعرف جوهر الأمر. قضاياكم العظيمة، حروبكم، صراعكم لإنقاذ العالم... الغاية التي تبرر الوسيلة... أتسمعين تلك الأصوات يا فيليبا؟ إنها قطط تتقاتل من أجل قضية عظيمة - السيطرة على كومة قمامة. إنها حربٌ حقيقية بدماء وفروٍ متطاير. لكنني لا أهتم بحرب القطط... ولا بحربكم."

- همهمت الساحرة: "هذا ما تظنه، ستجد نفسك قريبًا في قلب العاصفة. لقد تورطت في القدر أكثر مما تخيلت، ظننتَ أنك تأوي طفلةً صغيرة، لكنك احتضنتَ شعلةً قادرة على إحراق العالم، عالمنا، عالمك، عالمي، عالم الجميع. سيكون عليك الاختيار، كما اخترت أنا، كما اضطرت ينيفير للاختيار، فقد اختارت بالفعل، قدّرك في يديها أيها الويتشر. أنت من وضعَه هناك."

ترنح الويتشر. صرخت شاني محاولة الاقتراب، لكنه أوقفها بإشارة. نظر مباشرةً في عيني فيليبا السوداوين:

- قال بجهد: "اختياري... سأخبرك يا فيليبا: لن أسمح بتوريط سيري في مؤامراتكم القذرة. إني أنذرُكِ: من يجرؤ على إيذائها سينتهي كأولئك الأربعة، لن أقسم، لكنني أنذر، إتهمتِني بإهمال حمايتها، لكنني سأفعل ذلك بأفضل ما أستطيع. سأقتل... بلا رحمة."

- ابتسمت الساحرة: "أصدقك، لكن ليس اليوم. فخلال دقائق، ستفقد وعيك من النزيف. شاني، هل أنتِ جاهزة؟"

لا يُولد أحد ساحرًا. ما زلنا نجهل الكثير عن علم الوراثة وآليات التوريث، إننا نخصص وقتًا وموارد ضئيلة جدًا للبحث - لسوء الحظ - ونواصل محاولة نقل القدرات السحرية المُورثة بطرق تُعتبر "طبيعية". ويمكن رؤية نتائج هذه التجارب الزائفة بوضوح في أقنية المدن وخلف جدران المعابد. إننا نواجه الكثير من البلهاء والنساء في حالات كتاتونية، وعُرَّافين يتبوَّلون على أنفسهم، وكهنة قرى يدَّعون صنع المعجزات، وُضعاءَ أفسدت عقولهم القوة السحرية المُوروثة غير المنضبطة.

هؤلاء البلهاء والوُضعاء قادرون على الإنجاب، ونقل قدراتهم المتدهورة للأجيال، هل يستطيع أحدٌ توقُّع شكل الحلقة الأخيرة في هذه السلسلة المشوّهة؟

معظمنا كسحرة يفقد القدرة على الإنجاب بسبب تغيرات جسدية وخلل في وظائف الغدة النخامية، بينما بعض السحرة - عادةً من النساء - يحتفظنَ بخصوبتهنَّ رغم اندماجهنَّ بالسحر، ويُقدْمنَ على الحمل والولادة بغباء مُعتقدات أن هذه نعمة. لكنني أكرر: لا يُولد أحد ساحرًا، ولا ينبغي لأحد أن يُولد كذلك! بإدراكي لخطورة ما أكتبه، أجيب على السؤال المطروح في مؤتمر سيداريس: على كل منا أن تختار - إمّا أن تكون ساحرةً أو أُمًّا.

أطالب بتعقيم جميع المتدربين السحرة دون استثناء.

- من كتاب "المنبع المسموم" لـ تيسايا دي فريس

الفصل السابع

- قالت آيولا الثانية فجأةً: "سأخبركم بشيءٍ ما"، وضعت سلة الحبوب على خصرها وأكملت "ستكون هناك حرب. هذا ما قاله وكيل الدوق الذي جاء لجلب الأجبان."

- دفعت سيري شعرها عن جبهتها: "حرب؟ مع من؟ نيلفغارد؟"

- اعترفت المُبتدئة:" لم أسمع جيداً، لكن الوكيل قال إن دوقنا قد تلقى أوامراً من الملك فولتست نفسه يُعلن التعبئة العامة، وها هي الطرق تعج بالجنود. يا إلهي! ماذا سيحدث؟"

- قالت يورنيد: "إذا كانت الحرب قادمة فحتماً ستكون مع نيلفغارد، من غيرهم؟ مجددًا! يا للآلهة .. هذا فظيع!"

- نثرت سيري حبوبًا للدجاج والديوك الرومية التي تحوم حولهن في ضجيج: "ألا تُبالغين في أمر الحرب يا آيولا؟" "ربما هي مجرد حملة أخرى ضد السكوايتيل؟"

- أعلنت آيولا الثانية: "الأم نينيكي سألت الوكيل نفس السؤال، وأجاب أنها ليست عن السكوايتيل هذه المرة، فالقلاع تُخزن المؤن تحسبًا لحصار، لكن الإلف يهاجمون الغابات ولا يحاصرون القلاع! لقد طلب الوكيل المزيد من الأجبان والريش للإمدادات، ريش الإوز للسهام! أفهمتِ؟ سنُغمر بالعمل حتى آذاننا!"

- قالت يورنيد بغمزة: "ليس جميعنا، البعض لن تتسخ أيديه الناعمة، تعمل يومين فقط بالأسبوع، وتدعي الانشغال بالسحر بينما تقضي الوقت في التمشية بحديقة المعبد!"

- ضحكت آيولا: "حتماً سترحل سيري للحرب، فهي ابنة فارس، ومحاربة عظيمة بسيفها المرعب! ستقطع رؤوسًا حقيقية بدلًا من الحشائش!"

- عبست يورنيد: "بل ساحرة جبارة! ستحول الأعداء إلى فئران حقول! هيا سيري، أريينا سحرًا! اجعلي الجزر ينضج بسرعة، أو الدجاج يطعم نفسه!"

- غضبت سيري: "السحر ليس للاستعراض، إنه ليس خدعاً في السوق!"

- ضحكت المُبتدئة: "بالطبع، كأننا نسمع ينيفير العجوز تتحدث! حتى رائحتها تشبهها!"

- "أبدًا! أنا أستخدم الصابون، عكسكن!"

- لوت يورنيد شفتيها: "آه، كم هي وقحة! تتصرف كالأميرات بينما نحن نعمل نيابة عنها!"

- صرخت سيري: "بعضنا يملك عقلًا فيقرأ، والبعض كالريشة فيمسك المكنسة!".

- "أو أنتِ تستخدمين المكنسة للطيران؟ أنت ساحرة تافهة!"

- "يا لكن من حمقاوات!"

- "بل أنتِ الغبية!"

- "لا، أنا لستُ كذلك!"

- "بلى! تعالي يا آيولا، لا تهتمي بها. الساحرات لسن من مستوانا!"

صرخت سيري وألقت سلة الحبوب أرضًا: "بالفعل! فمصاحبة الدجاج أرفع من صحبتكن!"

أدارت الفتيات ظهورهنّ وسط زقزقة الطيور الهاربة، وانفجرت سيري بلعناتٍ سمعتها من مُعلمها القديم، ثم أضافت ألفاظًا غريبةً التقطتها من رحلاتها، بركلةٍ شتتت سرب الدجاج، التقطت السلة المقلوبة وقذفتها كالصحن فوق سقف الحظيرة. ثم انطلقت تركض عبر بستان المعبد كالعاصفة.

تنقلت بين الأشجار بخفة، تُمارس حركات القتال التي تعلمتها: انعطافات حادة، ضربات سيف وهمية، تفادي خيالي. قفزت ببراعة فوق السياج، تهبط على ركبتيها المثنيتين بثبات.

- نادت نحو نافذة البرج الحجري: "يا جار!" "هل أنت هناك؟ إنها أنا!"

- مال الفتى للخارج: "سيري؟ ماذا تفعلين هنا؟"

- "هل يُسمح لي بالصعود؟"

- "الآن؟ حسنًا... تفضلي."

صعدت الدرج كالبرق، فاجأته وهو يُخفي أوراقًا تحت كومة مخطوطات. حاول ترتيب شعره المُتناثر، ثم انحنى بانزعاج.

"ماذا عن أخبار الحرب؟ أريد معرفة الحقيقة!"

- "ربما تجلسين أولاً..."

نظرت حول الغرفة: مناضد مكدسة بالكتب، كرسي وحيد مغطى باللفائف.

- همس جار: "حرب؟ مجرد إشاعات... أتهتمين بالموضوع؟ أنتِ، كفتاة .."

- "لا تستخفّ بي! أخبرني ما تعرفه!"

- "هل تعلم السيدة ينيفير بوجودك هنا؟"

- "لا."

- "أو الأم نينيكي؟"

تقبضت شفتاها. كانت تعرف القصد، جار، تلميذ الأم البالغ ستة عشر عامًا، المُعد ليصبح كاتب سجلات المعبد، ممنوع من الاختلاط بالفتيات، لكن الفتيات كن يتطلعنَ خلسةً إلى هذا الكائن الغريب ذي السروال.

المفارقة أن سيري لم تجد فيه ما يثير الإعجاب، في ذاكرتها عن سينترا، الرجل الجذاب هو العملاق ذو الأكتاف العريضة الذي تفوح منه رائحة الخيل والعرق، أما جار فكان نحيلًا، أنيقًا، تفوح منه رائحة الأوراق القديمة.

كان نحيفًا كحشرة العصا، غير متناسق، يرتدي ملابس واسعة جدًا تفوح منها رائحة الحبر والغبار، وشعره دائمًا دهني. أما ذقنه، فبدلًا من أن يغطيها زغب خفيف، نبتت عليها سبع أو ثماني شعيرات طويلة، نصفها تقريبًا ينبت من ثؤلول كبير. لم تفهم سيري تمامًا سبب انجذابها إلى برج يار. كانت تحب التحدث معه، فهو فتى يعرف الكثير،

ويمكنها أن تتعلم منه الشيء الكثير. ولكن في الآونة الأخيرة، عندما كان ينظر إليها، كانت عيناه تتخذان تعبيرًا غريبًا، شاردًا ولزجًا.

- بدأت تفقد صبرها: "حسنًا .. أستخبرني أم لا؟"

- "لا يوجد شيء لأقوله، لن تكون هناك حرب، مجرد شائعات."

زمجرت بسخرية: "آها.. إذن فالدوق يطلق نداءً للتعبئة لمجرد التسلية؟ والجيش يسير في الطرقات من فرط الملل؟ لا تحاول الالتفاف على الأمر، يار. أنت تزور المدينة والقصر، فلا بد أنك تعرف شيئًا!"

- "لماذا لا تسألين السيدة ينيفر عن ذلك؟"

- قالت سيري بحدة: "السيدة ينيفر لديها ما هو أهم لتقلق بشأنه!" ، لكنها سرعان ما راجعت نفسها، وابتسمت بلطف ورفّت برموشها. "أوه، يار، أرجوك أخبرني! أنت ذكي جدًا! تتحدث بأسلوب رائع ومتعلم، يمكنني الاستماع إليك لساعات! أرجوك، يار!"

احمر وجه الفتى، وبدت عيناه شاردتين مغيمتين. تنهدت سيري بخفة.

"هممم..." انتقل يار من قدم إلى أخرى، محركًا ذراعيه بعدم يقين، وكأنه لا يعرف أين يضعهما. "ماذا يمكنني أن أخبرك؟ صحيح أن الناس في المدينة يتحدثون كثيرًا، متحمسين لما يجري في دول أنغرا... لكن لن تكون هناك حرب. هذا مؤكد. يمكنك تصديقي."

- سخرت: "بالطبع يمكنني." "لكنني أفضل أن أعرف على أي أساس تبني هذه القناعة. فأنت لست عضوًا في مجلس الدوق، على حد علمي. وإذا كنت قد نُصِّبتَ قائدًا عسكريًا بالأمس، فأخبرني بذلك، سأهنئك."

- ازداد احمرار وجهه: "أنا أدرس المعاهدات التاريخية ومن خلالها يمكن تعلم أكثر مما يُقال في المجالس. لقد قرأتُ تاريخ الحروب للمارشال بيليغرام، واستراتيجيات الدوق دي روتر، والمآثر الظافرة لسلاح فرسان ريدانيا البواسل لبرونيبور... وأعرف ما يكفي عن الوضع السياسي الراهن لأتمكن من استخلاص الاستنتاجات من خلال القياس. هل تعرفين ما هو القياس؟"

- "بالطبع." كذبت سيري وهي تلتقط نصل عشب من إبزيم حذائها.

"إذا قمنا بإسقاط تاريخ الحروب الماضية"—حدق الفتى في السقف—"على الجغرافيا السياسية الحالية، فسيكون من السهل استنتاج أن الحوادث الحدودية الصغيرة، مثل ما جرى في دول أنغرا، هي أحداث عارضة وغير ذات أهمية. وأنت، بصفتك طالبة في السحر، لا شك أنك مطلعة على الجغرافيا السياسية الحالية؟"

لم تجبه سيري. شاردة الذهن، قلبت بعض الرقوق الملقاة على الطاولة، ثم فتحت عدة صفحات من مجلد جلدي ضخم.

- بدا القلق في صوته: "اتركيه. لا تلمسيه، إنه عمل نادر وقيم للغاية."

- "لن آكله."

- "يداك متسختان."

- "إنهما أنظف من يديك. اسمع، هل لديك أي خرائط هنا؟"

- أجاب سريعًا: "نعم، لكنها مخبأة في الصندوق، لكنه، عندما رأى عبوس سيري، تنهد، ودفع الرقوق المتراكمة فوق الصندوق، ورفع الغطاء، وبدأ يبحث بين محتوياته.

أما سيري، فظلت تتمايل على الكرسي، متأرجحة بساقيها، تقلب صفحات الكتاب. وفجأة، انزلقت منه ورقة فضفاضة تحمل صورة لامرأة عارية تمامًا، شعرها مموج في خصلات، متشابكة في عناق مع رجل ملتحٍ عارٍ تمامًا أيضًا. مدت لسانها بتركيز، وظلت تقلب النقش، غير قادرة على تحديد الاتجاه الصحيح له. وأخيرًا، عندما اكتشفت التفاصيل الأكثر أهمية في الصورة، ضحكت بخبث.

كان يار قد عاد وهو يحمل لفافة ضخمة تحت ذراعه، وبمجرد أن رأى الورقة في يدها، احمر وجهه بشدة، وأخذها منها بصمت، وأخفاها تحت الأوراق المبعثرة على الطاولة.

- سخرت منه: "عمل نادر وقيم للغاية، هل هذه هي القياسات التي تدرسها؟ هل هناك المزيد من الصور كهذه في الكتاب؟ مثير للاهتمام، عنوانه الشفاء والعلاج. أود أن أعرف أي الأمراض تُشفى بهذه الطريقة."

- بدت عليه الدهشة: "أنتِ تستطيعين قراءة الحروف الأولى؟ ثم بلع ريقه بارتباك. "لم أكن أعلم..."

- رفعت أنفها بتعالٍ: "هناك أشياء كثيرة لا تعرفها، وماذا تظن؟ لست مجرد متدربة تطعم الدجاج لتحصل على البيض. أنا... ساحرة. حسنًا، هيا، أرني تلك الخريطة!"

ركعا معًا على الأرض، وضغطا على أطراف الورقة القاسية، التي كانت تحاول أن تلتف على نفسها مجددًا، مستخدمين أيديهما وركبتيهما. أخيرًا، وضعت سيري قدم الكرسي

على أحد الزوايا، بينما ثبت يار الزاوية الأخرى بكتاب ضخم بعنوان حياة وأعمال الملك العظيم رادوفيد.

"هممم... هذه الخريطة غير واضحة أبدًا! لا أستطيع تمييز أي شيء... أين نحن؟ أين تقع إيلاندر؟"

"هنا." أشار بإصبعه. "هنا تميريا، هذا الحيز. هنا فيزيما، عاصمة ملكنا فولتيست. وهنا، في وادي بونتار، يقع دوقية إيلاندر. وهنا... نعم، هنا معبدنا."

"وهذا البحيرة؟ لا توجد بحيرات هنا."

"هذه ليست بحيرة. إنها بقعة حبر..."

"آه. وهنا... هذه سينترا، صحيح؟"

"نعم. جنوب ترانزريفر وسودين. وهنا، يتدفق نهر ياروغا، ليصب في البحر عند سينترا مباشرة. هذه المملكة، لا أدري إن كنتِ تعرفين، أصبحت الآن تحت سيطرة النيلفجارديين.."

- قاطعته بحدة: "أنا أعرف." ، وقبضت يدها. "أعرف جيدًا. وأين تقع نيلفجارد؟ لا أرى دولة بهذا الاسم هنا. هل لا تتسع لها خريطتك، أم ماذا؟ أحضر لي واحدة أكبر!"

- حكَّ ياري الثؤلول على ذقنه: "هممم... ليس لدي أي خرائط مثل هذه... لكنني أعلم أن نيلفجارد تقع في مكان ما بعيدًا نحو الجنوب... هناك، تقريبًا في هذا الاتجاه. أعتقد ذلك."

- تساءلت سيري، وعيناها مثبتتان على البقعة التي أشار إليها على الأرض: "كل هذا البُعد؟ أجاؤوا من هناك؟ وعلى طول الطريق احتلوا كل هذه الممالك؟"

- "نعم، هذا صحيح. لقد غزوا ميتينا، ومايخت، ونازاير، وإيبينغ، وكل الممالك جنوب جبال أمال. هذه الممالك، مثل سينترا وسودين العليا، يسميها النيلفجارديون الآن 'المقاطعات'. لكنهم لم يتمكنوا من السيطرة على سودين السفلى، وفيردن، وبروج. هنا، على نهر ياروغا، تصدت لهم جيوش الممالك الأربع، وهزمتهم في المعركة.."

- صفعت سيري الخريطة براحة يدها: "أعلم ذلك، لقد درست التاريخ، حسنًا، ياري، أخبرني عن الحرب. نحن نرتكز على الجغرافيا السياسية. استخلص استنتاجات من خلال القياس أو أي شيء آخر. أنا أصغي."

احمرَّ وجه الصبي، ثم بدأ يشرح، مشيرًا إلى المناطق المناسبة على الخريطة برأس ريشة:

- "حاليًا، الحدود بيننا وبين الجنوب—الذي تهيمن عليه نيلفجارد—يحدها نهر ياروغا، كما ترين. إنه يشكّل عائقًا يكاد يكون منيعًا. فهو نادرًا ما يتجمد، وخلال موسم الأمطار يمكن أن يحمل كمية من المياه تجعل عرضه يقارب الميل. ولمسافة طويلة، هنا، يتدفق بين ضفاف شديدة الانحدار لا يمكن الوصول إليها، بين صخور ماهكام..."

- "أرض الأقزام والإلف؟"

- "نعم. لذا، لا يمكن عبور نهر ياروغا إلا هنا، في مجراه السفلي في سودين، وهنا، في مجراه الأوسط، في وادي دول أنغرا..."

- "وكانت هناك الحادثة، في دول أنغرا، أليس كذلك؟"

"انتظري. أنا أشرح لك أن أي جيش الآن لا يمكنه عبور ياروغا. كلا الواديين اللذين استخدمتهما الجيوش لقرون، محصنان بقوة، من قبلنا ومن قبل نيلفجارد. انظري إلى الخريطة، انظري إلى عدد القلاع والحصون هنا. انظري، هذه فيردن، وهذه بروج، وهنا جزر سكيلجا..."

- "وهذا؟ ما هذه البقعة البيضاء الضخمة؟"

اقترب ياري؛ شعرت سيري بدفء ركبته.

- "غابة بروكيلون، إنها أرض محظورة. مملكة الإلفيين في الغابات بروكيلون أيضًا تحمي جناحنا. الجنيات لن تسمح لأحد بالمرور، ولا حتى النيلفجارديين..."

- إنحنت سيري فوق الخريطة: "هممم... هنا يوجد إيديرن... ومدينة فينجر بيرج... ياري! توقف عن ذلك فورًا!"

أبعد الصبي شفتيه عن شعرها بسرعة، واحمرَّ وجهه كالبنجر.

- "لا أريدك أن تفعل ذلك بي!"

- "سيري، أنا .."

- كساحرة إلى عالم: "جئت إليك في أمر جاد" قالت ببرود وبوقار، بنبرة طابقت تمامًا أسلوب ينيفر. "فكن على قدر الموقف!"

ازداد احمرار وجه "العالم"، وأخذ ملامح غبية لدرجة أن "الساحرة" بالكاد كتمت ضحكتها. انحنى مجددًا فوق الخريطة.

- تابعت: "كل هذه الجغرافيا التي تحدثت عنها لم توصلنا إلى شيء حتى الآن. أنت تتحدث عن نهر ياروغا، لكن النيلفجارديين تمكنوا من عبوره مرة من قبل. فما الذي يمنعهم الآن؟"

- بلع ياري ريقه: "في ذلك الوقت، ومسح العرق الذي بدأ يتصبب فجأة من جبينه، "كان عليهم مواجهة بروج وسودين وتيميريا فقط. الآن، نحن متحدون في تحالف. مثلما حدث في معركة سودين. الممالك الأربع: تيميريا، ريدانيا، إيديرن، وكايدوين..."

- قالت سيري بفخر: "كايدوين، نعم، أعلم على ماذا يقوم هذا التحالف. الملك هنسلت من كايدوين يقدم مساعدة خاصة وسرية للملك ديمويند من إيديرن. تلك المساعدة تُنقل في براميل. وعندما يشتبه الملك ديمويند في شخص ما بالخيانة، يضع أحجارًا في البراميل. ينصب فخًا ..."

توقفت فجأة، متذكرة أن غيرالت قد منعها من ذكر أحداث كايدوين. نظر إليها ياري بشك.

- "حقًا؟ وكيف عرفتِ كل ذلك؟"

- قالت بسخرية: "قرأت عنه في كتاب كتبه المارشال بيليكرام، وفي كتب أخرى عن القياس والاستنتاج. الآن، أخبرني ما الذي حدث في دول أنغرا أو أيًا كان اسمه. لكن أولًا، أرني مكانه."

- "هنا. دول أنغرا وادٍ واسع، ممر يقود من الجنوب إلى مملكتي ليريا وريفيا، إلى إيدين، ومن ثم إلى دول بلاثانا وكايدوين... ومن خلال وادي بونتار إلى هنا، إلى تيميريا."

- "وماذا حدث هناك؟"

"كان هناك قتال. على ما يبدو. لا أعرف الكثير، لكن هذا ما يتردد في القلعة."

- قطّبت سيري جبينها: "إذا كان هناك قتال فهذا يعني أن الحرب قد بدأت بالفعل! إذن، عن ماذا تتحدث؟"

- أوضح ياري: "هذه ليست المرة الأولى التي يحدث فيها قتال" لكنه بدا أقل ثقة بنفسه مع مرور الوقت. "الاشتباكات الحدودية شائعة جدًا. لكنها تظل غير ذات أهمية."

- "وكيف ذلك؟"

- "القوى متوازنة. لا نحن ولا النيلفجارديون قادرون على اتخاذ خطوة حاسمة. ولا أحد منا يستطيع أن يمنح خصمه 'ذريعة لبدء لحرب' ..."

- "يمنحه ماذا؟"

- "سببًا للحرب. هل تفهمين؟ لهذا السبب فإن الاشتباكات المسلحة في دول أنغرا، بلا شك، مجرد حوادث عشوائية، ربما هجمات من قِبل لصوص أو معارك بين المهربين... ولا يمكن بأي حال أن تكون من عمل جيوش نظامية، لا جيشنا ولا جيش نيلفجارد... لأن ذلك سيكون بالفعل ذريعة للحرب..."

- "آه... جار، أخبرني .."

توقفت فجأة. رفعت رأسها بسرعة، لمست صدغيها بأصابعها وعَصَبت جبينها.

- "يجب أن أذهب فالسيدة ينيفير تناديني."

- قال الفتى بانبهار: "أتستطيعين سماعها؟ عن بُعد؟ كيف...؟"

- كررت الجملة وهي تُنفض الغبار عن ركبتيها: "يجب أن أذهب. . اسمع يا جار .. سأغادر مع السيدة ينيفير لأمور بالغة الأهمية ولا أعرف متى سنعود أنا أنذرك بأن هذه أمور سرية تخص السحرة فقط، فلا تسأل."

وقف جار بدوره، ضبط ملابسه لكنه لم يعرف ماذا يفعل بيديه. عيناه زاغتا بشكل محزن.

- "سيري..."

- "ماذا؟"

- "أنا... أنا..."

- قالت بضجر، تحدق فيه بعينيها الزمرديتين الواسعتين: "لا أفهم ما تقصده وأنت لا تفهمه أيضاً بوضوح. أنا ذاهبة. اعتني بنفسك يا جار."

- "وداعاً... سيري. رحلةً آمنة. سأ... سأفكر فيك..."

تنهدت سيري.

- "أنا قادمة، سيدة ينيفير!"

انطلقت إلى الغرفة كقذيفة من المنجنيق، فانفتح الباب بعنف محدثاً دويّاً. كانت قد كادت تُكسر ساقيها على الكرسي العائق، لكنها قفزت فوقه بخفة، أدت دوراناً نصفياً محاكيةً ضربة سيف، وضحكت فرحةً بنجاح خدعتها. رغم عدوها السريع، لم تلهث؛ تنفسها كان منتظماً وهادئاً لقد أتقنت التحكم في أنفاسها بإجادة.

- "وصلت!"

- "أخيراً. إخلعي ملابسك وادخلي الحوض. بسرعة."

لم تلتفت الساحرة أو تبتعد عن الطاولة، بل رصدت سيري عبر المرآة ببطء. مشطت تجعيداتها السوداء الرطبة التي تمددت تحت ضغط المشط ثم عادت لتتموج كالمعتاد.

خلعت الفتاة حذاءها بلمحة، نزعت ملابسها، وغاصت في الحوض مع رشاش الماء. أمسكت الصابون وبدأت تفرك ذراعيها باندفا ع.

جلست ينيفير بلا حراك، تحدق عبر النافذة وتلعب بمشطها. سعلت سيري وبصقت لأن الصابون دخل فمها، ثم أدارت رأسها متسائلةً إن كان هناك تعويذة تجعل الاستحمام ممكناً دون ماء أو صابون أو إضاعة وقت.

وضعت الساحرة المشط جانباً لكنها ظلت تحدق في غربانٍ وعقبان تُغرّد بفظاعة وهي تحلق شرقاً. على الطاولة، بجانب المرآة ومجموعة من قوارير التجميل، وُضعت عدة رسائل. عرفت سيري أن ينيفير انتظرتها طويلاً، وأن يوم مغادرتهما المعبد يعتمد على

وصولها. رغم ما أخبرت جار، لم تكن الفتاة تعرف إلى أين أو لماذا ستغادران. لكن في تلك الرسائل...

بحركة خادعة بيدها اليسرى، شكلت أصابع يمينها إشارة سحرية، ركزت على تعويذة، وحاولت إرسال نبضة لقراءة الرسائل.

- قالت ينيفير دون أن تلتفت: "لا تجرئي على فعل ذلك".

- تنحنحت سيري في حرج قائلة: "ظننت... ظننت إن إحداها قد تكون من جيرالت..."

- التفتت الساحرة بكرسيها لمواجهتها: "لو كانت منه لكنت أعطيتك إياها. هل ستنتهين من حمامك قريباً؟"

- " لقد انتهيت"

- "انهضي، من فضلك."

أطاعت سيري. ابتسمت ينيفير بخفة.

- "أجل .. لقد تخطيت مرحلة الطفولة، لقد نمت أنوثتكِ كما يجب، اخفضي يديكِ. أنا لا أهتم بمرفقيكِ. حسنًا، لا تخجلي، لا داعي للتظاهر بالحياء. هذا جسدك، الشيء الأكثر طبيعية. ونضجكِ أمرٌ طبيعي أيضاً، ولو لم يغيّر القدر مساره... لولا الحرب، لكنتِ زوجة أمير أو دوق منذ زمن. تعلمين ذلك، أليس كذلك؟ ناقشنا أمور أنوثتكِ بتفصيل كافٍ لتعرفي أنكِ امرأة الآن، جسدياً، أعني. ألم تنسي ما تحدثنا عنه؟"

- "لا. لم أنسَ"

- "عندما تزورين جار أتمنى ألا تكون ذاكرتكِ مختلة أيضاً؟"

خفضت سيري عينيها للحظة. لم تبتسم ينيفير.

- قالت ببرود: "جففي نفسكِ وتعالي هنا، بدون رش الماء."

جلست سيري ملفوفة بمنشفة على كرسي صغير عند قدمي الساحرة. بدأت ينيفير تمشط شعرها، تقص خصلةً عاصية بين الحين والآخر.

- سألت الفتاة بتردد: "هل أنتِ غاضبةٌ مني؟ لأني... ذهبتُ إلى البرجِ؟"

- "لا. لكن نينيكا لا تحب ذلك. أنتِ تعرفين ذلك"

- احمرت وجنتا سيري قليلاً: "لكنني لا... جار لا يعنيني إطلاقاً ..أنا فقط..."

- همست الساحرة: "بالضبط .. أنتِ فقط .. لا تتظاهري بالطفولة لأنكِ لستِ طفلة، دعيني أذكركِ، ذلك الفتى يلهث ويتمتم بمجرد رؤيتكِ .. ألا ترين ذلك؟"

- "إنه ليس خطئي! ماذا أفعل؟"

توقفت ينيفير عن تمشيط شعر سيري وحدقت بها بنظرة بنفسجية عميقة.

- "لا تلعبي بمشاعره ياسيري إنه أمرٌ وضيع."

- "لكني لا ألعب به! أنا فقط أتحدث إليه!"

"أود أن أصدق"، قالت الساحرة بينما تقص خصلة شعر أخرى ترفض الانصياع لأي تسريحة، "أنكِ تتذكرين خلال هذه الأحاديث ما طلبته منك."

- "أتذكر، أتذكر!"

- "إنه فتى ذكي ومُشرق. كلمة أو اثنتان عفوية قد تقوده إلى المسار الصحيح... إلى أمور لا يجب أن يعرفها، لا أحد على الإطلاق ينبغي له أن يكتشف من أنتِ."

- كررت سيري: "أتذكر .. لم أنبس بكلمة لأحد، يمكنكِ التأكد من ذلك. أخبريني، ألهذا نغادر فجأة؟ هل تخشين أن يكتشف أحد وجودي هنا؟ لهذا السبب؟"

- "لا. هناك أسباب أخرى."

- "هل لأن... الحرب قد تندلع؟ الجميع يتحدث عن حرب جديدة! الجميع يتحدثون عنها، سيدة ينيفير."

- أكدت الساحرة ببرود وهي تقص خصلة فوق أذن سيري: "بالفعل .. إنه موضوع ينتمي إلى فئة الأشياء التي لا تنتهي. تحدثوا عن الحروب في الماضي، يتحدثون الآن، وسيستمرون. وليس من دون سبب اندلعت حروب وستندلع. أخفضي رأسك."

"جار قال... أنه لن تكون هناك حرب مع نيلفغارد. تحدث عن شيء اسمه «تشابهات تاريخية»... أراني خريطة، لم أعد أعرف ما أصدق. لا أفهم معنى هذه التشابهات، ربما شيء معقد... جار يقرأ كتباً علمية ويعرف كل شيء، لكنني أعتقد..."

- "ما تعتقدينه يهمني، سيري."

- "في سينترا... في ذلك الوقت... سيدة ينيفير، جدتي كانت أذكى بكثير من جار، الملك إيست أيضاً كان ذكياً. أبحر عبر المحيطات ورأى كل شيء، حتى وحيد القرن

البحري والأفعى البحرية، وأراهن أنه رأى تشابهاتٍ كثيرة. وماذا في النهاية؟ فجأة ظهر النيلفغارديون..."

رفعت سيري رأسها، فتعثر صوتها في حلقها. أحاطت ينيفير ذراعيها بها وعانقتها بقوة.

- همست بهدوء: "للأسف"، "للأسف، أنتِ محقة ياصغيرتي، لو كان الخبرة واستخلاص العبر كافيين، لكنا نسينا الحرب منذ زمن. لكن أولئك الذين يريدون الحرب، لا يوقفهم خبرة ولا تشابهات."

- "إذن... هذا صحيح. الحرب قادمة. لهذا سنغادر؟"

- "لنتجنب الحديث عن هذا. لا داعي للقلق قبل الأوان."

نشجت سيري بالبكاء: "لقد رأيت حرباً من قبل، لا أريد أن أشهد أخرى. أبداً. لا أريد أن أكون وحيدة مرة أخرى. لا أريد أن أشعر بالخوف. لا أريد أن أفقد كل شيء مجدداً، كما حدث حينها. لا أريد أن أفقد جيرالت... أوكِ، سيدة ينيفير. لا أريد أن أفقدكِ. أريد أن أبقى معكِ. ومعه. للأبد."

- إرتعش صوت الساحرة قليلاً:"ستبقين.. وسأكون معكِ ياسيري دائماً .. أعدكِ بذلك."

نشجت سيري مرة أخرى. سعلت ينيفير بهدوء، وضعت المقص والمشط، نهضت وتوجهت نحو النافذة. كانت الغربان لا تزال تصرخ في طيرانها نحو الجبال.

قالت الساحرة فجأة بصوتها العذب والساخر المعتاد:"عندما وصلت إلى هنا عندما التقينا لأول مرة... لم أعجبكِ."

لم تُجب سيري. لكنها تذكرت " لقاؤنا الأول، أتذكر. كنتُ في الكهف مع الفتيات الأخريات. هروسفيثا كانت تعلمنا عن الأعشاب. ثم دخلت آيولا الأولى وهمست في أذنها. قطبَت الكاهنة وجهها بكراهية، ثم جاءت آيولا الأولى إليّ بابتسامة غريبة: «استعدي يا سيري، واذهبي إلى القاعة. الأم نينيكا تستدعيكِ. إن أحدهم قد وصل»

نظرات غامضة، حماسة في العيون، همسات. ينيفير. «الساحرة ينيفير. أسرعي يا سيري، الأم نينيكا تنتظر. وهي تنتظر.»

عرفت فوراً، تذكرت سيري، أنها هي. لأنني رأيتها. رأيتها الليلة السابقة. في حلمي.

هي.

لم أكن أعرف اسمها حينها. لم تتحدث في الحلم. فقط نظرت إليّ، وخلفها، في الظلام، رأيت باباً مغلقاً...

تنهدت سيري. التفتت ينيفير، فتلألأت النجمة السوداء على عنقها بألف انعكاس.

- اعترفت الفتاة بجدية، تحدق في عيني الساحرة البنفسجيتين: "أنتِ محقة .. لم تعجبيني."

- قالت نينيكا: "سيري .. إقتربي .. هذه السيدة ينيفير من فينجربيرغ، سيدة السحر. لا تخافي. السيدة ينيفير تعرف من أنتِ. يمكنكِ الوثوق بها."

انحنت الفتاة، متشابكة راحتيها في إيماءة تدل على الاحترام الكامل. اقتربت الساحرة، تُحدث خشخشة بفستانها الأسود الطويل، وأمسكت بذقن سيري ورفعت رأسها بلا

اكتراث، تديره يمينًا ويسارًا. شعرت الفتاة بالغضب والتمرد يتصاعدان بداخلها إذ لم تعتد أن يُعاملها أحد بهذه الطريقة، وفي الوقت ذاته، شعرت بحسد يحرقها.

كانت ينيفر شديدة الجمال بالمقارنة مع الملامح الرقيقة والشاحبة، والعادية إلى حد ما للكاهنات والمبتدئات اللواتي اعتادت رؤيتهن كل يوم، بدت الساحرة وكأنها تشع بجمال واعٍ، بل استعراضي، مُؤكّد ومُبرَز في كل تفصيلة. خصلاتها السوداء كالغراب، المنسدلة على كتفيها، كانت تتلألأ، تعكس الضوء كما تفعل ريشات الطاووس، ملتفة ومتموجة مع كل حركة.

فجأة، شعرت سيري بالخجل من مرفقيها المخدوشين، ويديها المتشققتين، وأظافرها المكسورة، وشعرها الباهت المتشابك. إجتاحها فجأة رغبة جارفة في امتلاك ما تمتلكه ينيفر من عنق جميل مكشوف يزينه شريط مخملي أسود، وتتلألأ عليه نجمة بديعة. وحاجبان منتظمان مظللان بالفحم، وأهداب طويلة وشفاه معتدة بنفسها. وذلك الانحناء الخفيف لصدرها مع كل نفس، ملفوفًا بالقماش الأسود والدانتيل الأبيض...

زمت الساحرة شفتيها قائلة: "إذن، هذه هي المفاجأة الشهيرة .. انظري في عينيّ، يا فتاة."

ارتعشت سيري وانكمشا كتفيها. لا، لم تحسد ينيفر على ذلك الشيء تحديدًا لم ترغب في امتلاكه، ولا حتى النظر إليه. تلك العينان، بنفسجيتان، عميقتان كبحيرة لا قرار لها، لامعتان على نحو غريب، خاليتان من المشاعر، ومفعمتان بشيء مظلم. مرعبتان.

استدارت الساحرة نحو الكاهنة الممتلئة، بينما تألقت النجمة المعلقة على عنقها بانعكاسات ضوء الشمس المتسلل عبر نافذة قاعة الطعام.

- "نعم، نينيكي .. لا شك في الأمر .. فيكفي النظر إلى هاتين العينين الخضراوين لمعرفة أن بداخلها شيئًا مميزًا، جبهة عالية، تقوس منتظم للحاجبين، عينان متباعدتان بجاذبية. أنف دقيق. أصابع طويلة. تصبغ نادر للشعر .. إن دماءها ألفية واضحة، وإن لم يكن منها الكثير.. لربما جدٌّ أو جدة من العرق الألفي. أتعتقدين أن تخميني صحيحًا؟"

- أجابت الكاهنة الكبرى بهدوء: "لا أعرف شجرة عائلتها .. لم يشغلني ذلك."

- واصلت الساحرة: "إنها طويلة بالنسبة لعمرها" بينما لا تزال عيناها تفحصان سيري. كانت الفتاة تغلي غضبًا وانزعاجًا، تكافح رغبة طاغية في الصراخ بتحدٍّ، الصراخ بأعلى صوتها، ضرب الأرض بقدميها، الركض إلى الخارج نحو الحديقة، وهي في طريقها تُسقط المزهرية على الطاولة، وتغلق الباب خلفها بعنف يكفي ليجعل الجصّ يتساقط من السقف.

- لم ترفع ينيفر نظرها عنها: "ليست سيئة البنية. هل أصيبت بأي أمراض معدية في طفولتها؟ آه، لا شك أنكِ لم تسأليها عن ذلك أيضًا. هل مرضت منذ قدومها إلى هنا؟"

- "لا."

- "أي صداع نصفي؟ إغماءات؟ ميل إلى نزلات البرد؟ آلام شهرية؟"

- "لا. فقط تلك الأحلام."

- رفعت ينيفر خصلة من شعرها عن خدها: "أعرف، لقد كُتب لي عنها، ويبدو من رسالته أنهم في كاير مورهن لم يُجروا عليها أي من تجاربهم... أودّ أن أصدق أن هذا صحيح."

- "ذلك صحيح. لم يعطوها سوى منشطات طبيعية."

- ارتفع صوت الساحرة بغضب: "المنشطات ليست طبيعية أبدًا! أبدًا! المنشطات بالذات قد تكون السبب في تفاقم أعراضها... تبا! لم أكن أظنه بهذه الدرجة من اللامسؤولية!"

- نظرت إليها نينيكي ببرود: "اهدئي." ، وفجأة، بدا أن الكاهنة بدأت تفقد احترامها لها بطريقة غريبة.

"قلت إنها كانت طبيعية وآمنة تمامًا. عذرًا، عزيزتي، لكن في هذا المجال، أنا صاحبة السلطة العليا عليكِ. أعلم أن تقبل سلطة أحد غيركِ أمر صعب عليكِ، لكن في هذه الحالة، أنا مضطرة لفرضها عليكِ. ولن يكون هناك نقاش آخر حول هذا الموضوع."

زمت ينيفر شفتيها: "كما تشائين ..حسنًا، هيا، يا فتاة. ليس لدينا الكثير من الوقت، وسيكون من الخطأ هدره."

كافحت سيري لتمنع يديها من الارتجاف، وابتلعت ريقها بصعوبة، ونظرت إلى نينيكي مستفسرة. كانت الكاهنة الكبرى جادة، بل بدت وكأنها حزينة، والابتسامة التي رسمتها على وجهها، لتجيب على السؤال غير المنطوق، بدت زائفة بشكل مزعج.

- "ستذهبين الآن مع السيدة ينيفر .. السيدة ينيفر ستعتني بكِ لبعض الوقت."

خفضت سيري رأسها، وقبضت أسنانها بقوة.

- واصلت نينيكي: "لا شك أنكِ تشعرين بالحيرة .. أن تتولى ساحرة عظمى رعايتك فجأة، لكنكِ فتاة ذكية ياسيري، يمكنك تخمين السبب. لقد ورثتِ بعض... الصفات

من أسلافكِ. أنت تعلمين عمّا أتحدث. اعتدتِ المجيء إليّ بعد تلك الأحلام، بعد الاضطرابات الليلية في السكن. لم أتمكن من مساعدتكِ. لكن السيدة ينيفر..."

- قاطعتها الساحرة: "السيدة ينيفر ستفعل ما هو ضروري .. هيا بنا يافتاة."

- أومأت نينيكي محاوِلة عبثًا أن تجعل ابتسامتها تبدو طبيعية: "إذهبي .. إذهبي ياصغيرتي وتذكّري أن رعاية شخص مثل السيدة ينيفر لكِ هو شرفٌ عظيم فلا تجلبي العار للمعبد ولنا، نحن مرشدوكِ. لذا كوني مطيعة."

سأهرب الليلة، عزمت سيري في داخلها. سأعود إلى كاير مورهن. سأسرق حصانًا من الإسطبل، ولن يروني مرة أخرى. سأهرب!

- تمتمت الساحرة بصوت منخفض: "بالطبع ستفعلين ذلك"

- رفعت الكاهنة رأسها: "عذرًا؟ ماذا قلتِ؟"

- ابتسمت ينيفر: "لا شيء .. لا شيء .. ظننتِ أنك سمعتِني. أو ربما ظننتُ أنني قلت شيئًا؟ فقط انظري إلى فتاتكِ يانينيكي .. إنها غاضبة كقطة والشرر يتطاير من عينيها؛ انتظري فقط، وستزمجر. ولو استطاعت، لخفضت أذنيها إلى الخلف. فتاة الويتشر! سأضطر إلى أن أروضها جيدًا، وأبري مخالبها."

- تصلبت ملامح الكاهنة الكبرى بوضوح: "كوني أكثر تفهّمًا رجاءً كوني طيبة القلب ومتفهّمة إنها ليست كما تظنين."

- "ماذا تعنين بذلك؟"

- "إنها ليست منافستكِ ياينيفر."

للحظة، تبادلتا النظرات، الساحرة والكاهنة، وشعرت سيري بالهواء يرتجف، بقوة غريبة مريعة تتعاظم بينهما. لم يدم الأمر أكثر من جزءٍ من الثانية، ثم اختفت القوة، وانفجرت ينيفر ضاحكة، ضحكة خفيفة، ناعمة، وحلوة.

- قالت "لقد نسيت أنك دائمًا في صفه .. أليس كذلك، نينيكي؟ تقلقين عليه دائمًا، كما لو كنتِ الأم التي لم يمتلكها أبدًا."

- إبتسمت الكاهنة: "وأنتِ دائمًا ضده .. تغدقينه بمشاعر قوية، كما تفعلين دائمًا. وتحاربين بكل ما أوتيتِ من قوة كي لا تسمي تلك المشاعر باسمها الحقيقي."

مرة أخرى، شعرت سيري بالغضب يتصاعد من أعماق معدتها، وصدغها ينبضان بالغيظ والتمرد. تذكرت كم مرة، وفي أي ظروف، سمعت ذلك الاسم. ينيفر. اسمٌ يثير القلق، اسمٌ كان رمزًا لسرٍّ غامضٍ قاتم. كانت تخمّن ماهية ذلك السرّ.

إنهما تتحدثان أمامي بصراحة تامة، بلا أي حرج، فكرت، وهي تشعر بيديها ترتجفان من جديد. لا يهتمان بي إطلاقًا. يتجاهلانني تمامًا. كما لو كنتُ طفلة. يتحدثان عن جيرالت أمامي، في وجودي، لكن لا يمكنهما ذلك، لأنني... لأنني... من أنا؟

- ردّت الساحرة: "أما أنتِ، نينيكي فأنتِ، كما تفعلين دائمًا، تستمتعين بتحليل مشاعر الآخرين، بل وتأولينها وفقًا لما يناسبكِ!"

- "وأدخل أنفي في شؤون الآخرين؟"

- قذفت ينيفر بشعرها الأسود الذي لمع والتوى كالأفاعي: "لم أقصد قول ذلك لكن شكرًا لأنكِ قلتيه نيابةً عني. والآن، دعينا نغيّر الموضوع، رجاءً، لأن الذي كنا نناقشه تافهٌ للغاية بل مخزٍ أمام تلميذتنا الصغيرة. أما عن التفهّم، كما طلبتِ... سأكون كذلك.

لكن طيبة القلب؟ قد تكون هناك مشكلة، لأن الجميع يعتقد أنني لا أملك مثل هذا العضو أصلًا. لكننا سنتدبّر الأمر بطريقة ما. أليس كذلك، أيتها المفاجأة؟"

ابتسمت لسيري، ورغم نفسها، رغم غضبها واستيائها، وجدت سيري نفسها تردّ الابتسامة، لأن ابتسامة الساحرة كانت غير متوقعة، ودودة، وصادقة. وجميلة جدًا، جدًا.

كانت تستمع لكلمات ينيفر وهي تدير ظهرها بشكل متعمّد، متظاهرة بأنها تكرّس كامل انتباهها للنحلة الطنانة التي كانت تحوم حول زهرة من زهور الخطمية المزروعة بجوار جدار المعبد.

و تمتمت: "لم يسألني أحد عن رأيي في ذلك"

- "عن ماذا لم يسألكِ أحد؟"

استدارت سيري نصف استدارة، وضربت زهرة الخطمية بغضب بقبضتها. طارت النحلة بعيدًا، وهي تطنّ بغضب وتهديد.

- "لم يسألني أحد إن كنتُ أريدكِ أن تعلّمني!"

وضعت ينيفر قبضتيها على خاصرتيها، ولمعت عيناها.

- همست: "يا لها من مصادفة .. تخيّلي ذلك.. أنا لم يسألني أحد أيضًا إن كنتُ أريد أن أعلّمكِ علاوةً على ذلك فالإرادة لا علاقة لها بالأمر. أنا لا أدرّب أي شخص عشوائي، وأنتِ رغم المظاهر قد تظلين مجرد لا شيء .. لقد طُلب مني معرفة ما

بداخلكِ، وما قد يشكّله ذلك من خطر عليكِ. وأنا، وإن كان ذلك دون حماس، وافقت."

- "لكنني لم أوافق بعد!"

رفعت الساحرة يدها، وحركت أصابعها. شعرت سيري بوجع ينبض في صدغها، وضجيجٍ في أذنيها، كما لو كانت تبتلع شيئًا لكنه كان أعلى بكثير. اجتاحها شعور بالنعاس، وضعفٌ ساحق، وتيبس عنقها، واسترخت ركبتيها.

خفضت ينيفر يدها، وزال الإحساس فورًا.

- "اسمعيني جيدًا، أيتها المفاجأة بوسعي أن ألقي عليكِ تعويذة بسهولة، أن أُنوّميكِ مغناطيسيًا، أو أن أضعكِ في غيبوبة. يمكنني شلّكِ، إجباركِ على شرب إكسير، تجريدكِ من ملابسكِ، تمديدكِ على الطاولة وفحصكِ لساعات، مع التوقف فقط لتناول وجبات الطعام، بينما أنتِ مستلقية هناك، تحدقين في السقف، غير قادرة حتى على تحريك مقلتيكِ. هذا ما كنتُ سأفعله مع أي طفلة وقحة عادية. لكنني لا أريد فعل ذلك معكِ، لأنكِ، كما يبدو من النظرة الأولى، فتاة ذكية ومعتدة بنفسها، ولديكِ شخصية. لا أريد أن أهينكِ أو أن أهين نفسي. ليس أمام جيرالت. لأنه هو من طلب مني أن أعتني بقدراتكِ. أن أساعدكِ على التعامل معها."

- "هو من طلب منكِ؟ لماذا؟ لم يقل لي شيئًا! لم يسألني أبداً .."

- قاطعتها الساحرة: "أنتِ تعودين إلى ذلك الأمر مرارًا وتكرارًا لم يطلب أحد رأيكِ، ولم يكلف أحد نفسه عناء معرفة ما تريدينه أو لا تريدينه. هل سبق وأن قدمتِ سببًا يجعل أحدهم يراكِ فتاة عنيدة ومتصلبة ومتعجرفة لا يستحق الأمر عناء سؤالها عن رأيها؟

لكنني سأجازف وسأطرح عليكِ سؤالًا لم يسألكِ أحد من قبل، هل ستسمحين لي بفحصكِ؟"

- "وماذا سيشمل هذا الفحص؟ ما هذه الاختبارات؟ ولماذا...؟"

"لقد شرحتُ ذلك بالفعل إن لم تفهمي فهذا شأنك، فأنا لا أنوي صقل إدراككِ أو العمل على تنمية ذكائكِ ولكن يمكنني فحص فتاة عاقلة تمامًا كما أفحص فتاة حمقاء."

- "لستُ حمقاء! وقد فهمتُ كل شيء!"

-"حسناً إذًا."

- "لكنني لستُ مهيأة لأكون ساحرة! ليس لدي أي قدرات! لن أصبح ساحرة أبدًا، ولا أريد أن أكون واحدة! قدري مرتبط بجيرالت... قدري أن أكون ويتشر! جئتُ إلى هنا لفترة قصيرة فحسب! سأعود قريبًا إلى كير مورهن..."

- قالت ينيفر ببرود، وعيناها البنفسجيتان تضيقان قليلًا: "أنتِ تحدقين في عنقي بإصرار، هل ترين شيئًا غير مألوف هناك؟ أم أنه مجرد شعور بالغيرة؟"

- تمتمت سيري: "ذلك النجم... ممَّ هو مصنوع؟ تلك الأحجار تتحرك وتتوهج بشكل غريب..."

- إبتسمت الساحرة: "إنها تنبض .. إنها ألماسات نشطة، غارقة في حجر الأوبسيديان. هل ترغبين في رؤيتها عن قرب؟ لمسها؟"

- "نعم... لا!"

تراجعت سيري إلى الخلف وألقت برأسها بغضب، محاولة تبديد الرائحة الخفيفة لليلك وعنب الثعلب التي كانت تفوح من ينيفر.

"لا أريد. لماذا قد أرغب بذلك؟ لا يهمني! لا يهمني البتة! أنا ويتشر! لا أملك أي قدرات سحرية! لستُ مهيأة لأن أكون ساحرة، من الواضح أنني... وعلى أي حال..."

جلست الساحرة على المقعد الحجري تحت الجدار وركزت على تفحص أظافرها.

- اختتمت سيري: "... وعلى أي حال عليّ التفكير في الأمر."

- "تعالي إلى هنا. اجلسي بجانبي."

أطاعتها سيري.

- قالت بتردد: "عليّ أن أجد وقتًا للتفكير في الأمر".

- أومأت ينيفر، ولا تزال تحدق في أظافرها: "أمر طبيعي، إنه أمر جاد يستحق التفكير."

ساد الصمت بينهما للحظات، بينما كانت المتدربات يتجولن في الحديقة، يلقين عليهما نظرات فضولية، يتهامسن، يضحكن.

- "حسنًا؟"

- "حسنًا ماذا؟"

- "هل فكرتِ بالأمر؟"

قفزت سيري واقفة، وشهقت بغضب ثم ضربت الأرض بقدمها.

- لهثت، عاجزة عن التقاط أنفاسها من شدة الغضب: "أنا... أنا... هل تسخرين مني؟ أحتاج إلى وقت! أحتاج إلى التفكير! لوقت أطول! ليوم كامل... وليلة!"

نظرت ينيفر في عينيها، فشعرت سيري بأنها تتضاءل تحت هذه النظرة.

- قالت الساحرة ببطء: "يُقال أن الليل يجلب الحلول لكن في حالتكِ، يا مفاجأتي الصغيرة، فإن الليل لن يجلب سوى كابوس آخر وستستيقظين مرة أخرى وأنتِ تصرخين وتتألمين غارقةً في العرق وستشعرين بالخوف مجددًا، خوفًا مما رأيتِ، خوفًا مما لن تتمكني من تذكره ولن يكون هناك نوم بعد ذلك. سيكون هناك خوف... حتى بزوغ الفجر."

ارتعشت الفتاة، وأطرقت برأسها.

- تغير صوت ينيفر بشكل طفيف: "يا مفاجأتي الصغيرة ثقي بي."

كان كتف الساحرة دافئًا. المخمل الأسود لفستانها بدا كأنه يتوسل ليُلمس،ورائحة الليلك وعنب الثعلب كانت ساحرة حد الثمالة. عناقها كان مهدئًا ومطمئنًا، يطفئ الغضب والتمرد، ويبث الطمأنينة والسكينة.

- "ستخضعين للاختبارات، مفاجأتي الصغيرة."

"سأفعل،" أجابت، مدركة أنها لم تكن بحاجة للرد. لأنها لم تكن مجرد سؤال.

قالت سيري: "لم أعد أفهم شيئًا أولًا تقولين إن لدي قدرات لأنني أرى تلك الأحلام. ثم تريدين إجراء اختبارات للتحقق... إذن، كيف يكون الأمر؟ هل لدي قدرات أم لا؟"

- "ستجيب الاختبارات عن هذا السؤال."

- قطبت سيري جبينها: "إختبارات.. إختبارات ، ليس لدي قدرات، أخبرتكِ بذلك. كنتُ سأشعر بها لو كنتُ أملكها، أليس كذلك؟ لكن... إذا حدث، محض صدفة، أنني أملك قدرات، ماذا سيحدث حينها؟"

- أجابتها الساحرة بلا اكتراث وهي تفتح النافذة: "هناك احتمالان إما أن تُخمَد قدراتكِ، أو سيكون عليكِ تعلم كيفية التحكم بها، و إذا كنتِ موهوبة وأردتِ ذلك، يمكنني أن ألقنكِ أساسيات السحر."

- "ماذا تعني 'الأساسيات'؟"

- "تعني المبادئ الأولية."

كانتا وحدهما في الحجرة الواسعة بجوار المكتبة، في الجناح غير المستخدم من المبنى، والذي خصصته نينيكي للساحرة.

كانت سيري تعلم أن هذه الغرفة تُستخدم للضيوف. كانت تعلم أن غيرالت، كلما زار المعبد، كان يقيم هنا.

- جلست على السرير ومررت يدها على اللحاف الدامسكي: "هل ستريدين تدريسي؟ هل ستريدين أخذي بعيدًا من هنا؟ لن أغادر معكِ أبدًا!"

- قالت ينيفر ببرود وهي تفك أربطة حقائبها الجلدية: "إذن سأرحل وحدي. وأؤكد لكِ، لن أفتقدكِ. قلتُ لكِ إنني سأعلمكِ فقط إذا قررتِ بنفسكِ أنكِ تريدين ذلك. ويمكنني القيام بذلك هنا، في الحال."

- "إلى متى ستقومين بتعليمي... أقصد، إلى متى ستقومين بتدريسي؟"

- "طالما رغبتِ بذلك."

إنحنت الساحرة وفتحت خزانة الأدراج وأخرجت منها حقيبة جلدية قديمة، وحزامًا، وزوجًا من الأحذية المزينة بالفرو، وقنينة فخارية محاطة بسلة من الخوص.

سمعت سيري تهمس بلعنة خفيفة بينما كانت تبتسم، ورأتها تعيد تلك الأغراض إلى الأدراج. عرفت لمن كانت، ومن الذي تركها هناك.

- "ماذا يعني 'طالما رغبتُ بذلك'؟ ماذا لو شعرتُ بالملل أو لم تعجبني الدراسة .."

- "سنضع لها حدًا. يكفي أن تخبريني. أو تُظهري لي ذلك."

- "أُظهِر لكِ ذلك كيف؟"

- "إذا قررنا تعليمكِ، فسأطالب منكِ بطاعةٍ مطلقة. أكرر: مطلقة. ولكن إن تعبتِ منه، فسيكون كافيًا أن تعصي أوامري. عندها ستتوقف الدروس فورًا. هل هذا واضح؟"

أومأت سيري برأسها وألقت نظرة خاطفة بعينيها الخضراوين على الساحرة.

- واصلت ينيفر وهي تفرغ حقائبها الجلدية: "ثانيًا، سأطالب منكِ بصدقٍ مطلق. لا يُسمح لكِ بإخفاء أي شيء عني. أي شيء. لذا، إذا شعرتِ أنكِ اكتفيتِ، فسيكون

كافيًا أن تكذبي، أو تتظاهري، أو تتصنعي، أو تنغلقي على نفسكِ. إذا سألتكِ عن أمرٍ ولم تجيبي بصدق، فسيكون ذلك مؤشرًا فوريًا لإنهاء دروسنا. هل فهمتِ؟"

- تمتمت سيري: "نعم، وهذا... الصدق... هل يسري في الاتجاهين؟ هل سأتمكن من... سؤالكِ عن أمور؟"

نظرت إليها ينيفر، وانحنت شفتيها بابتسامة غريبة.

- أجابت بعد لحظة: "بالطبع هذا أمر بديهي. بل سيكون أساس التعليم والحماية التي أسعى لتقديمها لكِ. الصدق يسري في الاتجاهين. عليكِ أن تسأليني. في أي وقت. وسأجيبكِ. بصدق."

- "أي سؤال؟"

- "أي سؤال."

"بدءًا من الآن؟"

- "نعم. بدءًا من الآن."

- "ما الذي يجمعكِ بجيرالت، سيدتي ينيفر؟"

كادت سيري أن تفقد وعيها من هول وقاحتها، وهي ترتجف تحت وطأة الصمت الذي تلا سؤالها.

إقتربت منها الساحرة ببطء، وضعت يديها على كتفيها، وحدقت في عينيها عن قرب وعمق.

- أجابت بجدية: "الشوق، الندم. الأمل. والخوف. نعم، لا أظن أنني أغفلتُ شيئًا."

ثم ابتسمت ابتسامة باهتة.

"والآن، لنبدأ الاختبارات، أيتها الأفعى الخضراء الصغيرة. سنرى إن كنتِ مهيأة لهذا أم لا. مع أنني، بعد سؤالكِ هذا، سأُفاجأ كثيرًا إن لم تكوني كذلك. هيا بنا، أيتها القبيحة الصغيرة."

- انتفضت سيري: "لماذا تنادينني هكذا؟"

ابتسمت ينيفر بطرف شفتيها.

- "لقد وعدتكِ بالصدق."

عبست سيري، واعتدلت في جلستها محاولة أن تجد وضعًا مريحًا على الكرسي الصلب الذي بدأ يؤلمها بعد ساعات من الجلوس.

- زمجرت وهي تمسح أصابعها الملطخة بالفحم على الطاولة: "لن ينجح أي شيء! بعد كل هذا، لا شيء... لا شيء ينجح معي! لستُ مهيأة لأكون ساحرة! كنتُ أعرف ذلك منذ البداية لكنكِ لم ترغبي في الاستماع إليّ! لم تكترثي!"

رفعت ينيفر حاجبيها.

- "أتقولين أني لم أرغب في الاستماع إليكِ؟ هذا مثير للاهتمام. عادةً، أنا أُصغي لكل جملة تُقال بحضوري وأسجلها في ذاكرتي. بشرط واحد فقط: أن تحتوي على شيءٍ من المنطق."

- ضغطت سيري على أسنانها بقوة: "أنتِ تسخرين مني دائمًا. وكل ما أردتُ قوله هو... حسنًا، عن هذه القدرات. في كير مورهن، في الجبال... لم أستطع تشكيل أي إشارة ويتشر. ولا واحدة!"

- "أعلم."

- "أنتِ تعلمين؟"

- "أعلم. لكن هذا لا يعني شيئًا."

- "كيف ذلك؟ ولكن... هذا ليس كل شيء!"

- "أنا أستمع بشغف."

- "أنا لستُ مهيأة لهذا. ألا تفهمين ذلك؟ أنا... أنا صغيرة جدًا."

- "كنتُ أصغر منكِ حين بدأتُ."

- "لكنني متأكدة أنكِ لم تكوني..."

- "ماذا تقصدين، أيتها الفتاة؟ كفي عن التلعثم! على الأقل جملة كاملة، من فضلكِ."

- "لأن... لأن أيولا، وميرا، وأورنيد، وكاتيبي—عندما كنا نتناول العشاء—ضحكن عليّ، وقلن إن السحر لا يمكنه النفاذ إليّ، وأنني لن أتمكن من استخدامه أبدًا لأنني... لأنني... عذراء، وهذا يعني..."

- قاطعتها ينيفر ببرود: "أعرف تمامًا ما يعنيه ذلك، صدقي أو لا تصدقي، لا شك أنكِ ستعتبرين هذا سخرية أخرى، لكن يؤسفني إخباركِ بأنكِ تتحدثين بترهات. دعينا نعود إلى الاختبار."

- صاحت سيري بعناد: "أنا عذراء! لماذا الاختبارات إذن؟ العذراوات لا يمكنهن ممارسة السحر!"

اتكأت ينيفر على كرسيها، ونظرت إليها ببرود.

- قالت بهدوء: "لا أرى حلًا آخر، إذن أخرجي وافقدي عذريتكِ إن كانت تعيقكِ إلى هذا الحد. لكن كوني سريعة، لو سمحتِ."

حدقت فيها سيري بفزعٍ:"هل... هل تسخرين مني؟"

- ابتسمت الساحرة ابتسامةً خافتة: "«لاحظتِ ذلك؟ مبروك. لقد اجتزت الاختبار التمهيدي في الملاحظة. والآن للاختبار الحقيقي. ركّزي، من فضلك. انظري: في هذه الصورة أربع أشجار صنوبر. لكل منها عدد مختلف من الفروع. ارسمي خامسةً تتوافق مع الأربع وتملأ هذا الفراغ هنا.»"

- أعلنت سيري وهي تخرج لسانها وترسم بشمعة فحم شجرةً منحنية قليلاً: "«إن أشجار الصنوبر سخيفة! ومملة! لا أفهم ما علاقة الصنوبر بالسحر؟ ماذا؟ لقد وعدتِني بالإجابة على أسئلتي، سيدة ينيفير!»"

- تنهدت الساحرة وهي تلتقط الورقة وتُقيّم الرسم بنظرة ناقدة "«للأسف، أظن أنني سأندم على ذلك الوعد. ما علاقة الصنوبر بالسحر؟ لا شيء. لكنكِ رسمتِها بشكل صحيح وفي الوقت المحدد. في الحقيقة، هذا ممتاز للمبتدئين.»"

- "«هل تسخرين منّي؟»"

- "«لا. نادرًا ما أضحك. أحتاج سببًا قويًا للضحك. ركّزي على الصفحة التالية، يا مفاجأتي. فيها صفوف من نجومٍ ودوائرَ وصُلبانٍ ومُثلثات، بأعداد مختلفة في كل صف. فكري وأجيبيني: كم نجمةً يجب أن تكون في الصف الأخير؟»"

- "«النجوم سخيفة!»"

- "«كم؟»"

- "«ثلاث!»"

ظلت ينيفير صامتةً لفترة طويلة، تحدق في تفصيلٍ على باب خزانة منحوت لا يَراه سواها. بينما تلاشت ابتسامة سيري المتهورة شيئًا فشيئًا حتى اختفت تمامًا.

- قالت الساحرة ببطءٍ وهي لا تزال تحدق في الخزانة: "«لا شك أنكِ فضولية لمعرفة ما سيحدث إذا أجبتِ بردٍّ عبثي، ربما ظننتِ أنني لن أنتبه لأنني غير مهتمة بإجاباتك؟ كنتِ مخطئة. أو ظننتِ أنني سأقتنع بأنكِ غبية؟ أخطأتِ. لكن إن كنتِ مللّتِ

الاختبارات وأردتِ اختبارَ أنا هذه المرة... حسنًا، لقد نجح ذلك، أليس كذلك؟ على أي حال، انتهى الاختبار. أعيدي الورقة.»"

- خفضت الفتاة رأسها: "«أعتذر، سيدة ينيفير. يجب بالطبع أن تكون هناك... نجمة واحدة. أنا آسفة جدًا. لا تغضبي منّي.»"

- "«انظري إليّ، سيري.»"

رفعت الفتاة عينيها مذهولة. فلأول مرة نادتها الساحرة باسمها.

- قالت ينيفير: "«سيري، إعلمي أنني -رغم الظاهر- أغضب نادرًا كما أضحك. لم تُغضبيني. لكن اعتذاركِ أثبت أنني لم أكن مخطئة فيكِ. والآن خذي الورقة التالية. كما ترين فيها خمسة منازل. ارسمي السادس...»"

- "«مرة أخرى؟ حقًا لا أفهم لماذا..»"

- "«...المنزل السادس.»" تغير صوت الساحرة بشكل خطير وامتلأت عيناها بوهج بنفسجي. "«هنا، في هذا الفراغ. لا تجعليني أكرر نفسي، من فضلك.»"

بعد التفاح والصنوبر والنجوم والأسماك والمنازل، جاء دور المتاهات التي وجب عليها إيجاد ممراتها سريعًا، وخطوط متعرجة، وبقع تشبه صراصير مسحوقة، وفسيفساء تجعل العينين تتقاطعان والرأس تدور. ثم جاءت كرة لامعة معلقة بخيط كان عليها التحديق بها طويلًا، أمرٌ مملٌ جعل سيري تُغالب النعاس. المُفاجأة أن ينيفير لم تعر الأمر اهتمامًا رغم توبيخها الحاد للفتاة قبل أيام لتغفو أثناء اختبار البقع.

أصابها ألم في الرقبة والظهر من الانحناء على الاختبارات، واشتد يومًا بعد يوم. اشتاقت للحركة والهواء الطلق، وبصراحة مباشرة أخبرت ينيفير. تعاملت الساحرة مع الأمر بودّ، كأنها تنتظره منذ زمن.

في اليومين التاليين، ركضتا معًا في الحديقة، قفزتا فوق خنادق وأسوار تحت نظرات الكاهنات المُتسائلة. تدربتا على التوازن بالسير فوق سور البستان. لكن على عكس تدريبات "كاير مورهن"، رافقت التمارين مع ينيفير دائمًا نظرياتٌ: طرق التنفس بتحريك الصدر باليد، وقواعد حركة العضلات والعظام، وفنون الاسترخاء.

أثناء استرخائهما على العشب تحت السماء، سألت سيري سؤالًا يلحّ عليها: "«سيدة ينيفير، متى سننهي الاختبارات؟»"

- "«أهي مملة لهذه الدرجة؟»"

- "«لا... لكنني أريد معرفة إن كنتُ مؤهلةً لأن أكون ساحرة.»"

- "«أنتِ مؤهلة.»"

- "«أتعرفين ذلك مسبقًا؟»"

- "«عرفته منذ البداية. قلائل من يكتشفون نشاط نجمتي. أنتِ لاحظتِه فورًا.»"

- "«إذن فما الهدف من الاختبارات؟»"

- "«انتهت. عرفت ما أردت معرفته عنكِ.»"

- "«لكن بعض المهام... لم تكن ناجحة. قلتِ بنفسك... هل أنتِ متأكدة؟ ألا تخشين الخطأ؟»"

- قالت الساحرة بنظرة بين التسلية والضجر: "«سيري، منذ أن استلقينا هنا، وأنا أتحدث إليكِ دون استخدام صوتي، هذا يُسمى تخاطرًا. وكما لاحظتِ، لم يُعقّد حوارنا.»"

* * *

- "السحر" - هكذا بدأت ينيفر، عيناها مثبتة على السماء فوق التلال، ويدها تستقر على مقبض سرجها -"هو، في رأي البعض، تجسيد للفوضى. إنه مفتاحٌ قادرٌ على فتح الباب المحظور. الباب الذي خلفه تكمن الكوابيس والمخاوف والأهوال التي لا يمكن تصورها، خلفه يختبئ الأعداء وينتظرون، قوى مدمرة، قوى الشر المطلق القادرة على إفناء ليس فقط من يفتح الباب، بل العالم بأسره معه. ولأنه لا يوجد نقص في أولئك الذين يحاولون فتح الباب، فسيخطئ أحدهم في مرحلة ما، وعندها سيُحكم على تدمير العالم وسيكون حتميًا. السحر، إذن، هو انتقام وسلاح الفوضى. حقيقة أن الناس، بعد اقتران الأكوان، تعلموا استخدام السحر، هو لعنة وهلاك العالم وهلاك للبشرية. وهذا هو الوضع، سيرى. أولئك الذين يعتقدون أن السحر هو الفوضى ليسوا مخطئين."

بتحفيز من كعب سيدتها، صهل حصان الساحرة الأسود طويلًا وشق طريقه ببطء وسط نبات الخلنج. حثّت سيرى حصانها، واتبعت آثار ينيفر، ولحقت بها. وصل الخلنج إلى ركابهما.

- تابعت ينيفر بعد فترة: "السحر هو في رأي البعض فن، فنٌ عظيم ونخبوي قادر على خلق أشياء جميلة وخارقة، السحر هو موهبة تُمنح لقلة مختارة فقط، أما أولئك الآخرون المحرومون من الموهبة فلا يمكنهم إلا أن ينظروا إلى نتائج أعمال الفنانين بإعجاب

وحسد، ويمكنهم الإعجاب بالعمل المنجز مع الشعور بأنه بدون هذه الإبداعات وبدون هذه الموهبة، سيكون العالم مكانًا أكثر فقرًا. حقيقة أنه - بعد اقتران الأكوان - اكتشف البعض المختارون الموهبة والسحر داخل أنفسهم، حقيقة أنهم وجدوا الفن داخل أنفسهم، هي نعمة الجمال. وهذا هو الوضع. أولئك الذين يعتقدون أن السحر هو فن هم أيضًا على حق."

على التل العاري الطويل الذي الناتئ من وسط الخلنج كظهر وحش كامن، كانت هناك صخرة ضخمة مدعومة ببضع صخور أصغر، وجهت الساحرة حصانها نحوها دون أن تتوقف عن محاضرتها.

- "هناك أيضًا أولئك الذين يرون أن السحر علم ومن أجل إتقانه فالموهبة والقدرة الفطرية وحدهما لا يكفيان، بل سنوات من الدراسة الدؤوبة والعمل الشاق ضرورية؛ والتحمل والانضباط الذاتي لازمان. فالسحر المكتسب بهذه الطريقة هو معرفة، تعلم، حدوده تتسع باستمرار بعقول مستنيرة ونشطة، بالتجربة والتجارب والممارسة. إن السحر المكتسب بهذه الطريقة هو تقدم. إنه المحراث، والنول، والطاحونة المائية، وفرن الصهر، والرافعة والبكرة. إنه تقدم، تطور، تغيير. إنه حركة مستمرة. إلى الأعلى. نحو التحسين. نحو النجوم. حقيقة أننا، بعد اقتران الأكوان، اكتشفنا السحر، ستسمح لنا يومًا ما بالوصول إلى النجوم. انزلي، سيرى."

اقتربت ينيفر من الصخرة، ووضعت كفها على سطح الحجر الخشن وأزالت بعناية الغبار والأوراق الجافة.

- تابعت: "أولئك الذين يعتبرون السحر علمًا هم أيضًا على حق. تذكري ذلك ياسيرى. والآن تعالي هنا، إليّ."

ابتلعت الفتاة ريقها واقتربت.

ووضعت الساحرة ذراعها حولها.

- كررت: "تذكري السحر هو فوضى، فن وعلم. إنه لعنة، نعمة وتقدم، كل هذا يتوقف على من يستخدم السحر، وكيف يستخدمه، ولأي غرض. والسحر في كل مكان. من حولنا. يمكن الوصول إليه بسهولة. يكفي أن يمد المرء يده. أترين؟ أنا أمد يدي."

ارتجف الكرومليش بشكل ملحوظ، وسمعت سيرى ضوضاء مكتومة بعيدة وهديرًا قادمًا من داخل الأرض، تموج الخلنج، وسوّته العاصفة التي هبت فجأة عبر التل. تحولت السماء فجأة إلى الظلام، وغطتها الغيوم التي كانت تندفع عبرها بسرعة لا تصدق. شعرت الفتاة بقطرات المطر على وجهها. ضيقت عينيها ضد وميض البرق الذي اشتعل فجأة عبر الأفق. انكمشت تلقائيًا على الساحرة، على شعرها الأسود الذي تفوح منه رائحة الليلك والأوز.

- "الأرض التي ندوسها. النار التي لا تنطفئ بداخلها. الماء الذي ولدت منه كل حياة والذي بدونه لا يمكن أن توجد حياة. الهواء الذي نتنفسه. يكفي أن يمد المرء يده ليسيطر عليها، ليخضعها. السحر في كل مكان. إنه في الهواء، في الماء، في الأرض وفي النار. وهو خلف الباب الذي أغلقه علينا اقتران الأكوان. من هناك، من خلف الباب المغلق، يمد السحر أحيانًا يده إلينا. من أجلنا. أنتِ تعلمين ذلك، أليس كذلك؟ لقد شعرتِ بالفعل بلمسة ذلك السحر، لمسة اليد من خلف ذلك الباب. تلك اللمسة ملأتْكِ بالخوف. مثل هذه اللمسة تملأ الجميع بالخوف. لأنه توجد فوضى ونظام، خير وشر في كل واحد منا. ولكن من الممكن والضروري التحكم فيه. يجب تعلم هذا.

وسوف تتعلمينه، سيرى. لهذا السبب أحضرتكِ إلى هنا، إلى هذه الصخرة التي، منذ زمن بعيد، وقفت عند تقاطع عروق الطاقة النابضة بالقوة. المسِيها."

اهتزت الصخرة، وارتجفت، ومعها اهتز التل بأكمله وارتجف.

- "السحر يمد يده نحوكِ، سيرى. نحوكِ، أيتها الفتاة الغريبة، ياطفلة المفاجأة، طفلة الدم الأكبر، دم الإلف، أيتها الفتاة الغريبة، المنسوجة في الحركة والتغيير، في الإفناء والولادة الجديدة. مُقدرة المصير. السحر يمد يده نحوكِ من خلف الباب المغلق، نحوكِ، أيتها الحبيبة الصغيرة في تروس ساعة القدر. الفوضى تمد مخالبها نحوكِ، لا تزال غير متأكدة ما إذا كنتِ ستكونين أداتها أم عقبة في تصميمها. ما تُظهره لكِ الفوضى في أحلامكِ هو هذا الشك بالذات. الفوضى تخاف منكِ، يا طفلة القدر. لكنها تريدكِ أن تكوني الشخص الذي يشعر بالخوف."

كان هناك وميض برق ورعد طويل. ارتجفت سيرى من البرد والرعب.

- "لا تستطيع الفوضى أن تُريكِ ما هي عليه حقًا. لذا فهي تُريكِ المستقبل، تُريكِ ما سيحدث. تريدكِ أن تخافي من الأيام القادمة، حتى يبدأ الخوف مما سيحدث لكِ ولأقرب الناس إليكِ في توجيهكِ، ويستحوذ عليكِ تمامًا. لهذا السبب تُرسل لكِ الفوضى تلك الأحلام. الآن، سترينني ما ترينه في أحلامكِ. وستخافين. ثم ستنسين وتتقنين خوفكِ. انظري إلى نجمتي، سيرى. لا ترفعي عينيكِ عنها!"

وميض. دوي رعد.

- "تكلمي! أنا آمركِ!"

دماء. شفتا ينيفر، مقطوعة ومسحوقة، تتحركان بصمت، وتسيلان بالدماء. صخور بيضاء تومض، تُرى من خلال عدو الحصان. يصهل حصان. قفزة. وادي، هاوية. صراخ. طيران، طيران لا نهاية له. هاوية...

في أعماق الهاوية، دخان. درج ينحدر نحو الأسفل.

"فايسي ديرياذ إيب إيغان..." شيء ما يقترب من نهايته...

- ماذا؟

"إلين بلاث، فينيفيد..." طفلة الدم القديم؟ صوت ينيفير يبدو قادمًا من مكان بعيد، خافتًا، يوقظ أصداءً بين الجدران الحجرية المتسربة بالرطوبة. إلين بلاث ..

- "تكلّمي!"

العينان البنفسجيتان تتقدان، تشتعلان في وجهها الهزيل المُنهَك، المُسوَّد من الألم، المُحاط بإعصار من شعر أسود قذر. ظلام. رطوبة. عفن. برد الجدران الحجرية القارس. برد الحديد على المعاصم، على الكاحلين...

هاوية. دخان. درج ينحدر للأسفل. درج يجب أن تنزل عبره.

يجب... لأن شيئًا ما ينتهي. لأن تيد ديرياذ، زمن النهاية، زمن عاصفة الذئاب يقترب. زمن الصقيع الأبيض والضوء الأبيض...

"يجب أن تموت لبوة سينترا! لمصلحة الدولة!"

صوت جيرالت "لننزل نحو الدرج. يجب علينا ذلك. لا خيار آخر سوى الدرج للأسفل!"

شفتاه لا تتحركان. هما زرقاوتان. دم... دم في كل مكان... الدرج كله غارق في الدم... لا يجب أن تنزلق... لأن الويتشر يعثر مرة واحدة فقط... وميض نصل. صرخات. موت. للأسفل. أسفل الدرج.

دخان. نار. صهيل خيل مجنون، حوافر تُدَوّي. لهيب يحيط من كل جانب.

"تمسكي! تمسكي، شبل سينترا!"

الحصان الأسود يصهل، يقفز. "تمسكي!"

الحصان الأسود يرقص. من خلال فتحة الخوذة المُزينة بأجنحة طير جارح، تتألق عينان قاسيتان.

سيف عريض يعكس وهج النار يهوي مع صفير. تهرّبي، سيري! تظاهري بالسقوط! دوري، صدّي الهجوم! تهرّبي! تهرّبي! ببطء شديييد!

الضربة تُعميها ببصيصها، تُهز جسدها كله، الألم يشلّها للحظة، يخفت، ثم ينفجر فجأة بقوة مرعبة، ينغرس بأنيابه الحادة في خدها، يُمزق، يخترق حتى الرقبة، الكتفين، الصدر، الرئتين...

"سيري!"

شعرت ببرودة الحجر الخشنة على ظهرها ورأسها. لم تتذكر كيف جلست. ينيفير كانت جاثية بجانبها. بلطف وحزم، عدّلت أصابعها، أبعَدت يدها عن خدها. الخد ينبض بالألم.

- "ماما..." تأوهت سيري. "ماما... كم يؤلمني! ماما..."

المشعوذة لمست وجهها. يدها كانت باردة كالجليد. توقف الألم فورًا.

- "رأيت..." همست الفتاة وهي تُغمض عينيها، أشياء في الأحلام... فارسًا أسود... جيرالت... وأيضًا... أنتِ... رأيتكِ، السيدة ينيفير!"

- "أعلم."

- "رأيتكِ... رأيت كيف .."

- "لن يحدث مجددًا. لن ترى ذلك أبدًا. لن تحلمي به بعد اليوم. سأمنحكِ القوة لطرد تلك الكوابيس. لهذا أحضرتكِ هنا، سيري، لأريكِ تلك القوة. غدًا، سأبدأ بإعطائكِ إياها."

أعقبتها أيام طويلة مُرهقة، أيام دراسة مكثفة وعمل شاق. كانت ينيفير صارمة، قاسية أحيانًا، مُهيبة ببراعة. لكنها لم تكن مملة قط. في مدرسة المعبد، كانت سيري بالكاد تبقي عينيها مفتوحتين، حتى أنها أحيانًا تغفو خلال الدروس، مُسَيّرة بالصوت الرتيب لـ نينيكا أو أيولا الأولى أو هروسفيثا. مع ينيفير، كان هذا مستحيلًا. ليس فقط بسبب نبرة

صوت السيدة المشعوذة وجملها القصيرة الحادة، بل بسبب موضوع الدراسة نفسه: تعلم السحر. دراسة ساحرة، مثيرة، تخطف الألباب.

قضت سيري معظم النهار مع ينيفير، تعود إلى المهجع متأخرةً، تنهار على السرير كالجذع وتغط في نوم عميق. كانت المبتدئات يشكون من شخيرها العالي ويحاولن إيقاظها... دون جدوى.

سيري كانت تنام بعمق.

بدون أحلام.

- تنهدت ينيفير باستسلام، مرّرت يديها في شعرها الأسود المُشعث، ثم خفضت رأسها "يا للآلهة إنها حركة بسيطة! إن لم تتقني هذه، فكيف ستتعلمين الأصعب؟"

التفتت سيري، تمتمت بصوت خشن ودلّكت يدها المتصلبة. تنهدت الساحرة مجددًا.

- "انظري إلى الرسمة مرة أخرى. انتبهي لوضع الأصابع، أدرسي الأسهم والرونات التي توضح الحركة."

- "لقد نظرت للرسمة ألف مرة! فهمت الرونات! فورت، كالمي. يس، فيلوي. بعيدًا عن الجسد، ببطء. للأسفل، بسرعة. اليد... هكذا؟"

- "أما الإصبع الصغير؟"

- "لا يمكن وضعه هكذا دون ثني الإصبع المجاور!"

- "أعطيني يدك."

- "آآه!"

- "لا تصرخي هكذا، وإلا ستأتي نينيكا ظانّة أنني أسلخكِ أو أقليكِ بالزيت! لا تغيّري وضع أصابعك. الآن كرري الإيماءة. أدري المعصم! جيد. الآن هزّي يدك، أرخي الأصابع. كرري. لا، لا! أتعلمين ما فعلتِ؟ لو استخدمتِ تعويذة حقيقية بهذا الشكل، لاحتجتِ إلى جبيرة لشهر كامل! أيديكِ مصنوعة من خشب؟!"

- "يَدي مُدرَّبة على حمل السيف! لهذا لا أستطيع!"

- "هراء. جيرالت يلوح بسيفه منذ نعومة أظفاره، لكن أصابعه رشيقة... و... همم... لطيفة جدًا. حاولي مرة أخرى. أَرَيتِ؟ الأمر يحتاج فقط إلى إرادة. ومحاولة. كرري. جيد. هزّي يدكِ. مرة أخرى. جيد. هل تعبتِ؟"

- "قليلًا..."

- "دعيني أُدلِّك يدكِ وذراعكِ. سيري، لمَ لا تستخدمين المرهم الذي أعطيتكِ إياه؟ يداكِ خشنتان كجلد التمساح... لكن ما هذا؟ أثر خاتم، صحيح؟ أَوَلم أُحرِّم عليكِ ارتداء أي حُلي؟"

- "لكني ربحتُ الخاتم من ميرا في لعبة الدوامة! ولم ألبسه إلا نصف يوم..."

- "نصف يوم أكثر من اللازم. لا ترتديه مجددًا، رجاءً."

- "لا أفهم، لمَ ممنوع..."

- قاطعت الساحرة كلامها لكن دون غضب في صوتها: "لا تحتاجين أن تفهمي .. أطلب منكِ فقط ألا ترتدي شيئًا كهذا. ضعي زهرة في شعركِ إذا أردتِ. أُنسجي إكليلًا.

لكن لا معادن، ولا بلورات، ولا أحجار. هذا مهم، سيري. حين يحين الوقت، سأشرح لكِ. حتى ذلك الحين، ثقي بي وافعلي ما أطلب."

- "أنتِ ترتدين نجمتكِ وأقراطكِ وخواتمكِ! أما أنا فلا؟ ألأنني... عذراء؟"

- ابتسمت ينيفير وربتت على رأسها: "يا قبيحة، أما زلتِ مهووسة بهذا؟ شرحت لكِ أن الأمر لا علاقة له بكونكِ عذراء أم لا. اغسلي شعركِ غدًا؛ إنه يحتاج لذلك."

- "سيدة ينيفير؟"

- "نعم."

- "هل... كجزء من الصراحة التي وعدتِني بها... هل يمكنني سؤالكِ شيئًا؟"

- "يمكنكِ. ولكن، وحق كل الآلهة، ليس عن العذرية رجاءً."

عضت سيري شفتها وصمتت طويلًا.

- تنهدت ينيفير: "للأسف،".

- "اسألي."

- "لأن الفتيات في المهجع يتحدثن دائمًا عن احتفالات بيلتين وأمور أخرى... ويقلن إني طفلة صغيرة لأن الوقت قد حان... سيدة ينيفير، كيف يعرف المرء أن الوقت قد حان...؟"

- "... لِتَقَضِي ليلة مع رجل؟"

احمرّ وجه سيري كالدم. هزت رأسها بعد صمت.

- قالت ينيفير بسلاسة: "الأمر بسيط، إذا بدأتِ بالتفكير فيه، فهذه علامة."

- "لكنني لا أريد!"

- "الأمر ليس إجباريًا. لا تريدي، فلا تفعلي."

- "آه... ولكن... كيف تعرفين أن الرجل... المناسب..."

- "... لتقضي معه اليلة؟"

- "همم."

- زمت الساحرة شفتيها بابتسامة ساخرة: "إن كان لديكِ خيار، ولكنكِ عديمة الخبرة، فاحكمي أولًا على السرير."

اتسعت عينا سيري الزمرديتان كالصحون.

- "السرير؟!"

"بالضبط. استبعِدي مَن لا يملك سريرًا. ثم مَن سريره قذر. ثم اختاري الأجمل بين الباقين. لكن الطريقة ليست مضمونة. فقد تخطئين خطأًفظيعًا."

- "هل تمزحين؟"

- "لا. أنا جادة، سيري. اعتبارًا من غد، ستنامين هنا معي. أحضري أغراضكِ. ما أسمعه أن المبتدئات يضيعن الوقت في الثرثرة بدل الراحة."

بعد إتقان الحركات الأساسية لليدين، بدأت سيري تتعلم التعويذات وصيغها. كانت الصيغ أسهل. مكتوبة بلغة القدماء التي أتقنتها سيري، حفظتها بسرعة. حتى النطق المعقد لم يشكل عائقًا. بدت ينيفير راضية، وأصبحت أكثر لطفًا يومًا بعد يوم. في فترات الراحة، كانتا تتسامران وتمازحان حتى عن نينيكا التي كانت تزورهما غالبًا – متحفزة كدجاجة حضون – تحاول حماية سيري من "قسوة" الساحرة!

انتقلت سيري إلى غرفة ينيفير كما أُمِرت. صارتا معًا ليلًا ونهارًا. أحيانًا، كانت الدروس ليلًا – بعض الحركات والتعاويذ لا تُؤَدَّى إلا في الظلام.

مع تقدم سيري، خفَّفت ينيفير سرعة التدريب. صار لديهما وقتٌ للقراءة. انغمست سيري في "حوارات ستاملفورد عن طبيعة السحر"، "قوى العناصر لجامباتيستا"، و"السحر الطبيعي" لريتشرت ومونك. تصفحت أيضًا "العالم الخفي" ليان بيكر، وأسرار الأسرار" لأجنيس أوف غلانفيل، بل وحتى "كودكس ميرث" العتيق، و"أرد إيركين" المخيف ذي الرسومات المرعبة.

كانت تَنتقي أيضًا كُتبًا لا علاقة لها بالسحر.

قرأت "تاريخ العالم" و"مُعْجَم الحياة"، ولم تهمل الأعمال الأخفّ من مكتبة المعبد. باحمرار خجول، التهمت "مُجون الماركيز لا كريهم" و"نساء الملك" لآنا تيلر. قرأت "مصائب الحب" و"زمن القمر"؛ مجموعات شعرية للمنشد الشهير دانديليون. وبكت على أغاني إيسي دافن الحزينة، المُفعمة بالغموض، والمُجلدة بكتاب صغيرٍ بعنوان "اللؤلؤة الزرقاء".

كانت تستغل امتيازها في طرح الأسئلة بكثرة. وتجيبها ينيفير. لكن شيئًا فشيئًا، صارت هي مَنْ يُسأل. بدا في البداية أن الساحرة غير مهتمة بماضي سيري: طفولتها في سينترا، أو أحداث الحرب اللاحقة. لكن أسئلتها صارت أكثر تحديدًا مع الوقت. اضطرت سيري للإجابة، رغم عدم رغبتها، فكل سؤال كان يُفتح باب ذاكرةٍ أقسمت ألا تفتحه، ذكريات أرادت إغلاقها للأبد. مُنذ لقائها جيرالت في سودين، آمنت أنها بدأت "حياة جديدة"، وأن حياتها السابقة—في سينترا—مُحيَت إلى الأبد.

الويتشرز في كاير مورين لم يسألوها عن شيء، وقبل مجيئها للمعبد، أكد جيرالت ألا تُفشي هويتها لأحد. نينيكا—التي تعرف كل شيء—جعلتها أمام الكاهنات والمبتدئات مجرد فتاة عادية: ابنة غير شرعية لفارس وفلاحة، طفلة لا مكان لها في قلعة الأب ولا كوخ الأم. نصف المبتدئات في معبد مليتيل هنّ مِثلها.

وبالطبع، عرفت ينيفير السر. هي مَنْ "يُمكن الوثوق بها". لكن ينيفير سألت. عن سينترا.

- "كيف خرجتِ من المدينة، سيري؟ كيف هربتِ من النيلفغارديين؟"

لم تتذكر. كل شيء انقطع في الضباب والدخان. تذكرت الحصار، وداع الملكة كالانثي—جدتها—، تذكرت البارونات والفرسان يجرونها بعيدًا عن سرير "لبؤة سينترا" الجريحة المحتضرة. تذكرت الهروب الجنوني عبر شوارع ملتهبة، معركة دموية، وسقوط الحصان. تذكرت الفارس الأسود بخوذةٍ مُزينة بأجنحة طير جارح.

ولا شيء أكثر.

- "لا أتذكر. حقًا لا أتذكر، سيدة ينيفير."

لم تُصر الساحرة. سألت أسئلةً أخرى. بلطفٍ وحكمة، حتى بدأت سيري تشعر بالراحة. أخيرًا، صارت تتحدث دون أن تُسأل. روَت سنوات طفولتها في سينترا وجزر سكيليج، عن "قانون المفاجأة" وكيف قرر القدر أنها مصير جيرالت ذي الشعر الأبيض. تذكرت الحرب، منفاها في غابات ترانس ريفر، حياتها مع درويدز أنجرن، وكيف وجدها جيرالت هناك وأخذها إلى كاير مورين، فاتحًا فصلًا جديدًا في حياتها القصيرة.

ذات مساء، بادرت دون سؤال بسرد لقائها الأول مع الويتشر في غابة بروكيلون، بين الدرياد اللواتي اختطفنها وأرادن إجبارها على البقاء.

"آه!" قالت ينيفير بعد أن استمعت للقصة، "كنت سأدفع الكثير لأرى وجه جيرالت حين اكتشف أن 'المفاجأة' التي أعدها القدر له هي فتاة! لا بد أن تعبيره كان مذهلًا!"

قهقهت سيري، وبرقت عيناها الزمرديتان بشيطانية.

- "أوه نعم! هل تريدين رؤيته؟ هاكِ المحاكاة! انظري إلي!"

انفجرت ينيفير في الضحك.

فكرت سيري في ذلك الضحك وهي تُشاهد سربًا من الطيور السوداء يطير شرقًا،ذلك الضحك الصادق المشترك، هو ما جمَعنا. أدركنا أنا وهي أننا نستطيع أن نضحك ونتحدث عنه. عن جيرالت. فجأة صرنا قريبتين، رغم أنني أعرف أن جيرالت هو مَنْ جَمَعنا وفَرَّقنا في الوقت ذاته.

وفي الغابة، بعد يومين:

- "لا أفهم لمَ يجب أن أبحث عن هذه... نسيت اسمها مجددًا..."

- صححت ينيفير بينما كانت تُنظف الأشواك العالقة بكمها: "التقاطعات، هل أُريكِ كيف تجدينها لأنها أماكن تستمدين منها القوة."

- "لكني أعرف كيف أستمد القوة! وأنتِ علمتني أنها في كل مكان! فلمَ نتجول بين الأدغال؟ أليست القوة كثيرة في المعبد؟"

- "نعم، لذلك بُني المعبد هنا. لكن الاعتياد على وفرة الطاقة يجعلكِ كسولة."

- "ساقاي تؤلمانني! أيمكننا الجلوس؟"

- "حسنًا، يا قبيحة."

- "سيدة ينيفير؟"

- "نعم؟"

- "لمَ نستمد القوة دائمًا من عروق المياه؟ الطاقة السحرية موجودة في الأرض أيضًا، أليس كذلك؟ وفي الهواء؟ والنار؟"

- "صحيح."

- "والأرض... هنا تحت أقدامنا! والهواء في كل مكان! وإذا أردنا النار، نُشعل نارًا ثم..."

- "أنتِ ضعيفة جدًا لاستخراج الطاقة من الأرض. ولا تعرفين ما يكفي لاستمدادها من الهواء. أما النار فممنوع منعًا باتًا!"

- "لا تصرخي. أتذكر."

جلسوا صامتين على جذع شجرةٍ يابسة، يستمعون لَحْن الرياح في الأغصان، ونقر نقّار الخشب. شعرت سيري بالجوع والعطش، لكنها علمت أن الشكوى عديمة الجدوى. قبل شهر، كانت ينيفير ترد على تذمرها بمحاضرة عن "التحكم بالغرائز البدائية"، والآن تتجاهلها بصمتٍ متعالٍ. حتى سُخْطها على لقب "القبيحة" صار بلا معنى.

نزعت الساحرة آخر شوكة من كمها. فكرت سيري "ستسألني عن شيئ ما، أصبحت أسمع أفكارها. ستسأل عما لا أتذكره. أو عما لا أريد تذكره. لكن لا فائدة. لن أجيب. كل ذلك ولى، ولا عودة للماضي. هي نفسها قالت ذلك ذات يوم".

- "حدثيني عن والديكِ، سيري."

- "لا أتذكرهما، سيدة ينيفير."

- "رجاءً، حاولي."

- همست بصوت خافت، مستسلمةً للأمر:"حقًا لا أتذكر أبي... إلّا... لا شيء عمليًا. أما ماما... نعم، أتذكرها. كان شعرها طويلًا هكذا... وكانت دائمة الحزن... أتذكر... لا، لا شيء..."

- "حاولي التذكر."

- "لا أستطيع!"

- "انظري إلى نجمتي."

صرخت النوارس، تغوص بين قوارب الصيد حيث تتساقط الفضلات والأسماك الصغيرة من الصناديق. هبت الرياح بخفة على أشرعة الدراكار المُنخفضة، بينما تمايل الدخان فوق الرصيف تحت رذاذ المطر. كانت البواخر القادمة من سينترا تدخل الميناء، تُلمع عليها أسود ذهبية على أعلام زرقاء. العم كراخ أن كرايت، الواقف بجانبها بيده – بحجم كف دبٍّ أشيب – على كتفها، ركع فجأةً على ركبة واحدة. بينما دق المحاربون، واقفين في صفوف، دروعهم بسيوفهم إيقاعيًّا.

عبر الممشى الخشبي، تقدّمت الملكة كالانثي – جدتها – التي يُنادى بها رسميًّا آرد رينا (الملكة العليا) في جزر سكيليج. لكن العم كراخ، سيد الجزر، الذي ظل راكعًا مطأطئ الرأس، حيّا "لبؤة سينترا" بلقبٍ أقل رسمية لكنه أعزّ عند أهل الجزر:

- "عاشتِ، مودرون."

- قالت كالانتي بصوت بارد وسلطوي دون أن تلقي نظرة على الإيرل: "أميرة، تعالي إليّ .. تعالي يا سيري."

كانت يد جدتها صلبة كيد رجل، وخواتمها باردة كالجليد.

- "أين إيست؟"

- تلعثم كراخ: "الملك... في البحر، مودرون. يبحث عن... الجثث. منذ الأمس..."

- صرخت الملكة: "لماذا سمح لهم؟ كيف استطاع؟ كيف سمحتَ أنت بذلك يا كراخ؟ أنت إيرل سكيليج! لا يُبحر دراكر دون إذنك! لمَ سمحت؟"

انحنى كراخ أكثر.

- أمرت كالانتي: "لتأتوا بالخيول! سنذهب إلى الحصن، وغدًا عند الفجر، سنُبحر. سآخذ الأميرة إلى سينترا. لن أسمح لها بالعودة أبدًا. وأنت... عليك دينٌ عظيمٌ تُسدده لي، كراخ. يومًا ما سأطالب به."

- "أعلم، مودرون."

- نظرت إلى سيري: "إن لم أطالب، فستفعل هي، ستدفع الدين لها، أيها الإيرل. أنت تعرف كيف."

نهض كراخ أن كرايت، مشدودًا كالسيف، ووجهه المُحترق بالشمس كالصخر. بسحبَة سريعة، استل سيفًا فولاذيًّا بلا زخارف، ورفع كمّه الأيسر المُغطى بندوب بيضاء.

- زفرت الملكة: "دع الدراما إحتفظ بدمك. قلتُ: يومًا ما. تذكّر!"

- "آين مي غليديف، زفير أبلودجاس، آرد رينا، ليونورز إيب زينترا!"

هتف الإيرل رافعًا سيفه. زمجر المحاربون وقرعوا أسلحتهم على الدروع.

- "أقبل يمينك. دلّني إلى الحصن."

تذكرت سيري عودة الملك إيست، وجهه الشاحب كالحجر، وصمت الملكة. تذكرت الوليمة الكئيبة حيث ثمل محاربو سكيليج ذوو اللحى في صمتٍ مرعب. تذكرت الهمسات: "جيس موير... جيس موير!"

تذكرت البيرة السوداء تُسكب على الأرض، والقرون تُحطم على جدران القاعة في نوبات غضبٍ يائس. "جيس موير! بافيتا!"

بافيتا، أميرة سينترا، وزوجها الأمير دوني – والدا سيري – قضيا. جيس موير (لعنة البحر) ابتلعتهما. اختفيا في عاصفةٍ لم يتنبأ بها أحد... عاصفةٍ لم يكن يجب أن تندلع...

حَوَّلت سيري وجهها كي لا ترى ينيفير الدموع في عينيها. لماذا كل هذا؟ فكرت. لمَ هذه الأسئلة، هذه الذكريات؟ لا عودة للماضي. لا أحد ينتظرني هناك. لا أبي، ولا ماما، ولا جدتي "آرد رينا"، لبؤة سينترا. العم كراخ – لا شك – مات أيضًا. لم يعد لدي أحد، وأنا شخصٌ آخر الآن. لا عودة...

أطبق الساحرة صمتًا طويلًا، غارقة في التفكير.

- سألت فجأةً: "هل بدأت الأحلام آنذاك؟".

- فكرت سيري لوهلة: "لا .. لا، ليس حينها. بل لاحقًا."

- "متى؟"

- "في الصيف... قبل الحرب بعام..."

- "إذًا بعد لقاء جيرالت في بروكيلون؟"

أومأت. قررت ألا تجيب على السؤال التالي. لكن ينيفير لم تسأل. نهضت بسرعة ونظرت للشمس.

- "كفى جلوسًا، يا قبيحة. الوقت يتأخر. دعينا نكمل البحث. أرخي يدكِ ولا تشددي أصابعكِ. انطلقي."

- "إلى أي اتجاه؟"

- "لا يهم."

- "العروق في كل مكان؟"

"تقريبًا. ستتعلمين اكتشافها في العراء: أشجارًا ميتة، نباتاتٍ ملتوية، أماكن تتجنبها الحيوانات... إلا القطط."

- "القطط؟!"

- "القطط تحب النوم والاسترخاء فوق التقاطعات. تُحكى قصصٌ عن حيوانات سحرية، لكن الحقيقة أن القطط – بعد التنانين – هي المخلوقات الوحيدة القادرة على امتصاص القوة. لا أحد يعرف لمَ تفعل ذلك أو أين تذهب بها... مالكِ؟"

- "ووه! هناك! أشعر بشيءٍ خلف تلك الشجرة!"

- "لا تختلقي، سيري. لا تُحسّين بالتقاطعات إلا فوقها... همم... غريب! هل تشعرين حقًّا بالجذب؟"

- "نعم!"

- "أريني المكان."

- "هنا! في هذه البقعة!"

- "ممتاز. هل تشعرين بتنميلٍ في الإصبع الثالث؟ انظري كيف ينحني! تذكري، هذه العلامة."

- "هل يمكنني استمداد القوة الآن؟"

- "انتظري. أوه! جيب طاقي عنيف! اِستمديها ببطءٍ شديد."

- "سيدة ينيفير، أليس استنزاف القوة خطأ؟ الأم نينيكا تقول: 'لا تأخذوا شيئًا عبثًا، حتى الكرزة اتركوها للطيور'."

احتضنتها ينيفير وقبَّلت شعرها.

- "ليت (فيلجفورتز) و(فرانشيسكا) يسمعونكِ! أنتِ تطرحين أسئلةً يجهلها عُظماء السحر. لا تقلقي، القوة لا تنضب. كأنكِ تأخذين كرزةً من بستانٍ شاسع."

- "أنا لست خائفة! أنا ويتشر! هاها! أشعر بها... آآآه! سيدة ين... فيييبير!"

- "حذّرتكِ! ارفعي رأسكِ! ضعي المنديل على أنفكِ قبل أن ينزف! اهدئي، أنا معكِ... ابنتي."

أثارت تلك القطرة الصغيرة من الدم عاصفةً، قاطعت نينيكا ينيفير أسبوعًا كاملًا.

في تلك الأيام، تكاسلت سيري وقرأت الكتب، بينما اختفت الساحرة من الفجر حتى المساء، تعود بنظراتٍ غامضة.

لكن الأسبوع انتهى. في إحدى الأمسيات، عانقتها سيري بقوةٍ دون كلمة.

ظلت ينيفير صامتةً طويلًا، لكن أصابعها المرتعشة على كتفي الفتاة كانت أبلغ من أي حديث.

وفي اليوم التالي، تصالحت الكاهنة العظمى مع الساحرة بعد حديثٍ دام ساعات.

وعاد كل شيء إلى طبيعته، لِسعادة سيري.

- "انظري في عينيّ، أطلقي الضوء. الصيغة!"

- "آيني فيرسيوس!"

- "جيد. شتتي الضوء بالهواء."

- "آيني آن آنيه!"

- "ممتازة. الحركة التالية؟ نعم، هكذا. شدّدي الإيماءة واستمري!"

- "آآآه...!"

- "استقيمي! لا تُحركي أصابعكِ! كل حركة تُضاعف التأثير! أتريدين إشعال النار؟"

- "لا أستطيع..."

- "أرخي جسدكِ! توقفي عن الارتجاف! اِسحبي القوة! أسرِع! لا تضعفي إرادتكِ!"

- "بطني... يؤلمني..."

- "أنتِ امرأة الآن، هذا طبيعي. ستعتادين. تحملي الألم دون مسكنات. أنا أحميكِ. تنفّسي. ركّزي. الإيماءة... نعم. اربطيها... ثم اقلبيها... وأطلقي القوة كضوء!"

- "إيييييك!"

- "توقفي عن الأنين! تحكّمي! إنها تشنجات! ستنتهي! أوسعي أصابعكِ! أطفئيها! أبطئي!"

- "لا يزال ذلك مفاجئًا جدًا، أيتها القبيحة، لا يزال مفاجئًا جدًا. أعلم أن القوة تتفجر بداخلك، لكن عليك أن تتعلمي السيطرة عليها. لا يمكنك السماح باندفاعات مثل التي حدثت قبل لحظات. لو لم أعزلك، لكنت تسببتِ في كارثة هنا. والآن، مرة أخرى. سنبدأ من البداية. الحركة والتعويذة."

- "لا! ليس مجددًا! لا أستطيع!"

- "تنفسي ببطء، وتوقفي عن الارتجاف. هذه مجرد هستيريا، لن تخدعني. تمالكي نفسك، ركزي وابدئي."

- "لا، أرجوكِ، سيدتي ينيفر... إنه يؤلمني... أشعر بالغثيان..."

"لا نريد دموعاً، سيري فلا يوجد مشهد أكثر إثارة للغثيان من ساحرة تبكي. ولا شيء يستدرّ الشفقة أكثر من ذلك. تذكري هذا. لا تنسيه أبدًا. مرة أخرى، من البداية. التعويذة والإيماءة. لا، لا، هذه المرة دون أن تقلديني. ستفعلينها بنفسك. استخدمي ذاكرتك!"

- "أيينه فيرسيوس... أيينه أئين أينييه... آاااه!"

- "لا! بسرعة كبيرة!"

السحر، مثل سهم حديدي ذي أطراف مسننة، استقر داخلها. جرحها بعمق. آلمها. آلمها بألم غريب يمتزج بشكل عجيب بالغبطة.

ركضوا مرة أخرى حول الحديقة للاسترخاء، لقد أقنعت ينيفر نينيكي بإخراج سيف سيري من المخزن، مما سمح للفتاة بممارسة خطواتها، وتفادي الضربات،

والهجمات—بالطبع، سرًا، حتى لا تلاحظ الكاهنات والمتدربات. لكن السحر كان حاضرًا في كل مكان. تعلمت سيري كيف—باستخدام تعاويذ بسيطة وتركيز إرادتها—تسترخي عضلاتها، تقاوم التشنجات، تتحكم في الأدرينالين، تسيطر على متاهة أذنيها العصبية، تبطئ أو تسرّع نبضها، وكيف تتحمل فترات قصيرة بدون أكسجين.

كانت الساحرة تعرف مقدارًا مفاجئًا عن فن السيف الخاص بالويتشر وعن "رقصتهم". كانت تعرف الكثير عن أسرار كير مورهن؛ لم يكن هناك شك في أنها زارت الحصن. كانت تعرف فيسيمير وإيسكيل. لكن ليس لامبرت وكوين.

اعتادت ينيفر زيارة كير مورهن. خمّنت سيري السبب فحينما تحدثوا عن الحصن، أصبحت عينا الساحرة أكثر دفئًا، فقدت بريق الغضب وعمقها البارد اللامبالي. لو لم يكن ذلك غريبًا على شخصية ينيفر، لكانت سيري وصفتها بأنها حالمة، غارقة في الذكريات.

كانت هناك مواضيع تتجنبها سيري بحذر وغريزة. لكنها، ذات يوم، انساقت في الحديث وتطرقت إلى تريس ميريجولد.

تظاهرت ينيفر بأنها تسأل بلامبالاة، بأسئلة عادية، لكنها استخرجت كل شيء منها. كانت عيناها صلبتين، غامضتين. وسيري أدركت السبب. والمفاجئ، أنها لم تعد تشعر بالضيق.

كان السحر يبعث على الهدوء.

- "العلامة المعروفة باسم 'آرد'، سيري، هي تعويذة بسيطة جدًا تنتمي إلى عائلة السحر الحركي النفسي، والتي تعتمد على دفع الطاقة في الاتجاه المطلوب. قوة الدفع تعتمد

على مدى تركيز إرادة المستخدم وعلى القوة المنبعثة. قد تكون كبيرة جدًا. لقد قام الويتشرز بتكييف هذه التعويذة مستفيدين من حقيقة أنها لا تتطلب نطق صيغة سحرية فيكفي التركيز والحركة فقط. لهذا أطلقوا عليها اسم 'علامة' ... من أين جاء الاسم؟ لا أعلم، ربما من لغة القدماء كما تعلمين، كلمة 'آارد' تعني 'الجبل'، أو 'الأعلى'. إذا كان هذا صحيحًا، فإن الاسم خادع جدًا، لأن هذه واحدة من أسهل تعاويذ التحريك النفسي.

لكننا، بالطبع، لن نهدر وقتنا وطاقتنا على شيء بدائي مثل علامة الويتشر. سنمارس السحر الحقيقي. سنتمرن على... آه، على تلك السلة تحت شجرة التفاح. ركزي."

- "جاهزة."

"يجب عليك التركيز بسرعة، دعيني أذكّركِ: تحكّمي في تدفق القوة. يمكنك إطلاق ما تستخلصينه فقط، لا أكثر. إذا أطلقتِ أكثر ولو بقدر ضئيل، سيكون ذلك على حساب بنيتك الجسدية. مجهود كهذا قد يُفقدك الوعي، وفي أسوأ الحالات، قد يقتلك. أما إذا أطلقتِ كل ما تستخلصينه دفعة واحدة، فستخسرين القدرة على تكرار التعويذة فورًا، وستضطرين إلى جمع الطاقة من جديد، وكما تعلمين، هذا ليس سهلًا، وهو مؤلم."

- "أووه، أنا أعرف!"

- "يجب ألا تتركي تركيزك يتراخى، وألا تسمحي للطاقة بالتمرد والانفلات منك. معلمتي كانت تقول دائمًا إن إطلاق القوة يجب أن يكون مثل نفخ التوت في قاعة رقص؛ برفق، وبحذر، وبسيطرة تامة. بحيث لا يعرف من حولك أنك أنتِ الفاعلة. فهمتِ؟"

- "فهمت!"

- "اعتدلي في وقفتك. توقفي عن الضحك. دعيني أذكّركِ أن التعاويذ أمر جاد. تُلقَى برشاقة وهيبة. الحركات تُنفَّذ بسلاسة، لكن بضبط للنفس. بوقار. لا تُقطّبين جبينك، لا تشوّهي وجهك، ولا تخرجي لسانك. أنتِ تتعاملين مع قوة الطبيعة، احترمي الطبيعة."

- "حسنًا، سيدتي ينيفر."

- "احذري، هذه المرة لن أحميكِ. أنتِ الآن مُلقية تعاويذ مستقلة. هذا هو عرضك الأول، أيتها القبيحة. هل رأيتِ تلك القنينة من النبيذ في الخزانة؟ إذا نجحتِ في عرضك الأول، فمعلمتك ستشربها الليلة."

- "بمفردكِ؟"

- "المبتدئات لا يُسمح لهنّ بشرب النبيذ حتى يصبحن ساحرات مؤهلات. عليكِ الانتظار. لكنكِ ذكية، لذا هذا يعني فقط عشر سنوات أخرى، ليس أكثر. حسنًا، لنبدأ. رتّبي أصابعكِ. واليد اليسرى؟ لا تلوّحي بها! دعيها تتدلى أو ضعيها على وركك. الأصابع؟ جيد. حسنًا، أطلقي الآن."

- "آاااه..."

- "لم أطلب منكِ إصدار أصوات مضحكة. أطلقي الطاقة. بصمت."

- "هاا، ها! لقد قفزت! السلة قفزت! هل رأيتِ؟"

- "ما زال ضعيفًا، سيري، الاقتصاد لا يعني الوهن. التحريك الذهني يُستخدم لهدف محدد. حتى الويتشرز يستخدمون علامة آرد لإسقاط خصمهم أرضًا. الطاقة التي أطلقتِها بالكاد كانت ستُطيّر قبعته عن رأسه! مجددًا، أقوى هذه المرة. هيا!"

- "هاه! لقد طار فعلًا! لقد كان الأمر جيدًا هذه المرة، أليس كذلك، سيدتي ينيفر؟"

- "همم... بعد قليل، ستتسللين إلى المطبخ وتسرقين قليلًا من الجبن ليُرافق نبيذنا... كان ذلك تقريبًا صحيحًا. تقريبًا. أقوى، أيتها القبيحة الصغيرة، لا تخافي. ارفعي السلة عن الأرض وقذفيها بقوة نحو جدار ذلك الكوخ، اجعلي الريش يتطاير. لا تنحني! ارفعي رأسك! برشاقة، ولكن بفخر! كوني جريئة، كوني جريئة! أوه، اللعنة!"

- "أوه... يا إلهي... آسفة، سيدتي ينيفر... ربما... ربما بالغت قليلًا..."

- "قليلًا فقط. لا تقلقي. تعالي هنا. هيا، صغيرتي."

- "ولكن... والكوخ؟"

- "تحدث مثل هذه الأمور. لا داعي لأن تشغلي بالك. أداءك الأول، بالمجمل، يُعتبر نجاحًا. أما الكوخ؟ لم يكن جميلًا على أي حال. لا أظن أن أحدًا سيشعر بفقدانه في المشهد. اهدأن، يا سيدات! لا داعي لهذه الضجة والفوضى، لم يحدث شيء! تمهلي، نينيكي! لا شيء قد حدث فعلًا. الألواح فقط تحتاج إلى الإزالة. ستكون حطبًا جيدًا للمدفأة!"

* * *

في الظهيرات الدافئة، حيث يثقل الهواء بعبق الأزهار والعشب، ينبض بالسكون والسكينة، لا يقطعه سوى طنين النحل والخنافس العملاقة. في مثل هذه الأيام، كانت ينيفر تخرج مقعد نينيكي المصنوع من الخيزران إلى الحديقة، وتجلس عليه، ممددة ساقيها أمامها. أحيانًا كانت تتصفح الكتب، أحيانًا تقرأ الرسائل التي تصلها عبر سعاة غريبي الأطوار—عادةً ما يكونون طيورًا. وأحيانًا، كانت تكتفي بالتحديق في البعيد، تعبث بخصلات شعرها السوداء اللامعة، وتداعب رأس سيري، التي كانت تجلس على العشب، متكئة على فخذ الساحرة الدافئ الثابت.

- "سيدتي ينيفر؟"

- "أنا هنا، أيتها القبيحة الصغيرة."

- "أخبريني، هل يمكن فعل أي شيء بالسحر؟"

- "لا."

- "ولكن يمكنك فعل الكثير، صحيح؟"

- "صحيح." أغلقت الساحرة عينيها لوهلة، ومسّت جفنيها بأطراف أصابعها. "الكثير."

- "شيء عظيم حقًا... شيء رهيب! مرعب جدًا؟"

- "أحيانًا... أكثر مما ينبغي."

- "همم... وهل يمكنني... متى سأتمكن من فعل شيء كهذا؟"

- "لا أعلم. ربما أبدًا. وليتكِ لا تضطرين إلى ذلك أبدًا."

خيم الصمت، فلا كلمات وحرارة سوى عبق الأزهار والأعشاب المنتشر.

- "سيدتي ينيفر؟"

- "ماذا الآن، أيتها القبيحة الصغيرة؟"

- "كم كان عمركِ عندما أصبحتِ ساحرة؟"

- "عندما اجتزتُ الامتحانات الأولية؟ ثلاثة عشر عامًا."

"هاه! تمامًا كما أنا الآن! وكم... كم كان عمركِ حين... لا، لن أسأل عن ذلك..."

- "ستة عشر."

- "آه..." احمرّ وجه سيري قليلًا، وادّعت اهتمامًا مفاجئًا بسحابة غريبة الشكل تحوم فوق أبراج المعبد. "وكم كان عمركِ... عندما قابلتِ جيرالت؟"

- "أكبر، أيتها القبيحة الصغيرة. أكبر قليلًا."

- "ما زلتِ تنادينني بالقبيحة الصغيرة! تعلمين أنني لا أحب ذلك. لماذا تفعلين ذلك؟"

- "لأنني خبيثة. والساحرات دائمًا خبيثات."

- "لكنني لا أريد أن أكون... لا أريد أن أكون قبيحة. أريد أن أكون جميلة. جميلة بحق، مثلكِ تمامًا، سيدتي ينيفر. هل يمكنني، بالسحر، أن أصبح جميلة مثلكِ يومًا ما؟"

- "أنتِ... لحسن حظكِ، لا تحتاجين إلى ذلك... لستِ بحاجة إلى السحر من أجل ذلك. لا تدركين كم أنتِ محظوظة."

- "لكنني أريد أن أكون جميلة بحق!"

- "وأنتِ جميلة بحق. جميلة، قبيحتي الصغيرة. قبيحتي الصغيرة الجميلة..."

- "أوه، سيدتي ينيفر!"

- "سيري، ستسببين كدمةً في فخذي!"

- "سيدتي ينيفر؟"

- "نعم؟"

- "فيما تحدقين هكذا؟"

- "في تلك الشجرة. شجرة الزيزفون."

- "وما المميز فيها؟"

"لا شيء. أنا فقط أمتع ناظري بها. وأشعر بالسعادة لأنني... أستطيع رؤيتها."

- "لا أفهم."

- "جيد."

خيم الصمت من جديد فلا كلمات الرطوبة.

- "سيدتي ينيفر!"

- "ماذا الآن؟"

- "هناك عنكبوت يزحف نحو ساقكِ! انظري كم هو بشع!"

- "العنكبوت هو العنكبوت."

- "أأقتله؟!"

- "لا رغبة لي في الانحناء."

- "إذن اقتله بالسحر!"

- "على أراضي معبد ميليتيل؟ لكي تطردنا نينيكي وترمي برؤوسنا أولًا؟ لا، شكرًا. والآن أصمتي أريد أن أفكر."

- "وفيما تفكرين بجدية هكذا؟ حسنًا. لن أقول شيئًا الآن."

- "أنا في قمة السعادة. كنت أخشى أن تطرح عليّ واحدًا من أسئلتك العظيمة غير المتكافئة مجددًا."

- "ولم لا؟ أحب إجاباتك العظيمة غير المتكافئة!"

- "لقد أصبحت وقحة أيتها القبيحة."

- "أنا ساحرة والسحرة خبثاء ووقحون."

ساد الصمت، وهناك سكون في الهواء ورطوبة ثقيلة كأنها تسبق العاصفة. ثم كُسر الصمت هذه المرة بنعيق الغربان والغربان السوداء في البعيد.

- "إنها تتزايد." نظرت سيري إلى السماء. "تطير وتطير... كما في الخريف... طيور بشعة... تقول الكاهنات إن هذا نذير شؤم... فأل، أو شيء من هذا القبيل. ما معنى الفأل، سيدتي ينيفر؟"

- "ابحثي عنه في ذو دويمر مورك. هناك فصل كامل عن هذا الموضوع."

صمت.

- "سيدتي ينيفر..."

"يا للجحيم، ما الأمر الآن؟"

- "لقد مضى وقت طويل، لماذا لم... لماذا لم يأتِ غيرالت بعد؟"

- "لا شك أنه نسي أمرك، أيتها القبيحة. وجد لنفسه فتاة أجمل."

- "لا! أعلم أنه لم ينسَ! لا يمكن أن يكون قد نسي! أعلم ذلك، أنا واثقة تمامًا، سيدتي ينيفر!"

- "من الجيد أنك واثقة. أنتِ محظوظة، أيتها القبيحة."

- "لم أكن أحبكِ."

لم تنظر إليها ينيفر، بل وقفت عند النافذة، مديرة ظهرها، تحدق في التلال المظلمة في الشرق. كان الأفق فوق التلال يعجّ بأسراب الغربان والطيور السوداء.

بعد لحظة، ستسألني لماذا لم أكن أحبها، فكّرت سيري. لا، هي أذكى من أن تطرح سؤالًا كهذا. ستشير بجفاف إلى نحوي، وستسألني متى بدأت أستخدم الزمن الماضي. وسأخبرها. سأكون جافة كما هي، سأقلّد نبرتها الباردة، سأدعها تعرف أنني أيضًا يمكنني التظاهر بعدم الإحساس، بعدم الاهتمام، وأن أكون محرجة من مشاعري. سأخبرها بكل شيء. أريد أن أخبرها، لا بد لي من ذلك. أريدها أن تعرف كل شيء قبل أن نغادر معبد ميليتيل. قبل أن نفترق للقاء من أفتقده. من تفتقده هي أيضًا. من لا شك يفتقدنا كلينا. أريد أن أخبرها...

سأخبرها. يكفي أن تسأل.

استدارت الساحرة عن النافذة وابتسمت. لكنها لم تسأل شيئًا.

رحلتا في اليوم التالي عند الفجر. كانتا ترتديان ملابس سفر رجالية، عباءات، قبعات، وأغطية رأس تخفي شعرهما. كانتا مسلحتين.

فقط نينيكي هي من ودعتهما. تحدثت بهدوء وطول مع ينيفر، ثم تصافحتا بقوة، كأنهما رجلان. أرادت سيري، وهي ممسكة بعنان فرسها الرمادي المرقط، أن تودعها بنفس الطريقة، لكن نينيكي لم تسمح لها بذلك. بل احتضنتها، ضمّتها إليها، ومنحتها قبلة. كانت الدموع تترقرق في عينيها. وفي عيني سيري أيضًا.

- قالت الكاهنة أخيرًا وهي تمسح عينها بكُمّ رداءها: "حسنًا، الآن اذهبا. لتحفظكما الإلهة العظيمة ميليتيل في رحلتكما، يا صغيرتَي. لكن الآلهة لديها الكثير لتنشغل به، لذا اعتنيا بأنفسكما أيضًا. ينيفر، إحرصي على سلامتها. اعتبريها أعزّ ما تملكين."

- إبتسمت الساحرة بخفة "آمل، أن أتمكن من الحفاظ عليها بأمان أكبر."

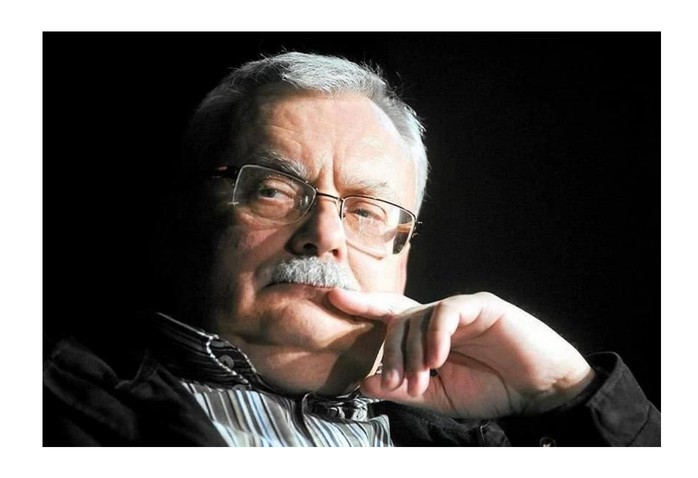
حلّقت أسراب الغربان بصخب عبر السماء، متجهة نحو وادي بونتار. لم تلتفت نينيكي إليها.

كررت: "إعتنيا بأنفسكما، أوقات عصيبة تقترب. قد يتبين أن ما عرفته إثلين آيب إيفينين، ما تنبأت به، صحيح. زمن السيف والفأس يقترب. زمن الاحتقار وعاصفة الذئب. احرصي عليها، ينيفر. لا تدعي أحدًا يمسّها بأذى."

- قالت سيري وهي تقفز على سرجها: "سأعود، أماه، سأعود بالتأكيد! قريبًا!"

لم تكن تعرف سيري كم كانت مخطئة.

**** تمت ****



ترجمة المؤلف:

أندريه سابكوسكي وُلد عام 1948في بولندا، درس الاقتصاد وإدارة الأعمال، لكن نجاح سلسلته الفانتازية حول الويتشر جيرالت من ريفيا جعله واحدًا من أبرز الكُتّاب في مجال الأدب الخيالي. يُعتبر اليوم أحد أشهر الكُتّاب البولنديين وأكثرهم نجاحًا على الإطلاق، حيث حققت أعماله شهرة عالمية وترجمت للغات عدة، وأثرت بشكل كبير في ثقافة الفانتازيا الحديثة.

أعماله:

1993 – (الأمنية الأخيرة) The Last Wish-1

1992 – (سيف المصير) Sword of Destiny-2

1994 – (دماء الإلفيين) Blood of Elves-3

1995 – (زمن الازدراء) The Time of Contempt-4

1996 – (معمودية النار) Baptism of Fire-5

1997 – (برج السنونو) The Tower of Swallows-6

1999 – (سيدة البحيرة) The Lady of the Lake-7

Season of Storms-8 (موسم العواصف) – صدرت بالإنجليزية 2018

وعلى الرغم من أن رواية الأمنية الأخيرة "The Last Wish" نُشرت بعد رواية سيف المصير "Sword of Destiny"، إلا أنها تُعتبر أول رواية في السلسلة زمنيًا لأنها تجمع قصصًا سابقة تم نشرها بشكل متفرق.

يذكر أن سلسلة "الويتشر" أصبحت من أشهر سلاسل الفانتازيا الملحمية، وتم تحويلها إلى لعبة فيديو تعد من أنجح الألعاب على الإطلاق، ومسلسل تلفزيوني لازال يصدر على شكل مواسم حتى الآن في شبكة Netflix .